



a32101



007637018b

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

DUE JUN 15, 1994

al-Ishsh Yusuf

الخطيب البغدادي

مؤرخ بغداد ومحدثها

تأليف

يوسف العشي

قدم له الأستاذ الكبير

أحمد أمين بك

الملك عبدالعزيز بن فيصل
لأصحابه عبيد أخوان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٩٢٥/٣/١٥ م

مطبعة الترقى بدمشق

١٣٦٢/٢/١

2271.5088.742

إذا ارتاب مرتاب في وحدة العرب ،
فما أكثر الشواهد التي تزيل الريب .
وهذا الكتاب واحد من هذه الشواهد
وضعه مؤلف من شباب بلاد الشام
وقدّم له أستاذ كبير من رجالات مصر
وتناول البحث فيه علماً من أعلام العراق
فما أحراه بأن يهدى

إلى الوحدة العربية

إنه بهذا الإهداء لفخور

المقدمة

للاستاذ الكبير أحمد أمين بك

عرفتُ الأستاذ يوسف العش شاباً ممتلئاً نشاطاً ، مخلصاً للعلم ،
جاداً في البحث وراء الحق ، لم تمنعه ثقافته الغربية أن يصرف أطول
زمنه نابشاً في الكتب الشرقية ، مسلطاً ضوء المنهج الذي اكتسبه
من الغرب على التراث العظيم الذي خلفه لنا الشرق .

ولما التقيت به في مهرجان أبي العلاء المعري في دمشق أطلعني على
مسودة كتاب وضعه في مؤرخ بغداد « أبي بكر الخطيب » -
ومع أن وقتنا كان مزدحمًا لا نفرغ فيه لأنفسنا إلا حين عودتنا
لننام في منتصف الليل اجتهدتُ أن أختلس وقتاً للاطلاع على هذا
الكتاب ، ونصفحه عامة ، وقراءة فصول بأكملها خاصة .

أعجبني فيما قرأتُ دقة البحث ، وصبر المؤلف على الدرس ،
ورجوعه إلى مظان كثيرة ، بين مخطوطة ومطبوعة ، والاستفادة

منها ، والتأليف بين أشتاتها ، ليخرج لنا صورة واضحة للخطيب
البغدادي في حياته وأخلاقه وثقافته ونزعاته ومقدار الثقة به ، وما
أسداه إلى العلم من خدمات ، وسر عظمته الخ . . .

والكتاب قيم من نواح شتى ، فهو يطلعنا على مؤرخ عظيم كان
صورة صادقة للمؤرخين والمحدثين في عصور الإسلام الأولى -
وهو يعرضه عرضاً عصرياً جذاباً ، يستخدم المادة الأولى القديمة
فيزينها بزواء جديد أخاذ - وهو يقدم لنا مثلاً لتراثنا القديم كيف
نستغله في الإعجاب بقدمائنا ، والاستحثاث للسير على منهجهم في
حب العلم والصبر عليه والتبذل فيه .

وهو فوق ذلك طليعة تدل على ما بعدها من أن المؤلف إذا صدر
منه هذا الكتاب وهو في ربيع حياته ، فسيكون منه مؤلف قدير
ناضج يغني - هو وأمثاله - المكتبة العربية بخير التأليف وأحسن
الإنتاج . وفقه الله للخير .

الاستهلال

الاستهلال

مد الله في عمرك ، وحباك بالعلم بعد المعرفة ، وبالحكمة بعد العقل ،
وبالنشاط بعد القوة .

ألم تر ما للأدباء من الشهرة في حياتهم وبعد وفاتهم ، لا ينفك
الناس عن التنويه بشأنهم ، والعناية بأقوالهم ، والتبعية لآثارهم ، طلباً
للمتعة ، وحرصاً على الفكاهة ، وسعيّاً للاكتساب السهل للمعرفة
الطريفة .

ألم تشهد ما لأدباء العرب من المكان الجليل في نشأة الفكر
منذ عصر النهضة الحديثة : أقبل العلماء المعاصرون على البحث عنهم ،
وتتابعت الكتب في ذكر أثرهم ، ووصف أخلاقهم ، وبسط حياتهم ،
حتى خيل لبعض المتعلمين أن الفكر العربي إنما هو أثر من آثار الشعراء
والكتاب ، أمدوه بما أبدعوه ، وقواه ، وأكمله ، وأننا ، إن تعدينا
حلقة أدباء العربية ، ألفينا كتباً صفراً ، شحنت بما يرهق العقل ،
ويثقل السمع ، ويغشى البصر : طال عليها العهد حتى هرمت .

لعمر كإنهم أخطأوا الفهم . فالأدب العربي مدين للأدباء ، كما هو مدين لغيرهم ، أما الفكر العربي فهو وليد العلم قبل الأدب ؛ ولئن كان للبحث في الأدب طرافة ترهف الحس ، وتغذي الخيال ، وتشير العاطفة ، فلعلماء العرب والإسلام شأن يسمو بالنفس ، ويعلو بالفكر ، ويوحي القوة ؛ وما هو إلا أن ينفذ غبار الكتب الصفر ، ويرفع منها تكرار الروايات وتداخل الآراء ، حتى يتجلى لابن العصر جميل أثرها ، ويسفر للنظر حسن معناها .

هل ترى أن يطغى حظ الأدباء أكثر ، وأن ينى غيرهم بزيادة الهجران ؟ ألسنت متشوقاً الى النصيب الأوفر من المعرفة والقسط الأكبر من رياضة العقل ، تود لو اطلعت على آفاق حجبت عنك ، وتوارت دونك . إذا بلغت بك الهمة هذا ، فتعال معي نظوف بعالم نستعرض فيه أكثر ما عمل المسلمون له ألا فاسمع :

لم يعن المسلمون بشيء عنايتهم بجمع الحديث النبوي وضبطه . ولئن كان لعملهم هذا غاية دينية خالصة ، فقد تأثرت علومهم بالحديث ، بل إن كثيراً منها وضع لإسعاف الحديث وإتقان البحث فيه . ثم نشأت طائفة منهم استقلت بالحديث وبالعلوم المسعفة له ، فعظم جدها ، وكثر سعيها ؛ وبلغ من أمرها أن من أهلها من كان يرحل من العراق

منها ، والتأليف بين أشتاتها ، ليخرج لنا صورة واضحة للخطيب
البغدادي في حياته وأخلاقه وثقافته ونزعاته ومقدار الثقة به ، وما
أسداه إلى العلم من خدمات ، وسرّ عظمته الخ ...

والكتاب قيم من نواح شتى ، فهو يطلعنا على مؤرخ عظيم كان
صورة صادقة للمؤرخين والمحدثين في عصور الإسلام الأولى -
وهو يعرضه عرضاً عصرياً جذاباً ، يستخدم المادة الأولى القديمة
فيزينها بزوايا جديدة أخاذ - وهو يقدم لنا مثلاً لتراثنا القديم كيف
نستغله في الإعجاب بقدمائنا ، والاستحثاث للسير على منهجهم في
حب العلم والصبر عليه والتبتل فيه .

وهو فوق ذلك طليعة تدل على ما بعدها من أن المؤلف إذا صدر
منه هذا الكتاب وهو في ربيع حياته ، فسيكون منه مؤلف قدير
ناضج يعني - هو وأمثاله - المكتبة العربية بخير التأليف وأحسن
الإنتاج . وفقه الله للخير

المقدمة

للاستاذ الكبير أحمد أمين بك

عرفتُ الأستاذ يوسف العش شاباً ممتلئاً نشاطاً ، مخلصاً للعلم ، جاداً في البحث وراء الحق ، لم تمنعه ثقافته الغربية أن يصرف أطول زمنه نابشاً في الكتب الشرقية ، مسلطاً ضوء المنهج الذي اكتسبه من الغرب على التراث العظيم الذي خلفه لنا الشرق .

ولما التقيت به في مهرجان أبي العلاء المعري في دمشق أطلعني على مسودةٍ لكتابٍ وضعه في مؤرخ بغداد « أبي بكر الخطيب » - ومع أن وقتنا كان مزدحمًا لا نفرغ فيه لأنفسنا إلا حين عودتنا لنتنام في منتصف الليل اجتهدتُ أن أختلس وقتاً للاطلاع على هذا الكتاب ، وتصفحته عامة ، وقراءة فصول بأكملها خاصة .

أعجبني فيما قرأتُ دقة البحث ، وصبر المؤلف على الدرس ، ورجوعه إلى مظان كثيرة ، بين مخطوطة ومطبوعة ، والاستفادة

العلم

الاستهلال

مد الله في عمرك ، وحباك بالعلم بعد المعرفة ، وبالْحكمة بعد العقل ،
وبالنشاط بعد القوة .

ألم تر ما للأدباء من الشهرة في حياتهم وبعد وفاتهم ، لا ينفك
الناس عن التنويه بشأنهم ، والعناية بأقوالهم ، والتبسم لآثارهم ، طلباً
للمتعة ، وحرصاً على الفكاكة ، وسعيّاً للاكتساب السهل للمعرفة
الظريفة .

ألم تشهد ما لأدباء العرب من المكان الجليل في نشأة الفكر
منذ عصر النهضة الحديثة : أقبل العلماء المعاصرون على البحث عنهم ،
وتتابع الكتب في ذكر أثرهم ، ووصف أخلاقهم ، وبسط حياتهم ،
حتى خيل لبعض المتعلمين أن الفكر العربي إنما هو أثر من آثار الشعراء
والكتاب ، أمدوه بما أبدعوه ، وقواه ، وأكملوه ، وأننا ، إن تعدينا
حلقة أدباء العربية ، ألفينا كتباً صفراً ، شحنت بما يرهق العقل ،
ويثقل السمع ، ويغشى البصر : طال عليها العهد حتى هرمت .

لعمرك إنهم أخطأوا الفهم . فالأدب العربي مدين للأدباء ، كما هو مدين لغيرهم ، أما الفكر العربي فهو وليد العلم قبل الأدب ؛ ولئن كان للبحث في الأدب طرافة ترهف الحس ، وتغذي الخيال ، وتنير العاطفة ، فلعلماء العرب والإسلام شأن يسمو بالنفس ، ويعلو بالفكر ، ويوحى القوة ؛ وما هو إلا أن ينفض غبار الكتب الصفر ، ويرفع منها تكرار الروايات وتداخل الآراء ، حتى يتجلى لابن العصر جميل أثرها ، ويسفر للنظر حسن معناها .

هل ترى أن يطغى حظ الأدباء أكثر ، وأن يبنى غيرهم بزيادة الهجران ؟ ألسنت متشوقاً الى النصيب الأوفر من المعرفة والقسط الأكبر من رياضة العقل ، تود لو اطلعت على آفاق حجبت عنك ، وتوارت دونك . إذا بلغت بك الهمة هذا ، فتعال معي نظوف بعالم نستعرض فيه أكثر ما عمل المسلمون له ألا فاسمع :

لم يعن المسلمون بشيء عنايتهم بجمع الحديث النبوي وضبطه . ولئن كان لعملهم هذا غاية دينية خالصة ، فقد تأثرت علومهم بالحديث ، بل إن كثيراً منها وضع لإسعاف الحديث وإتقان البحث فيه . ثم نشأت طائفة منهم استقلت بالحديث وبالعلوم المسعفة له ، فعظم جدها ، وكثر سعيها ؛ وبلغ من أمرها أن من أهلها من كان يرحل من العراق

إلى مصر تتبعاً لحديث واحد أو نصيحاً له^(١). وهي في كل ذلك مؤمنة أنها تخدم الإسلام، بل تحمل رابته. لم تقنع بأن تعد صاحبة علم عظيم من علوم الإسلام، بل طمحت إلى أن يصبح المرجع في شؤون الدين إليها، فتكون حامية الإسلام وبطلة العقيدة وسيدة الفتوى. اختطت لنفسها سبيلاً قصدت أن يكون خالصاً من التعمويه، بعيداً عن الزيف، واضح المرمى. أخذت على نفسها بأن يحيا أهلها حياة دينية خلقية نقية، فيكونوا حقيقين بالاحترام، جديرين بالثقة، حريين بالرئاسة. لم تقصد في ذلك الدنيا، بل كان هدفها يوم الله الآخر، حتى إذا زهدوا في الدنيا لم يتصوفوا ويتشفوا، بل جمعوا بين الكسب للخيرات، والازدراء للشهوات. ونظروا إلى الناس نظرة الناقد الفاحص، فهاجموا فسادهم، وأثقلوا الكيل عليهم. ظنوا الكمال في الدين واجباً، والمتساهل فيه ظالماً، فكثرت نقدهم، وتضاعفت حملاتهم، حتى عدتهم بعض الناس خيولاً جامحة لا تدري أين تسير، وأيان تستقر.

أرأيت أنهم قمينون بالانتباه، جديرون بالعناية. ألا فتتبع صفحات هذا الكتاب تجد صوراً منهم تزيد في معرفتك بشأنهم،

(١) انظر أخبار ذلك في كتاب الرحلة في طلب الحديث ظاهريه مجموع

وتطلعك على شيء من رأيهم وطرف من سعيهم ، فيكون لك ساعات اتصال بأناس يختلفون عنك عرفت اختلافاً بيئياً .

لكن أترك تأثير البحث الجمل المنطقي الذي يعرض صوراً عامة مطلقة موحدة ، أم تفضل أن تتبع حياة كاملة مفصلة ، كأنك تعيش معها ، وتقرأ أمامك . ألسنت تميل إلى الصور الحية الصادقة ، تجد فيها رمزاً واضحاً إلى غيرها من المشاهد ، وتتمسك بها سواها من الأشكال ، أما إنك تجد في البحث عن عالم ما مثلاً قريباً لغيره ؛ وخير لك أن تشعر بشعور واحد من جماعة ، وتعيش معه ، وتحدث إليه ، من أن تصادف جماعة ، فلا تدري أمرهم إلا بالجمع ، ورأيهم إلا بالتلخيص لا سيما إذا اعتدت على استشارة عاطفتك بجميل الأخبار ، ومحاسن الأقوال ، وطرائف الآراء .

لن يبعد لك سبيل الاتصال بالجماعة ، فالرجل الذي ستقرأ سيرته ليس نادرة لا مثال لها ، أو عظيماً لا نظير له ، أو عبقرياً اختص بمزايا لا تتم لغيره . إنما هو واحد من عدة ، ومثل من أمثال ، وعالم من علماء . استن يهدي من سبقه ، وسار على خطى من قبله ، لا يدعي العظمة ، ولا يتصف بالعنصرية . إذا عرفته عرفت طائفته ، وكنت على جلية من أمرها .

ستشهد في هذا السفر صورة موجزة عن عصر متوسط من عصور

الإسلام ، وترى فيه حياة محدث قد حفل بالعلم ، وانكب عليه ، وأخلص له ، فسهل بسببه ، وعرف به ، وقدر لأجله ، وستقرأ صورته بطبعه السطح ، ونفسه الطيبة ، وقدرته على الإيقان ، وتنتقل من ذلك الى وصفه في ثقافته وعلمه ، وهما يتكوران ثم يتوسعان ثم ينتجان ويبدولك بعد ذلك أدب براق ، وشعر لطيف ، فتشوق الى معرفة رأي الرجل ، فتراه متحمساً يعتقد وجوب الأخذ بشيء من التفكير والعقل ، والوقوف عند نصوص الشرع . حتى إذا شاهد من لا يوافق على رأيه ، لم يخش من الكيل له بما يراه يستحقه ، يخاصمه مستتراً بأقوال غيره فيه : يورد أشدها وأقواها دون أن يبدي رأيه فيه ، أو يرفع صوته في استنكار أعماله . ولكن خصومه لا يقفون حيارى ، بل يتناولونه بالسنتهم الحداد ، ويتمونه بما يرونه مستحقاً له . ويضطرب رأيك فيه بعد الذي تسمع في نقده ، وتود لو سمعت قول المنصفين ليتبين لك الحق ، فتري أئمة المؤرخين معجبين به ، مجملين له ، معتقدين كماله وإتقانه . وتستخلص من ذلك صورة تختتم بها رأيك فيه ، فتعده من خيار الناس الذين يكونون مجد الأمم ، ويخدمون تراث العلم .

لن يحاول المؤلف الضغط على شعورك وكبت ميولك ، ليدعك تمسك عليك نفسك آخذاً بعيد العالم عن التأثير بالعاطفة ، يذكرك غير مبالٍ بمن تقرأ سيرته . بل سيحاول أن يظهر لك الجمال حيث

يجب أن يبدو ، ويشير العاطفة حيث يجب أن تثار . فهو قد أدرك
بعد البحث والاستقصاء أن من تقرأ سيرته صاحب خير ورب تقى .
وانك لا تضر بالتحزب له ، والعطف عليه ، والتماس العذر له فيما لعله
أخطأ به دون قصد ، بل تفيد من التحمس للحق ، ففي ذلك إثارة
لعظيم الهمة ، وجميل الخير ، مع أنه ليس فيه أذى للعلم ، وضرر
بالحقيقة ، فالعلم لم يحل يوماً دون حث الناس على الخير ، وإن في الحقيقة
كل جمال ومحبة .

وإياك أن نتوهم أن العطف عليه ، والدفاع عنه ، والشعور بحسن
نفسه تعني الخط من خصومه ، والازدراء لأقوالهم ، والدفع لآرائهم .
فال مؤلف لم يرم إلى شيء من ذلك ، بل يرى أن لكل حق في الرأي ،
ونصيبه من الصواب ، وأن الحق عند إنسان لا يعني أن الباطل عند
خصمه . وشدد ما فرقت المبادئ بين المحسنين ، وبعدت المذاهب بين
المصيبين . وإذا كان للحق ألا يتضارب ، فله أن يعم ، وله ألا يحرم
منه المتخاصمون ، إن قصدوا جميعاً إياه ، وما طلبوا سواه . وما
قصد المؤلف إلا التسامح عن الهفوات ، إن صدرت عن صادق نية ،
وأن الإنسان قد يحسن دون أن يكون كاملاً ، وقد يتخذ طريقاً غير
طريق الآخرين ، فيحسبونه مخطئاً ، ولو عرفوا غايته ، ونفذوا إلى
خبايا نفسه لأقروه ، ولم ينفروا منه .

والمؤلف يرغب إليك ألا تعتقد أنه يجبذ أمر أهل الحديث ،
ويدعو إلى طريقتهم ، ويستحسن كل أمرهم . إنما يرجو منك أن تعتقد
أنه مؤمن بأنهم كانوا مخلصين لعلمهم الذي حملوه ، متحمسين له ،
عارفين نهج الدفاع عنه ، وأنهم أبطال حريون بأن يعرف لهم فضلهم ،
ويقدر لهم خيرهم .



عصر الرجل

الاعتدال بعد الطفرة

تمتع العلم العربي الاسلامي بأبهى مظاهره ، وارتدت الحضارة
أجل أنوابها ، وتجلي الفن بأنصر زينته ، فرأيت خضماً من الأنوار
نتناثر ، فيلمع بها الإسلام ، ويضيء بهجة ، ويسمو نضوجاً ؛
تلك الأيام كانت نتابع في حلقة المائة الرابعة ، حتى إذا ختمت
الحلقة ، لم يخب النور ، وإنما اعتدل بريقه ، ولم تقف الحضارة ، وإنما
هدأت نزعتها . وعصر الرجل هو هذا الاعتدال في البريق والاستواء
في النزعات .

تسوية الحدود

لقد كثرت المذاهب ، وتعددت النحل ، وزاد الكيل في
كل شيء ، وأخذ الناس نشوة الحضارة ، فطفقوا يميلون يمينا
وشمالاً ، تستفزهم الآراء ، وتدفع بهم النزعات ، يظنون أن
الإسلام معرض يرتاده كل قاصد ، يعرض به بضاعته حرّاً طليقاً ،
حتى أفاقوا في أوائل المائة الخامسة ، وإذا بالمعرض بيت يضيق
عن التشيع ، ويأبى التراكم . وإذا بأهله يحاولون تقاسمه وتحديد

وتخطيطه . وعصر الرجل عصر تسوية الحدود ، وتشعب الأجزاء ،
وانزواء كل طائفة بعيداً عن غيرها بما تحصل عليه .

الصراع في سبيل ذلك

غير أن الصراع حتم على من ينبغي الاستقلال ، ولن تسوى
الحدود إلا ببعض القوة ، ولا بد من ظهور الأطماع ، وازدياد
الرغبات ، وانبعاث الظنون بأن الحق في جانب من يكثّر الطلب .
وعصر الرجل يشهد ذلك الصراع ، ويمد فيه ، ويتصف به .
وهو بالجملة عهد الاعتدال في السير بعد الإسراع ، والصراع في
طريق استقلال النزعات بعضها عن بعض ، وانكماشها ثم تبلورها .
يظهر ذلك واضحاً في حوادث الجيل بالسياسة ، والنزعات المذهبية
وتطور العلم والأدب " ، ويبدو ذلك أوضح ما يكون في العراق
حيث نشأ الرجل وأقام وأفاد .

بنو بويه والخلافة

كان الحكم في العراق لبني بويه ، ولكنه مضطرب غير قويم .
وملوكهم منذ أوائل القرن الخامس يتتابعون في بغداد ، فلا يقدر
على ضبط المملكة . هذا شرف الدولة بن بهاء الدولة (٤١١-٤١٦) .

(١) سنغقل ذكر المصادر التي يرجع اليها لمعرفة هذه الحوادث ، فالتواريخ
التي نضبطها بها كافية للحالة إلى كتب التاريخ على السنين . وكل هذه الكتب
تشير إليها ، ومنها ما يوسع البحث فيها ، فلترجع .

وجلال الدولة أخوه (٤١٨ - ٤٣٥) وأبو كاليجار (٤٣٦ - ٤٤٠) والملك الرحيم (٤٤٠ - ٤٤٧) منهمكون في تسوية القلاقل الواقعة ، ومنع الاضطراب ، لا يفرغون لتنظيم ، ولا يقومون على إصلاح ، لم يبلغوا إلا شيئاً واحداً ، هو تقايص ظل الخلافة ، ومنعها من السيطرة . وسلطة الخليفة شكلية ظاهرة ، لا أصلية مكنية . فلا القادر المتوفى سنة ٤٢٢ ولا القائم الذي تلاه ، وامتدت خلافته حتى عام ٤٦٧ بقادرين على السير بمصالح المسلمين إلى ما يجب ، وأكثروا استطاعا إليه سبيلاً إيقاف ملوك بني بويه عن توسيع سيطرة الشيعة في بغداد ، وتمكينها من الغلبة على أهل السنة ؛ فهذا القادر يرفض تسليم قضاء القضاء إلى شيعي ، وينجح .

الشيعة وأهل السنة

على أن الخلاف مستحكم بين الشيعة والسنة ، لا يبرح يشتد . ويخاف كل فريق منهما على نفسه ، فيبنيان سورين بينهما سنة ٤٤٤ ، حتى إذا حلت سنة ٤٤٢ بلغت الأزمة أشدها ، فحرق قبر موسى ابن جعفر العلوي . وعجز الحكم ظاهر للعيان ، فأهل السنة أكثر من الشيعة عدداً ، وأقوى منهم يداً . والشيعة أقوى ببني بويه . والخليفة يعمل على ألا يبتلي أهل السنة بما يبدد أمرهم . ويزداد

الاضطراب ، وتخف سطوة الحكم حتى يظهر العيارون سنة ٤٣٦
برابعة النهار ، فيصيب الناس منهم شر عظيم .

الفاطميون

أدرك الفاطميون بمصر تضعع الحال في العراق ، وتضارب
السلطان ، واختلاف الناس ، فراحوا يبشون دعوتهم ، عساهم أن
يأخذوا البلاد لقمة سائغة ، ويصيبون بعض النجاح ، فيخطب
للحاكم سنة ٤٠١ بالكوفة والموصل . ولكن ذلك يوقظ أصحاب
الأمر ببغداد ، فيتصدون مهاجمين ، ويعمل الخليفة على كتابة
محضر ببغداد سنة ٤٠٣ يتضمن القذح في نسب الفاطميين ، وبوقع
فيه جماعة من العلويين .

السلجوقيون

على أن ما عجز عنه الفاطميون ليس عسيراً على غيرهم ، فالبلاد
كانت تتطلب حكماً متيناً ، يثبت الزعرة القوية ، ويبسط لها
سبيل الغلبة على خصمها . وهي أقرب إلى أن تستسلم لدولة سنية
قريبة من مذهب عامة الشعب ورغباته ، من أن تدعن لدولة تحاول
القضاء على الخلافة العباسية . وتلك الدولة السلجوقية التي ابتدأت
سنة ٤٣٢ واستولت على نيسابور ثم خراسان تنتقل إلى العراق
سنة ٤٤٧ فيوطدها فيها طغرل بك ، ويشنت حكم بني بوبه ،
ومعهم نفوذ الشيعة وينصر أهل السنة .

المعتزلة والأشعرية وخصومهم

وما كاد نصر السنة يعلن في بغداد على الشيعة حتى يرمى كل مذهب من السنية إلى توطيد أمره ، فيتنازع مع غيره . وتقوم الحرب ، وهي حرب مبادئ وأصول . وأول من يخرج من الميدان المعتزلة ، فالحكم يسد عليهم الطريق ، ويبدو أن صوته خفت ، فلا يعود . وإذا كان لهم نصيب من النزاع في هذا العصر ، فهو الصبر على المطاعن ، واحتمال الشتائم . وقد رد الدفاع عن العقل إلى الأشعرية ، مع أنهم لا يعتقدون به كل الحين . هذا وهم يتحملون في سبيله كل عنت ، وأهل الحديث والحنابلة يحاولون إيقافهم بل ردهم .

الشوافعة والحنفية

والشوافعة واقفون وسطاً بينهم ، يميل بعضهم إلى الأشاعرة وبعضهم عليهم ، دون غلو أو شطط . والحنفية يحملون من اللز والدفع ما يسوؤهم . وهم يتسابقون مع الشوافعة في نشر المذهب ، فيرفعون قبة فخمة على قبر أبي حنيفة سنة ٤٥٩ ، ويقيمون فيها درساً . وينفتح أولئك المدرسة النظامية في السنة نفسها .

الادب والفلسفة

أما الأدب فيختم حلقة جماله وإبداعه ، يخرج من الشعراء

الشريف الرضي (- ٤٠٦) ومهيار الديلمي (- ٤٢٨)
وأبا العلاء المعري (- ٤٤٩) ومن الأدباء الكتاب الثعالبي
(- ٤٢٦) والشريف المرتضي (- ٤٣٦) وأمثالهم . فيكتبون
ويجمعون طرائف الأذب التي يجعلون منها أنموذج الحسن وغاية
الأدب . وهم في جملتهم آخر من يمثل النزعات الأدبية الخالصة .
ومن يأتي بعدهم مقلدون في الجملة .

وتلقي الفلسفة أقوى سهم بقي في كنانتها في الشرق ، وإذا بأبي
علي بن سينا (- ٤٢٨) يعطيها صيغتها الأخيرة ، ويوسم لها حدودها ،
ويفضي بها إلى مداها .

صفة العصر بالاجمال

فيما تقدم دلالة تامة على صفة العصر بالاجمال ، فرجال الحكم
ومختلف الدول تعمل على توجيه الإسلام وجهته الأخيرة ، وتنصر
أهل السنة ، فتتكش الشيعة من الميدان العام حتى حين ، وتقضي
السياسة على الاعتزال مع تشجيع الأشعرية ، وتطلق للمذاهب
الفقهية السبيل في تحديد موقفها الأخير وعلاقتها بعضها ببعض ،
فيكون تخاصم بينها يفضي بعد حين إلى استقلال كل مذهب
بما فيه . ويشرع العلماء يحددون الخطوط الأخيرة للعلم ، يضعونه
وضعا يبدو فيه تاما ، لا يعتوره تغيير ولا تجوز فيه إضافة .

فالرجل إذن يعيش في عصر نزاع مستمر : فيه بعض الحرية
وبعض التقييد ، فيه انكماش الحضارة بعد عظمتها ، وتبلور المذاهب
بعد توسعها . لم يكن خير العصور وأفضلها . بل تبوأ مقعداً بين
الذروة والسفح ، فلم يدرك سوابقه من أيام الحضارة السامية ،
ولكنه بز لواحقه ، ثم كاد يختم حلقة الحسن . هو بالحق العصر
الذي خط رسم الإسلام النهائي .

حياة الخطيب في العلم والمعلم

الخطيب صورة للمحدثين

ليس في نفس الخطيب ثورة ، ترمي به في بركان من العواطف الصاخبة والتهور والمغامرة شأن أكثر الموهوبين ، إنما كان عالماً ، انطلقت روحه في ميدان المعرفة ، تتغذى ، وتعيش بها ، فلا تسكث بمجد إلا ما أورثته ، وبلذة إلا ما أسعفت بها . ومن حاول أن يجد في ترجمته أكثر من سعي لا إدراك العلم ، وصراع في سبيله ، وانصراف إلى نشره ، فقد أخفق ، وذهبت محاولته عبثاً .

وقد يخيل أن حياة كحياة الخطيب إنما هي جديرة بأن يطالع عليها محدث أو مؤرخ ، فيلتبس فيها معرفة ترجمة قرين له في العلم . على أن الأمر ليس كما تصوره ظواهره ، فتلك الحياة جميلة حيث هي هادئة ، ومثيرة للعواطف حيث هي رضية . وكل من قرأها وجد أسلوباً في المعيشة طريفاً ، عقدت فيها الآمال ، وسمت فيها النفس ، وعظم فيها الجد .

وما ذلك كل شيء ، فالخطيب ليس في حياته صورة لنفسه فقط ، بل هو مثال صادق لعدد كبير من جماعة المحدثين ، إذا لم نقل إنه رمز إلى ما نتطلبه كتب العلم الإسلامي من العالم .

ولئن ظهر في ثنايا تلك الحياة ضعف من صاحبنا ، فإنما يجب أن نحمل ذلك على ما جبلت عليه النفس من نقصان ، لا بد منه في عالم كثرت مغرياتة ، وتجهم فيه أهله بعضهم ببعض . وذلك الضعف الذي لا كبير شأن له يجعل صورة الخطيب شيقة ، تأخذ من الحياة أصلها ، لا جامدة كما تصف كتب فضل العلم العالم ، وتطلب إليه أن يكون . فإلى القارىء تلك الحياة بما فيها من مثال يعم ، وطرافة تجذب ، وضعف لا يعيب .

أصله وحدثه

يرجع أصل أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي « إلى عشيرة عربية ، تركب الخيول ، وتسكن الحصاصة » من أعمال الكوفة^(١) . وكان والده أبو الحسن « أحد حفاظ القرآن ، قرأه على أبي حفص الكتاني ، وتولى الإمامة والخطابة على المنبر بدرزيحان » وهي قرية كبيرة جنوب غربي بغداد^(٢) . تولى ذلك نحواً من عشرين سنة^(٣) ، فلزمه لقب الخطيب ، ولعله انتقل منه إلى ابنه .

(١) انظر عن الحصاصة معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٧٤ .

(٢) معجم البلدان ٢ : ٥٦٧ .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ١١ : ٣٥٩ ، وعنه في تاريخ دمشق ١ : ٣٩٨ ، ومعجم البلدان ٢ : ٥٦٧ ، وتاريخ الاسلام للذهبي مما انتخه منه ابن قاضي شبيهة ليجمع تراجم الشوافعة نسخة الظاهرية تاريخ ٥٧ ، ٢١٣٦ و ٢١٤٠ وسنمرز اليه بكلمة شبيهة وتذكرة الحفاظ ٣ : ٣١٢ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ : ١٢ .

وولد أبو بكر في غزّة من أعمال وادي الملل في الحجاز^(١)
يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٩٢^(٢) . وينشأ في
حجر أبيه ، فيبت فيه هذا روح العلم والتقى ، ويهذب بالقرآن ، ويعظه
موعظته للناس في أيام الجمعة والعيدين .

اول سماعه

ثم يسلمه الى هلال بن عبد الله الطيبي ليعلمه القراءة والكتابة ،
فيتأدب به^(٣) ، ويقرأ القرآن ، ويتعلم القراءات^(٤) . ولعله يظهر نباهة
وفطنة ، فيطمح والده إلى إخراجهم عالماً ، فلا يبلغ احدى عشرة سنة ،
حتى يحضه أبوه على سماع الحديث^(٥) ، فيهرع في المحرم سنة ٤٠٣^(٦)

(١) شعبة ٢١٤٠ عن ابن النجار وانظر عن غزیه معجم البلدان ٣ : ٨٠٠
وعن الملل ٤ : ٦٣٧ .

(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٢٦٦ ، تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، ابن حاتم المقدسي
الأربعين ١٨٧ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١ : ٢٧ ، شعبة ٢١٣٧ ، وعن
غيث بن علي الصوري في سؤال له وجهه للخطيب نفسه ارشاد الأريب لياقوت
٤ : ١٦ ، ولا عبرة لما قيل انه ولد سنة ٣٩١ في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ٢٦٥
وابن حاتم ٢٨٥ والبداية ١٢ : ١٠١ ونقطة ١٥ عن ابن شافع .

(٣) تاريخ بغداد ١٤ : ٧٥

(٤) المنتظم ٨ : ٢٦٥

(٥) شعبة ٢١٣٦ سبكي ٣ : ١٢

(٦) تاريخ بغداد ١١ : ٢٦٦ ، تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، شعبة ٢١٣٧

إلى جامع المدينة ببغداد^(١) ويقعد مع الشيوخ والطلاب في حلقة محمد ابن أحمد بن رزقويه البزار ، فيكتب عنه املاءً مجلساً واحداً^(٢) ، ولا عجب إن رأينا أبا بكر التلميذ لا يعود ثاني يوم إلى ذلك الدرس ، فهو لا يفهم مما يمل عليه الأستاذ الا فتفاً لا ترغبه في ذلك الدرس ، إنما العجب أنه تابع المجلس إلى آخره

درسه الفقه

على أنه لا يفتقر طويلاً ، فإن هجر كتابة الحديث ثلاث سنوات فهو لا يفتأ يتردد إلى مجالس كبار الفقهاء كأبي حامد الاسفرائيني (٤٠٦ —) « يراه غير مرة » ويحضر تدريسه بمسجد عبد الله ابن المبارك في صدر قطيعة الربيع^(٣) « ثم نراه يعود إلى مجلس أستاذه الأول في مبدأ سنة ست » وقد بلغ من العمر أربعة عشر عاماً^(٤) ، فيلازمه إلى آخر عمره سنة ٤١٢^(٥) . غير أن العلم

(١) حيث كان يدرس ابن رزقويه : تاريخ بغداد ١ : ٣٥١ و ٣ : ٣٥٦

(٢) تاريخ بغداد ١ : ٣٥١ والمنتظم ٨ : ٥ وذكرت المصادر الآتية أن أول سماعه سنة ٤٠٣ : المالكي في تسمية ما ورد به الخطيب دمشق ١٧ ، المنتظم

٨ : ٢٦٥ ارشاد ٤ : ٣٠ شعبة ١٣٧ ، البداية ١٢ : ١٠١

(٣) البداية ١٢ : ٣

(٤) تاريخ بغداد ١ : ٣٥١

(٥) المنتظم ٨ : ٥

الذي يأخذ على نفسه متابعتها هو الفقه ، وكأنه اطلق العزم في أن يصبح فقيهاً ، فأقبل على دروس أحمد بن محمد المحاملي ، يتفقه عليه قبل غيره من الشيوخ ^(١) ، ولنعم الاختيار كان اختياره فقد كان المحاملي شيخ الشافعية ببغداد ^(٢) .

ثم ينتقل بين أساتذة الفقه ، فيقف عند أبي الطيب الطبري طاهر بن عبدالله ، فلا يتسنى له أن يرى « أكل اجتهداً وأشدّ تحقيقاً وأجود نظراً منه » ^(٣) « فيلازمه سنين » ^(٤) ، ويعلق الفقه عنه ^(٥) مع شيء من الخلاف ^(٦) بين المذاهب الفقهية .

درسه للحديث

ويبدو لنا أنه درج في طريق الفقهاء ، وأنه بعد أن حضر ، وهو غلام ، مجالس التحديث سئمها ، ورغب عنها إلى الفقه . ولكنه يخطئنا في ظننا ، فهو لا يزال يختلف إلى حلقات الحديث ، وهو إذا أمّ عرضاً عكبراً قبل الثامنة عشرة من عمره هرع إلى

(١) تاريخ بغداد ٤ : ٣٧٢

(٢) شذرات الذهب ٣ : ٢٠٢

(٣) كما يقول أبو اسحاق الشيرازي: تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١ : ٢٤٧ : ٢٤٧

(٤) التهذيب : النص السابق ، شذرات الذهب ٣ : ٢٨٤

(٥) مالكي ١٧ ، المنتظم ٨ : ٢٦٥ ، شبهة ١٣٨ ، سبكي ٣ : ١٣

(٦) عن ابن النجار في شبهة ٢١٤٠ وتذكرة ٣ : ٣١٩

درس محدثها ، يكتب عنه ^(١) . ولا يزال يكتب عن شيوخ بغداد المعروفين ، لا يدع أحداً منهم ، حتى يزن يوماً الكفتين ، فإذا كفة الحديث ترجح على كفة الفقه ، وإذا الخطيب يقرّ العزم على أن يصبح محدثاً ، فيعمد إلى اسلوب المحدثين في جمع الحديث على المشايخ : ألا وهو الرحلة ، فيسافر عام ٢١٢ إلى البصرة ، ويسمع مشايخها ^(٢) ، ويمر في طريقه على الكوفة ، فيأخذ عن فيها من المحدثين ^(٣) .

ظهور فضله ووفاته والده

حتى إذا قفل راجعاً إلى بغداد ، ظهر فضله في مجالس التحديث وتفرد ببعض ما جمعه روايةً من الحديث ، فافتقر استاذاه أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الأزهري إلى الاستشهاد ببعض رواياته في تصانيفه ، فسأله أن يقرأها عليه ، فجلس مجلس المحدث ، وقرأ على شيخه ما أراد ^(٤) . وكذلك تألق نجمه ، وصار الناس يقتبسون من علمه ، ورأى والده ثمار قصده ومناه ، فمُتت نفسه فرحاً . ولكن ذلك لم يدم

(١) تاريخ بغداد ٨: ١٠٤

(٢) تاريخ بغداد : ١٧: ٤١٧ المنتظم ٨: ٢٦٥ شعبة ١٣٦: ٣ ، سبكي ٣: ١٢ ،

تذكرة الحفاظ ٣: ٣١٢

(٣) ارشاد ٤: ١٥٠

(٤) حاتم ٨٧ ، تبين كذب المفتري لابن عساكر ٢٧١ ، ارشاد ٤: ٣٢ ،

شعبة ١٣٨

ظويلاً ، فقد توفاه الله يوم الأحد للنصف من شوال من السنة
نفسها ، ومشى الخطيب في جنازة والده من يومه هذا إلى مقبرة
باب حرب ، حيث وراه التراب ^(١) ، وبكى لفقده .
وختمت سنة ٤١٢ ، والخطيب يتيم ، مكسور النفس ، ولكنه
محدث له علمه ، وشاب له مستقبله ، ورجل له عزمه .

عزمه على الرحلة

ولا يمل من جمع روايات مشايخ بغداد ، حتى يستنفدها جميعاً ، فإذا
رمى إلى غيرها ، لم ير أمامه إلا الرحلة ، إما إلى مصر ، وفيها من
المشايخ أصحاب الروايات العالية عبد الرحمن بن النحاس (- ٤١٦)
أو إلى نيسابور ، وفيها أصحاب الحفاظ أبي العباس محمد بن يعقوب
الأصم (- ٣٤٦) وتلامذته ، وعددهم كبير ، فلا يدرى أيتهما
يقدم ؛ فيستشير شيخه البرقاني ، فيقول له : « إنك إن خرجت
إلى مصر ، إنما تخرج إلى رجل واحد ، إن فاتك ضاعت رحلتك ؛
وإن خرجت إلى نيسابور ، ففيها جماعة ، إن فاتك واحد ، أدركت
من بقي ^(٢) » فيتصوب رأي أسعاده ، ويعتمد على السفر إلى نيسابور .

(١) تاريخ بغداد ١١ : ٣٥٩

(٢) شعبة ٢١٣٧ ، تذكرة ٣ : ٣١٤ ، سبكي ٣ : ١٢

كتاب البرقاني إلى أبي نعيم يوصي به

ويجيزه البرقاني برسالة إلى الحافظ أبي نعيم ، محدث أصبهان ،
يقول في فصل منها ، يصف الخطيب والدرجة التي بلغها في طلبه
الحديث ، وبوصي به :

« وقد رحل إلى ما عندك عمداً متعمداً أخونا أبو بكر أحمد بن علي
ابن ثابت ، أيدته الله وسلمه ، ليقتبس من علومك ، ويستفيد من
حديثك ، وهو ، بحمد الله ، ممن له سابقة في هذا الشأن حسنة ،
وقدم ثابتة ، وفهم به حسن ، وقد رحل فيه وفي طلبه ، وحصل له
منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله الطالبين له ، وسيظهر لك منه عند
الاجتماع من ذلك مع التورع والتحفظ وصحة التحصيل ما يحسن
لديك موقعه ، وتجمل عندك منزلته . وأنا أرجو ، إذا صحت منه
لديك هذه الصفة ، أن تلين له جانبك ، وأن تنوفر له ، وتحتمل
منه ما عساه أن يورده من ثقل في الاستكثار ، أو زيادة في
الاصطبار ، فقديمًا حمل السلف عن الخلف ما ربما ثقل ، وتوفروا على
المستحق منهم بالتخصيص والتقديم والتفضيل ، ما لم ينله الكل منهم ^(١) »

(١) عن أبي القاسم النسيب في تاريخ دمشق ١: ٤٠٠ وإرشاد ٤: ٤١

رحلته إلى نيسابور وأصبهان

ومجد الخطيب رفيقاً في رحلته وفتى مثله ، يصغره بسنة ، وهو أبو الحسن علي بن عبد الغالب ^(١) ، فيسيران معاً ميممين شطر نيسابور في أوائل عام ٤١٥ ، والخطيب لما يبلغ الثالثة والعشرين من العمر . ويدخلان الري فخراسان ^(٢) ، ولا يستهل شهر ذي القعدة حتى يكون الخطيب في نيسابور ^(٣) . ولا ندري كم يمكث بها ، وكيف كان رحيله منها إلى أصبهان وهمدان والجلال والدينور ، وكم طال غيابه عن بغداد ^(٤) ، بل نعرف أنه لقي في رحلته مشايخ عديدين ، تلقف منهم علمهم ، فعاد راويةً كبيراً .

مطلع النجد في حياته

ها هو ذا في بغداد سنة ٤١٩ يُسمع أثبت شيوخه الحافظ أبا بكر البرقاني بعض ما يرويه ^(٥) ، ويذاكره بالأحاديث ، فيكتبها

(١) وفيات تاريخ الاسلام للذهبي ، أحمدية حلب ١٢٢٠ ، ١٤٨ في وفيات سنة ٤٣١

(٢) تاريخ بغداد ١١٥:١١

(٣) تاريخ بغداد ٦٧:٥ وإن كان بلغ نيسابور قبل مستهل ذي القعدة

فهو لم يكن قد بلغها في شعبان : تاريخ بغداد ٣٨٣:١٠

(٤) لعل قوله في تاريخ بغداد ٢٧٣:١١ يدل على أنه عاد إلى بغداد قبل

عيد الفطر من سنة ٤١٧

(٥) المالكي ١٧ ، التبيين ٢٧١ ، شعبة ١٣٨

عنه شيخه ، ويضمنها جموعه ويقول في دروسه : حدثنا أبو بكر الخطيب ، وهذا حاضر يسمع ، ويدكر اسمه في دروسه ، وهو غائب أيضاً ^(١) . فلا جرم أن تلك السنة (٤١٩) كانت مطلع المجد في حياة الخطيب : أصبح فيها محدثاً ، يأخذ عنه الأكابر ، ويدكر اسمه في مجالس التحديث .

هو في هذا في السماع أم هوس

غير أن همته لا تنفتر في طلب العلم ؛ وما ذا يطلب منه بعد الذي توفر له فيه ؟ يبدو لي أنه لم يعد في حاجة كبيرة إلى الازدياد من روايات جديدة أو قراءات ثانوية ، ويخيل إلي أنه أصبح كجامع الكتب ، رأى خزانته ، وقد شحنت ، ولم يعد فيها محل لمزيد ، فأخرج أسفارها القديمة البالية ، فشرع يستبدلها بنسخ قيمة جميلة ، يباهي بحسن طبعها ، ونعومة ورقها ، وصورها الفاخرة . ولكن كيف يستبدل الخطيب علمه بجديد منه لا يختلف عن القديم بالمادة . إن ذلك إلا يكون بالسماعات العالية ، وهو أن يقرأ كتبه نفسها على شيخ ، سمعها بسند رجاله أقدم سماعاً أو أوثق رواية . وخذ لك مثلاً صحيح البخاري ، أصبح كتب الحديث ، يقرأه الطالب في أوائل دراسته ؛ والخطيب قرأه ولا شك فيما سبق له من السماع ،

(١) تاريخ دمشق ٣٩٨:١ و ٤٤٧:١ وشبهة ٢١٣٧ وتذكرة ٣: ٣١٤

ولكن إسماعيل بن أحمد الخيري ، شيخ من أهل نيسابور ، هو
بغداد سنة ٤٢٣ في طريقه إلى الحج ، ويمنع القافلة السير إلى مكة
فساد الطريق ، ويعرف الخطيب أن هذا الشيخ قد قرأ البخاري على
أبي الهيثم الكشميني بسماع قديم ، يوصله إلى مؤلفه بسند وثيق ،
صغير الحلقة . ويكون الشيخ قد تهيأ للعودة إلى نيسابور . ولنسمع
الآن الخطيب نفسه يتم سرد الحادثة فيطلعنا على هوى بالسماع ،
يفوق هوى الكتب ، قال :

« ولما كان قبل خروجه بأيام ، خاطبته في قراءة كتاب
الصحيح ، فأجاني إلى ذلك ، فقرأت جميعه عليه في ثلاثة مجالس ،
اثنان منها في ليلتين ، كنت أبتدي بالقراءة وقت صلاة المغرب ،
وأقطعها عند صلاة الفجر ؛ وقبل أن أقرأ المجلس الثالث ، عبر
الشيخ إلى الجانب الشرقي مع القافلة ، ونزل الجزيرة بسوق الجزيرة ،
فضيبت إليه مع طائفة من أصحابنا ، كانوا حضروا قراءتي عليه
في الليلتين الماضيتين ، وقراءت عليه في الجزيرة من ضحوة النهار إلى
المغرب ، ثم من المغرب إلى وقت طلوع الفجر ، ففرغت من الكتاب ،
ورحل الشيخ في صبيحة تلك الليلة مع القافلة ^(١) . » أترى هذا

هوى أم هوس ؟ إنه على كل حال توثق في العلم ، و كفى بذلك شرفاً .

هل كان خطيباً

وننقطع الأخبار عن حياة أبي بكر حتى سنة ٢٤٢ ، ولا ندرى ماذا كان يفعل خلال خمس وعشرين سنة مضت ، و كيف كان يعاش ، وهل كان له عمل رسمي ، يتقاضى عليه راتباً . وتذكر بعض النصوص ^(١) أنه كان خطيباً للجمعة والعيدين في بغداد ^(٢) ، والأصح أنه كان يخطب بقرية من قرى بغداد ، كما يقول النخشي ^(٣) ، ولعلمها درزيجان ^(٤) ، تلك القرية الواقعة جنوب غربي بغداد التي كان يخطب بها والده ، ولعله ورث هذه الوظيفة عنه ^(٥) .

تصنيفه للتاريخ

ومهما يكن من ذلك فنحن نعرف — وذلك هو الأمر الخطير —

(١) إرشاد ٤ : ٢٩ وبداية ١٢ : ١٠٣

(٢) روضات الجنات ص ٧٨

(٣) في الارشاد ٤ : ٢٩

(٤) والذي يؤيد ذلك أن صاحب عقد الجمان القسم الثاني من الجزء ١٥

ص ٢٧١ قال : « وسمي الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريجان » وكلمة درزيجان تصحف بدرب ريجان

(٥) وذكر في البداية ١٢ : ١٠٣ أنه كان خطيباً

أنه كان يعمل في تلك المدة على تصنيف تاريخ بغداد ، ذلك المؤلف الذي خلد اسمه ، وحفظ له أكبر شهرة في التاريخ . ولم تأت سنة ٤٤٤ التي خرج فيها للحج ، حتى كان لذلك المصنف اسمه وفصوله ، ومادته وأسلوبه ؛ فسوف نراه عما قريب يدعو الله عند زمزم أن يدرس ذلك التاريخ ببغداد ؛ ويبدو لي أن من دوافع عزمه على الحج في تلك السنة أن يختتم تصنيف تاريخ بغداد بالحج ، شاكرًا ربه على توفيقه به .

في طريقه إلى الحج

ويخرج من بغداد سنة ٤٤٤ في بريد السماوة^(١) ، ويقص علينا أبو الفرج الإسفرائيلي بعض سيرته في طريقه فيقول : « كان الخطيب معنا في طريق الحج ، فكان يختتم كل يوم ختمة إلى قرب الغياب قراءة ترتيل ، ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون حدثنا فيحدثهم^(٢) . » ويكسب أجر إسماعيلهم للحديث ، ويكسبون علمًا ومعرفةً ؛ ويدخل دمشق سنة ٤٤٥ ، ثم صور فيسمع بهما على بعض الشيوخ^(٣) .

(١) الانساب ١٢٥٧

(٢) حاتم ١٨٨ ، تاريخ دمشق ١ : ٤٠٠ التبيين ٢٦٨ ، شعبة ١٣٨ ،

تذكرة ٣ : ٣١٦ سبكي ٣ : ١٤

(٣) شعبة ١٣٨ و ٢١٣٦ و ١٣٧

دعاؤه عند زمزم

و يدخل مكة ، فيقضي فريضة الحج ، ويتجه إلى زمزم ،
 فيشرب منه ثلاث شربات ، ويسأل الله تعالى ثلاث حاجات ،
 أخذاً بقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ماء زمزم لما شرب له » :
 فالحاجة الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد ببغداد ، والثانية أن يبلي
 الحديث بجامع المنصور ، والثالثة أن يدفن عند قبر بشر الحافي ^(١) .

حبه للعلم وللبغداد

تلك هي الحاجات الثلاث التي ملكت على الخطيب نفسه ،
 فصورت لنا أمنيته في الحياة ، وأفهمتنا طبيعته . وإذا هو يفكر في
 علمه ، ويرغب في نشره ؛ ولكنه متعلق ببغداد وبمجلقاتها وجموعها .
 فلا يتمنى أن تكون قراءته لتاريخ بغداد إلا فيها ^(٢) ، ولا يرجو
 أن تسمع رواياته في الحديث إلا في جامع المنصور منها ، حيث

(١) عن الخطيب نفسه في تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، إرشاد ٤ : ١٦ شبهة
 ١٣٨٢ ، تذكرة ٣ : ٣٦٥ ، سبكي ٣ : ١٤ وهناك رواية ثانية وردت في المنتظم
 ٨ : ٢٦٩ وهي أن يدخل بغداد وأن يروي بها وأن يموت بها وأن يدفن بجنب
 بشر ويشابهها ما ورد عن ابن شافع في نقطه ١٥ ورواية ثالثة لعلها من وضع
 خصومه وهي أن يملك ألف دينار وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور : بداية
 ١٢ : ١٠٢ والرواية التي أثبتناها في المتن هي أحسن لأنها مروية عن الخطيب نفسه .
 (٢) أنظر ما يقوله الخطيب في غحاسن بغداد مما يفسر حبه لها : تاريخ بغداد

أخذ عن خير شيوخه ؛ وجهه لبغداد إنما يرمى بطرف خفي إلى حبه للعلم ، فبغداد كانت ميدانه ومسرحه ، يجتمع فيها خير أهله ، وأحسن أحبته ، يتبارون فيها بمعارفهم وحفظهم وتصانيفهم ؛ وجامع المنصور منها إنما تجتمع فيه خير حلقات الحديث .

ولا أنكر أن محبته لبغداد وجامع المنصور ثبتت في نفسه ، وانفصلت عن حبه للعلم ؛ فقد نشأ فيها ، واستحسن محاسنها ، وتعشق أهلها ؛ فلا عجب أن فضلها وآثرهما . اسمع إلى أين وصل به الحب لهما : دخل بعض الأكابر جامع دمشق أو صور ، ورأى حلقة عظيمة للخطيب ، والمجلس غاص ، يسمعون منه الحديث ؛ فصعد إلى جانبه ، وكأنه استكثر الجمع فقال له الخطيب : « انعود في جامع المنصور مع نفر يسير أحب إلي من هذا »^(١) . أحب الخطيب العلم ، وأحب به بغداد وجامع المنصور منها ، فدعا الله أن يهيء له بهما قراءة تاريخه وأحاديثه .

ذكره الموت

ثم لم يفس حين إتجاهه بالدعاء إلى الله تعالى أنه ميت ، فابتهل إليه تعالى بأن يهيء له جواراً حسناً بعد وفاته ، حتى إذا بعث الناس

(١) عن السمعاني في الارشاد ٤ : ٣٠ وانظر عن إشداته ببغداد وظرفها

من قبورهم يوم القيامة ، خرج من قبره ، فوقع نظره على بشر بن الحارث الحافي (٢٢٧ —) ، وهو رجل لم تدنس نفسه الدنيا ^(١) ، ووقع على مجاورين من خلاصة الأمة الإسلامية ، دفنوا بمقبرة باب حرب ، كأحمد بن حنبل وغيره من الأعلام ^(٢) . وفي كل من الحاجات الثلاث نبل وتقى وعفة . وسترى فيما يلي كيف حققها الله له .

تزوده من مكة بالسماع وعودته إلى بغداد

ويسمع في مكة من القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، ويقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزية ^(٣) ؛ وكان سماعها لهذا الكتاب أقدم سماع في عصرها ^(٤) . ويعود إلى الشام ، فيمر على بيت المقدس ^(٥) ، ويكون في صور سنة ست وأربعين وأربعمائة ^(٦) ، ثم يعود إلى بغداد .

تصحيحه للأحاديث في بغداد

وفي بغداد يحظى الخطيب عند رئيس الرؤساء شرف الوزراء بجمال

-
- (١) أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧ : ٦٧ — ٨٠ وتاريخ دمشق ٢ : ٢٨٢
(٢) انظر رواية الخطيب عن هذه التربة : تاريخ بغداد ١ : ١٢١
(٣) عن السمعاني شنبه ١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٤ وسبكي ٣ : ١٢ وعن غيره في المنتظم ٨ : ٢٦٥ وإرشاد ٤ : ١٨ وبداية ١٢ : ١٠٣
(٤) شذرات ٣ : ٣١٤
(٥) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢١
(٦) تاريخ بغداد ١١ : ٣٤

الورع أبي القاسم علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن المسلمة^(١)
وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله منذ سنة ٤٣٧ . وأظن الاتصال
وقع بينهما عن طريق العلم ، فالخطيب يصرح بأنه كتب عنه ،
ويصفه بأنه « اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد قبله »^(٢) .
ويعتمد هذا الوزير على الخطيب « ويتقدم إلى الخطباء والوعاظ أن لا
يزروا حديثاً حتى يعرض عليه ، فما صححه أوردوه ، وما ردّه لم
يذكروه »^(٣) وبذلك أصبح صاحب الحديث في بغداد ، وتلك مرتبة
لم يدع الله عند زمزم أن ينالها فأنتمه عفواً .

إملاؤه الحديث بجامع المنصور

ولعله لم يكن يبالي بها كثيراً ، بل كان همه أن يسمح له
بالتحديث في جامع المنصور . وكان يعز عليه ، وتأبى عليه نفسه أن
يسفك ماء وجهه عند أقرانه من أصحاب المراتب ، ليتوسطوا له
عند الخليفة بذلك السماع ، وإذا هو يجد العلم خير سبيل لأمنيته :
فقد وقع إليه جزء حديث ، فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله ، وفتح
الله عليه ، فأخذ الجزء ، ومضى إلى دار الخلافة ، وطلب الإذن

(١) المنتظم ٨ : ٢٦٥

(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٢٩١

(٣) إرشاد ٤ : ١٩ شعبة ٢١٣٩ ، تذكرة ٣ : ٣١٧

في قراءة الجزء ، فقال الخليفة : هذا رجل كثير الحديث ، وليس له في السماع من حاجة ، ولعل له حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك ، فسلوه ما حاجته ، فسئل فقال : حاجتي أن يؤذن لي أن أُملي بجامع المنصور ، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بالإذن له في ذلك ، فحضر النقيب^(١) « إلى جامع المنصور ، واجتمع الناس ، وأُملي الخطيب الحديث ، وتم له ما دعا الله به ، دون أن يتخذ لذلك واسطة غير العلم ، وأي عار في أن يتخذ المرء أغز شيء عنده شفيعاً .

كشفه تزوير كتاب عن الرسول

وما زال يزداد طالعه إقبالاً ؛ وهالك حادثة جرت له سنة ٤٤٧^(٢) ، تناقلتها الركبان ، وهجس بمثلها كبار العلماء ؛ ذلك أن^(٣) « بعض اليهود أظهر كتاباً ادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة . وذكروا أن خط علي فيه ، وحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ، فعرضه على الخطيب ، فتأمله ثم قال : هذا مزور . قيل له من أين قلت ذلك ؟ فقال من

(١) عن المؤتمن الساجي : تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، إرشاد ٤ : ١٦ ، شبهة

١٤٠ ، تذكرة ٣ : ٣١٨

(٢) الاعلان بالتوبيخ ١٠

(٣) المنتظم ٨ : ٢٦٥ ، إرشاد ٤ : ١٨ ، شبهة ٢١٣٩ ، تذكرة ٣ : ٣١٧

شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح ، [في شهر رمضان سنة ٨ هـ]^(١)
وفتحت خيبر سنة ٧ (في صفر)^(٢) ؛ وفيه شهادة سعد بن معاذ ، ومات
يوم بني قريظة قبل خيبر بستين^(٣) ، فاستحسن ذلك منه ، ولم يجزهم
على ما في الكتاب . وكتب رئيس الرؤساء كتاباً « عن الخليفة
القائم بأمر أمير المؤمنين في أخذ الجزية من اليهود الخيابة » ، وبيان
حديثه فيما يدَّعونه من إسقاطها عنهم ، وإبطال الكتاب الذي بأيديهم
في ذلك^(٤) . وكتب عليه الأئمة أبو الطيب الطبري وأبو نصر
ابن الصباغ ومحمد بن محمد النيسابوري ومحمد بن علي الدامغاني وغيرهم^(٥)
ولعمري كان ذلك نجاحاً باهراً ، ترك من بعده أكبر الأثر ،
فقد اتخذ خليل بن أبيك الصفدي حجة في فضل علم التاريخ^(٦) ؛ ونعم
الأثر هذا .

(١) سيرة ابن هشام ، مصر ١٣٤٦ ، ٢ : ٢٥٩

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٨

(٤) وضع هذا العنوان لنسخة ذلك الكتاب في ظهر تسمية الكتب التي ورد
بها الخطيب دمشق ، ظاهريه مجموع ١٨ : ٢٨ ولكننا لم نر صورة تلك النسخة ولملأها
أهملت أو سقطت .

(٥) الاعلان بالتوخيخ ١٠ - ١١

(٦) الوافي بالوفيات ، طبعة استانبول ١ : ٤٤ ويحاول ابن كثير أن يخفف
من قيمة هذا الحادث فيقول إن « الخطيب سبق إلى هذا النقد : سبقه محمد بن -

تصنيفه للكتب

وينقطع الخطيب إلى التصنيف في هذه المدة ، ينجز ما وعد به في تاريخ بغداد^(١) ، ويهيئ للبياض مصنفات أخرى ، ويعمل بمجد متواصل ، وهمة عليّة ، ورغبة شديدة ؛ حتى إذا طلع هلال صفر سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وجدناه قد أعدّ معظم مؤلفاته للنشر والتدريس^(٢) ؛ وناهيك بها فقد جاوزت عشرة آلاف ورقة أو سبعين مجلداً كما ستراه . وبعد أترأه كان يستطيع أن يعبأ بغير التصنيف والتدريس وتصحيح الأحاديث ، وتلك التصانيف جمّة واسعة مهمة : ألا إنه حقاً لم يكن يعني يومئذٍ إلا بالعلم ، وكفى بالعلم عنده مؤنساً وصديقاً .

— جرير كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد « البداية ١٢ : ١٠١ ، ولكن لم يتح لنا أن نطلع على هذا المصنف فنعرف كيف سبقه والذي يبدو أن ابن جرير الطبري حج خصوصاً له بحجج تاريخية كما فعل الخطيب ، وليس ذلك على مؤرخ الاسلام بعجيب .

(١) مناقب الشافعي : تاريخ بغداد ٢ : ٧٣

(٢) ذكر المالكى تصانيف الخطيب حتى سنة ٤٥٣ فلم يغادر منها إلا الرباعيات (رقم ٢٣) من فهرسة مصنفاته والمسلسلات (رقم ٢٧) والنصيحة لأهل الحديث (رقم ٣٥) وخطبة عائشة (رقم ٥٠) والمنتخب من الزهد (رقم ٥١) والتنبيه (رقم ٥٣) وتميز المزيّد (رقم ٦٢) وروايات السنة (رقم ٦٦) سوى ما خرّجه من الأحاديث من روايات غيره . ويكاد ذلك لا يعد تأليفاً .

قصته في حادثة البساسيري

وقد كان بلا ريب سعيداً بهدوئه ، منشرح الصدر إلى العمل ، ولكن أنى له أن ينعم بالطمانينة الدائمة ، وليس نعيم إلا تلاه اضطراب . وهذه بغداد تشهد انقلاباً في السياسة خطيراً ، كادت تصيبه سهامه ، لولا أنه آثر الهزيمة على شرف الاضطهاد ، لئلا يحال بينه وبين العمل الذي خلق له .

وقصة ذلك أن رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة كان عقد عهداً بين الخليفة وطغرل بك لينجي العراق من خطر الفاطميين المداهم ، وأعطى هذا العهد ثمرته من الهدوء ، حتى كانت سنة (٤٥٠) ، وفيها اضطرت طغرل بك إلى الخروج إلى مقاتلة الموصلية ، أحد العاصين ، وفرغت بغداد من حاميتها ، وكان أبو الحارث أرسلان البساسيري ، مقدم الأتراك ببغداد ، قد غادرها منذ دخلها طغرل بك سنة ٤٤٧ ، وجمع حوله عدداً من المخالفين ، ودعا للمستنصر الفاطمي ؛ فلما سمع بخروج طغرل بك ، اتجه إلى بغداد ^(١) . ولنستمع الآن إلى الخطيب يقص علينا مشاهداته في ذلك ، قال : فلما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة ، تحقق الناس كونه البساسيري بالأنبار ، ونهضنا إلى صلاة الجمعة بجوامع المنصور ، فلم يحضر الإمام ، وأذن المؤذنون

بالظهر ، ثم نزلوا من المأذنة ، فأخبروا أنهم رأوا عساكر البساسيري
 حذاء شارع الدقيق ، فبادرت إلى أبواب الجامع ، فرأيت من
 الأتراك البغداديين أصحاب البساسيري نفرًا يسيرًا ، يسكنون
 الناس ، ويعدون إلى الكرخ ؛ فصلى الناس في هذا اليوم بجامع
 المنصور ظهرًا أربعًا من غير خطبة . . . فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر
 من ذي القعدة ، دعا البساسيري لصاحب مصر في الخطبة . . . فلما
 كان يوم الاثنين ٢٨ من ذي الحجة ، شهر الوزير على جمل ، وطيف
 به في محال الجانب الغربي ، ثم صلب حيًّا بباب خراسان^(١) .

اضطهاد بعض الخنابلة له

ونشهد بهذه المناسبة عنصرًا في حياة الخطيب ، لم يتسنّ لنا بعد
 التعرّض له : ألا وهو علاقته بالخنابلة ؛ ولسنا ذكرين هنا إلا
 ما استحكت صلته بما نحن بصددده ، على أن نستوفي البحث فيما بعد .
 كان الجفاء قد استحکم بين الخطيب وبعض الخنابلة ، على أثر
 اتهامهم إياه بالميل إلى البدعة ، واضطهادهم له . وتعرض الخطيب
 لعلمائهم بتاريخ بغداد راويًا أخبارًا عنهم ، عدوها تحاملاً عليهم ،
 وإيقاعًا بهم ؛ فتربصوا به الدوائر ، حتى كانت فتنة البساسيري ،
 وصلب الوزير ابن المسلمة صديقه ؛ فساحت لهم الفرصة ، فصاروا

بوؤذونه بجامع المنصور في أوائل سنة ٤٥١^(١) بشتي الأساليب ،
ويكيدونه بما يعجز عن رده وهالك بعض ما كانوا يفعلونه^(٢) :

« جاء جماعة من الحنابلة يوم الجمعة الى حلقة الخطيب بجامع
المنصور ، فناولوا حديثاً صبيح الوجه ديناراً ، وقالوا له : قف بإزائه
ساعة ، وناولوه هذه الرقعة ، فناوله الصبي ، وإذا فيها : « ما تورع
ناقل القصة من ذكره » ، وكانوا يعطون السقاء قطعة يوم الجمعة ،
فكان يقف من بعيد بإزائه ، ويميل رأس القربة ، وبين يديه أجزاء
فيبتل الجميع ، فتتلف الأجزاء ؛ وكانوا يطينون عليه باب داره
في الليل ، فربما احتاج الى الغسل لصلاة الفجر فتفتوته »

هجرته إلى دمشق

ويخشى نفاق الحال ، ولا ناصر له ، والسلطان بيد من لا يأمن على
نفسه منه ، فيستتر ويخرج من بغداد^(٣) ، يوم النصف من صفر سنة
إحدى وخمسين^(٤) مصطحباً تصانيفه وكتبه وسماواته ، ميمماً شطر

(١) إرشاد ٤ : ١٥

(٢) يقص علينا ذلك ابن طاهر (تأنيب الخطيب لمحمد زاهد الكوثري ١٢)
وبالرغم من أن ابن طاهر ضعيف عندنا حين يتعرض للخطيب لأنه كان وقاعة
فيه فأننا لا نرى هنا له غاية في الوضع إلا ما يغمز به الخطيب من التفاته إلى الصبي

(٣) المنتظم ٨ : ٢٦٦ ، إرشاد ٤ : ١٥

(٤) تاريخ بغداد ٩ : ٤٠٣ عنه ابن القلانسي ٨٩ ، وذكر خروجه دون -

دمشق ، نالوياً أن يستوطن بها . وبلغها سالماً ، وانتهى إليه بها في عيد الأضحى أن الخليفة تخلص من محبسه ^(١) ، وكان قد رآه أسيراً . ثم قتل البساسيري ، وطيف برأسه ببغداد في يوم الخامس عشر من ذي الحجة ^(٢) ، بعد رجوع طغرل بك إليها ؛ وبذلك عادت المياه إلى مجاريها ، وكان قد استقر في دمشق ، واتخذ المأذنة الشرقية من جامعها مسكنًا له ، فلم يفكر بالعودة ، مع أن دمشق يومئذ تابعة للفاطمين ، والأذان بها « حي على خير العمل » ^(٣)

تدريسه في الجامع الأموي

واتخذ لنفسه حلقةً كبيرةً بجامع دمشق ، يجتمعون في بكرة كل يوم ، ويحدث فيها بعامة كتبه وتصانيفه التي أحضرها معه ^(٤) ؛ ويحضر قراءة كتب الأدب منها الخطيب التبريزي ، صاحب شرح الحماسة المشهور (وكان يسكن منارة الجامع ^(٥)) ، وكان أبو بكر

— تفصيل السمعاني في شعبة ١٣٨ وابن شافع في شعبة ١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٥ ونقطة ، ١٥

(١) تاريخ بغداد ٩ : ١٠٣

(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٢

(٣) الأسنوى ، طبقات الشافعية ظاهرية تاريخ ٤٦ في أواخر الربع الأول

(٤) تجد تعدادها جميعاً في مصادر ثقافته وذكر تدريسه لها ، شعبة ١٣٧

(٥) إرشاد ٤ : ٣٢ — ٣٣ شعبة ١٣٨ تذكرة ٣ : ٣١٥

الخطيب يرفع صوته في التدريس ، حتى يسمعه من في آخر الجامع ^(١) ،
فكان صوته يدوي فيه ، وعلمه ينتشر ، وفضله يظهر .

إلقته الإقامة في دمشق

ويكثر طلابه ، ويتعدّد أصحابه ، ويأنس الى دمشق ، فيختلف
إلى غوطتها الخلابة ، وبوئمُ بساتينها ، لا للسمر وإضاعة الوقت ،
بل لقراءة كتب الأدب الظريف ، وصحائف الحكمة الطريفة ،
في ظلّ من الأشجار ، وقرب الأنهار ، مما يبعث في النفس الشعر
الرائع ، والقول الخلّاب ، والحكمة المستطرفة ، ويقرأ كتابه في
« التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم » في هذا الجو الناعم ،
ويكتب على النسخة أين قرأها ، وعلى من تلاها ^(٢) . ويتصل
في مجالس العلم بروؤس المدينة وأمرائها ، غير غافل عن سماع
الحديث ، إن استطاع إليه سبيلاً ، فيسمع قطعاً من موطأ الإمام
مالك بمحضر « الأمير الجليل ناصر الدولة وسيفها ذي الجدين أبي
علي الحسين بن حمدان ، والقاضي أبي البركات عمرو بن محمد البرارني (?)
المالكي ، في مجالس من سنة إحدى وخمسين واثنتين وخمسين وأربعمائة ،

(١) عن التبريزي . شعبة ٢١٣٨ ، وتذكرة ٣ : ٣١٥ وبداية ١٢ : ١٠١

(٢) انظر هذا الكتاب طبعة القدسي ص ١٠٥

وبوقع السماع بخطه^(١) ولا يمضي عليه زمن ، حتى يدخل في أهل المدينة ،
فيعده الذهبي محدث الشام ، كما يعده محدث العراق^(٢) .

شعابة به

ولا يزال على ما وصفنا ، حتى يحلّ شهر صفر من سنة ٤٥٩ ،
وإذا النحس يفاجي ، وسوء الطالع يداهم ، ويضطر الخطيب إلى
الخروج من دمشق على أسوء مما خرج عليه من بغداد ، مهتداً بالقتل ،
معرضاً للإهانة . وذلك أنه كان بين الكتب التي سمعها ، وورد بها
دمشق ، فضائل الصحابة لأربعة لأحمد بن حنبل ، وفضائل العباس
لابن رزقويه^(٣) ، ولعل إنساناً سأله قراءتها عليه ، أو أنه انفق له
تدريسها عرضاً ، دون أن يقدر ما لذلك من الأثر ، فعرف تدريسه
لدينك الكتابين الحسين بن علي المعروف بالمقري الدمشقي ، وكان شيعياً
متعصباً ، « فسعى بأبي بكر إلى أمير الجيوش (٤٨٨ -) وقال : هو
ناصي [أي متعصب على علي بن أبي طالب] ، يروي فضائل الصحابة
وفضائل العباس في الجامع » ، فأمر أمير الجيوش بالتبض عليه^(٤) .

(١) نسخة الظاهرية بمجموع ٤٣ (١)

(٢) تذكرة ٣ : ٣١٢

(٣) انظر تسمية ما ورد به دمشق رقم ٤١٢ ، ٤١٤

(٤) تاريخ دمشق ٤ : ٣٤٩ وعنه الغاية في طبقات القراء ١ : ٢٤٦ ويقول
ابن كثير في البداية ١٢ : ١٠٢ : اتفق يوماً أنه قرأ فضائل العباس فثار عليه —

تحميل عليه

إلى هنا ينتهي ما ذكره من الحادثة الموثوقون بروايتهم لاخبار الخطيب . ويتابع ابن طاهر سرد الحادثة ، ولكنه يسبق ذلك بطعن في أبي بكر نرفضه لأنه كان وقاعاً به مضعفاً كما ستري^(١) ، فيقول : كان سبب خروج أبي بكر الخطيب من دمشق إلى صور أنه كان يختلف إليه صبي مليح . . . فتكلم الناس في ذلك ، وكان أمير البلد رافضياً ، فبلغته القصة ، فجعل ذلك سبباً للفتك به . وهو افتراء وباطل ، ويزيد من ينقلون هذه الحادثة عن ابن طاهر هذا كلاماً يدخلونه فيما رواه ، فيقولون : إن « الوالي هجم عليه ، فرأى الصبي عنده ، وهما في خلوة »^(٢) مع أن الملك المعظم نقل الحادثة من خطه ، فلم يرو هذه الزيادة المضافة إلى الافتراء^(٣) . ونعوذ بالله من التعصب المبطل للحق .

القبض عليه

وهاك بقية القصة كما رواها ابن طاهر نفسه ، ولم يغمز الخطيب

— الروافض وأتباع الفاطميين وأرادوا قتله . ويذكر الحادثة دون اسم الساعي شهية ١٤٠ وتذكرة ٣ : ٣١٨ وقد ورد في هذه المصادر « أخبار خلفاء بني العباس مكان فضائل العباس » وهو الأصح ولذلك أئبته في المتن .

(١) انظر ما تقوله في ذلك حين وصف الخطيب في اخلاقه

(٢) عن سبط ابن الجوزي في تأنيب الخطيب

(٣) الرد على أبي بكر للملك المعظم

فيها بشيء ، فجاز قبولها ، قال : « وكان صاحب الشرطة سنياً ،
فقصد الخطيب تلك الليلة مع جماعة ، ولم يمكنه أن يخالف الأمير
فأخذه ، وقال : قد أمرت فيك بكذا وكذا ، ولا أجد لك حيلة
إلا أن أعبر بك على دار الشريف ابن أبي الجن العلوي ، فإذا حاذيت
الباب ، اقفز وادخل الدار ، فأرجع إلى الأمير فأخبره بالقصة » .

شريف علوي يجبره وينقذه

ووجد الخطيب نفسه وقد حط به الدهر مرة أخرى ، يصيبه
بتعصب المتعصبين ، وكيد الجاهلين ، فتعوذ بالله ، وفكر بما
يعرضه عليه صاحب الشرطة ، فوجده قريباً من نفسه فقد كان اتصل
بالشريف أبي القاسم علي بن إبراهيم بن العباس بن أبي الجن بنسب العلم ،
فانتقى له فوائد منتخبة صحاحاً في أجزاء عديدة^(١) ، بعد معرفة وطيدة
وصحبة ، فكان من حقه عليه أن يدافع عنه ، أو أن يدفع الشر عن العلم
الذي يحمله ، وكان من رؤساء البلدة ، وممن لا اتصل إليهم يد الأمير .
وقبل الخطيب شاكراً عرض صاحب الشرطة ، وسار معه

(١) منها الجزء الرابع عشر في دار الكتب الظاهرية مجموع ٤٠ (٨) وورد
اسم ابن أبي الجن في النجوم الزاهرة ١٠٢ كما يلي أحمد بن علي بن محمد القاضي
أبو الحسين جلال الدولة الشريف العلوي ونسب إليه المؤلف هذه الحادثة قائلاً :
وهو الذي أجاز الخطيب البغدادي لما أمر أمير دمشق بقتله . وذكره في وفيات

متكللاً على الله « وكان الشريف ينزل في دار العقيلي »^(١) ، حيث تقوم دار الكتب الظاهرية اليوم ، ولا تبعد عن الجامع إلا خطوات ، فسار حتى حاذى الباب ، و « دخل دار الشريف ، فأرسل الأمير إلى الشريف أن يبعث به » ، وكان هذا قد فكر في حيلة بنجيه بها ، فما وجد إلا أن يأخذ بالتقية ، فيدعي سوء الظن بالخطيب وبارائه ، ويعتصم بالخطر الذي ينجم على الشيعة ببغداد ، إن قتله ، « فقال : أيها الأمير ! أنت تعرف اعتقادي فيه وفي أمثاله ؛ وليس في قتله مصلحة . هذا رجل مشهور بالعراق ، إن قتل ، قتل به جماعة من الشيعة ، وخربت المشاهد ، قال : فما ترى ؟ قال . أرى أن يخرج من بلدك ، فأمر بإخراجه »^(٢) وانتهت الحادثة دون أن يمس الخطيب بأذى ، وكان علمه ومكانته الحيلة في خلاصه ، حدث ذلك في صفر سنة ٤٥٩^(٣)

(١) بداية ١٢ : ١٠١ ونجوم ٥ : ٨٠

(٢) إرشاد ٤ : ٣٥ ، الرد على أبي بكر ١٧٧ ، شبهة ١٤٠ : تذكرة ٣ :

٣١٨ ، ابن القلانسي ١٠٥ — ١٠٦

(٣) مالكي ٢٧ وذلك خلافاً لما قاله في الارشاد ٤ : ١٥ وشبهة ١٣٨ من أنه خرج سنة ٤٥٧ فقد ذكر أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي خبراً أنبأه به الخطيب من أفضله بدمشق في شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (مجموع في الظاهرية برقم ١٧ ، من ٢١٤٥) فيكون خروجه من دمشق بعد ذلك كما روى المالكي نقلاً عن الاكفاني

إقامته بـصور واختلافه إلى القدس

وخرج الخطيب من دمشق في يوم الاثنين الثامن عشر من صفر سنة ٤٥٩ قاصداً صور ، وكانت ثاني بلاد الشام في الحديث بعد دمشق ، وأي بلد يقصد غير الذي يفيد فيه من علمه ، ويتصل فيه بأهل المعرفة والحديث ؟ وأين يقيم ، إذ لم يكن في جوار ذلك العلم ؟ أقام بجامع صور^(١) ، وتعرّف على عز الدولة الموصوف بالكرم ، وتقرب منه ، فانتفع به وأعطاه مالاً كثيراً^(٢) وطفق يتلو دروسه في العلم ، ويفقه فيه طلاباً به . وكان يتردد إلى البيت المقدس للزيارة ، ويعود إلى صور^(٣)

نهبه إلى بغداد

وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة يهيج به الشوق إلى وطنه ، وكأنه شعر بدنوّ أجله ، وكان قد أتمّ السبعين من العمر ، فعزم على الرحيل إلى بغداد ، وتكلم في ذلك مع تلميذه وصاحبه التاجر المحدث عبد المحسن بن محمد بن علي بن أحمد الشيعي ، فعرض

(١) شعبة ١٣٨ و ١٤٠ وتذكرة ٣ : ٣١٨

(٢) عن ابن شافع : شعبة ٢١٣٨ ، تذكرة ٣ : ٣١٥ نقطة ١٥

(٣) المالكي ٢٧ ، إرشاد ٤ : ١٥ وعن السمعاني : شعبة ١٣٨ و ١٤٠

هذا نفسه عليه ليحمله ، ويتعهد له أسباب سفر طويل متعب ، نخرج
بعهدته^(١) في شعبان من السنة المذكورة^(٢) ، يتبعان الساحل السوري ،
فدخلوا طرابلس ، وبقي فيها أياماً يسيرة .

مناظرته بطرابلس مع شيخ شيعي

وكانت طرابلس في حكم بني عمار المتشيعة . ولم يثن ذلك
الخطيب ، بعد الذي حدث له مع الشيعة ، عن استخدام علمه في
مناظرتهم بديارهم ؛ فهو بطل يبرز الى الميدان كلما دُعي إليه . وها هو
ذا ينظر الحسين بن بشر بن علي الأترابلسي المعروف بالقاضي ،
وهو شيعي^٣ صاحب خطب ، يضاهي بها خطب ابن نباتة . ويقول
الكراجكي الشيعي تلميذ المفيد إنه حكم له على الخطيب بالتقدم في
العلم^(٤) . ولو قال إنه حجه بهذه المناظرة ، لكان أقرب إلى التصديق ،
فلنقف عند قوله حتى يأتينا خبر ذلك عن مصدر آخر يؤيده^(٥) .

(١) المنتظم ٩ : ١٠٠ وبداية ١٢ : ١٥٣ وذكر شهية ٢١٣٨ أنه كان عديله

(٢) عن غيث الأرمنازي : مالكي ٢٧

(٣) لسان الميزان ٢ : ٢٧٥ ويسمع بطرابلس بعض رجال العلم فينقل عنهم :

تاريخ بغداد ١ : ١١٢ — ١١٤

(٤) للكراجكي في كتاب كنز الفوائد طبع الحجر مناظرات عديدة تدور
حول عصمة الأئمة ودحض القياس ويدعي أن له النصر فيها جميعاً .

في حلب ووصوله إلى بغداد

ثم توجه إلى حلب ، فأقام بها أياماً يسيرة ؛ ولم يدعها دون أن يحدث بها ما شاء الله له ؛ ثم قصد بغداد على الرحبة^(١) ، فكان له طول الطريق في كل يوم وليلة ختمة^(٢) . ووصل إلى بغداد في ذي الحجة من سنة ٤٦٢ ، بعد فراقٍ دام إحدى عشرة سنة . وكان مسروراً بعودته ، منشرحاً براحته في طريقه وعناية الشيعي به ، وفكر بأن يشكر له فضله هذا ، فوجد أن خير ما يجزيه به هدية نسخة من تاريخ بغداد له بخطه ، فأهداه إياها وقال : « لو كان عندي أعزّ منه لأهديته له »^(٣) وصدق : فلا أعزّ على الإنسان من كتاب وقف حياته على جمعه ، وصادف بأسبابه القبول عند كثير من الناس ، والمكروه عند آخرين منهم .

تحدثه بتاريخ بغداد في جامع المنصور وفي منزله

واسمقرّ في حجرة بباب المراتب بدرب السلسلة جوار المدرسة

(١) عن السمعاني : شعبة ١٣٨ و ١٤٠ وعن غيره إرشاد ٤ : ١٥

(٢) عن الشيعي شعبة ٢١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٦

(٣) المنتظم ٩ : ١٠٠ ولعل هذه النسخة هي التي وقفت بالمستنصرية وهي في

إثني عشر مجلداً (انظر مخطوطة الظاهرية حديث ٢٨٥ ، ١٤٠)

النظامية^(١) ، وصار يجتمع إليه العلماء في ذلك المنزل ، فيحدثهم بتاريخ بغداد ، وكان بينهم مكي بن عبد السلام المقدسي وأبو الفتح نصر بن إبراهيم الفقيه وغيرهم من المشايخ^(٢) . ويدعي ابن شافع أن البغداديين سمعوه منه في المدرسة النظامية^(٣) ولعله سقط من نصه قوله « في حجرة تلي » وذلك قبل قوله المدرسة النظامية ، وصار يحدث بذلك التاريخ أيضاً بجامع المنصور ، يقرأه عليه بحضرة الشيوخ والطلاب أبو منصور ناصر بن محمد بن علي التركي (٤٣٧ — ٤٦٨)^(٤) . وحدث أيضاً بسنن أبي داود وغير ذلك^(٥) .

مرضه وتوزيع ثروته

تلك هي الحوادث التي جرت له قبل أن يصاب بما ينهي حياته ، وهي حياة طويلة أسعده الله فيها بالعلم ، ورفع مقامه بين الناس . ومرض في نصف رمضان من سنة ٤٦٣ ، وكأنه شعر بدنوّ أجله ، فلم يشأ إلا أن يختم حياته بعمل صالح ، يودّعها به . وكان قد أحضر

(١) التبيين ٢٦٩ ، المنتظم ٨ : ٢٦٩ ، بداية ١٢ : ١٠٣

(٢) كما يستدل على ذلك من حلم رآه أولهم : التبيين ٢٦٩ ، شبهة ١١٤١

تذكرة ٣ : ٣٢١ سبكي ٣ : ١٥

(٣) في نقطة ، ١٥

(٤) المنتظم ٨ : ٣٠١ ، البداية ١٢ : ١١٤

(٥) المنتظم ٨ : ٢٦٦

معه من الشام ثروةً من الثياب والذهب « وما كان له عقب ^(١) ،
 فكتب إلى القائم بأمر الله . إني اذا متُ يكون مالي لبیت المال ،
 فأذن لي حتى أفرق مالي على من شئت ، فأذن له ^(٢) » فعهد إلى أبي
 الفضل بن خيرون بأن يفرق ثروته من الذهب ، وقدرها مايتا
 دينار ، على المحدثين ^(٣) . وعلى من يفرق ثروته ، إذا لم يكن عليهم ،
فهو رئيسهم وصاحبهم ، عاش عيشتهم ، وأدرك حاجتهم للمال ينفقونه
 في طلب العلم .

تلميذ يشكو إليه حاله

هذا قارئ التاريخ على الخطيب بجامع المنصور ناصر بن محمد
 يقص عليك ما أصابه من ذلك الذهب ، قال : « كنتُ أدخل على
 الخطيب وأمرضه ، فقلت له يوماً : يا سيدي إن أبا الفضل بن خيرون

(١) يخالف هذا القول نص ورد في الأنساب للسمعي ٢١٨٢ يخيل منه
 أن الخطيب جد السمعي ولكن هذا القول أثبت فلم نر فيما ترجم به السمعي
 ما يؤيد ذلك : انظر بصورة خاصة تذكرة ٤ : ١٠٧ والأنساب في مادة سمعي
 (٢) المنتظم ٨ : ٢٦٩ ، إرشاد ٤ : ٢٧ شبهة ١٤١ تذكرة ٣ : ٣١٦ ،

سبكي ٣ : ١٤

(٣) عن ابن خيرون : إرشاد ٤ : ٤٥ شبهة ١٤٩ تذكرة ٣ : ٣٢٠ ،
 سبكي ٣ : ١٥ . وعن ابن شافع أنه « تصدق بجميع ماله وهو مايتا دينار على
 أصحاب الحديث والفقهاء والفقراء في وصيته » : نقطة ١٥ وما ورد عن ابن
 خيرون يبدو أضبط .

لم يعطني شيئاً من الذهب الذي أمرته أن يفرقه على أصحاب الحديث ؛ فرفع رأسه من المخدة وقال : خذْ هذه الخرقه ؛ بارك الله لك فيها ؛ فكان فيها أربعون ديناراً ، فأنفقتها مدةً في طلب العلم^(١) .

وقفه كتبه ووفاته

وأوصى أن يتصدق بجميع ما يخلفه من ثياب وغيرها^(٢) . ووقف جميع كتبه وتصانيفه على المسلمين^(٣) ، وسلمها إلى أبي الفضل بن خيرون ، فكان يعيرها ، فصارت إلى ابنه الفضل ، فاحترقت في داره^(٤) . وفي غرة ذي الحجة أعيى بعد شهرين من ابتداء مرضه ، اشتدَّ به الحال وأيس منه . . . وتوفي رابع ساعة من ضحى يوم الاثنين سابع ذي الحجة^(٥) .

(١) عن ابنه الحافظ محمد : شعبة ١٤١ ، تذكرة ٣ : ٣٢٠

(٢) حاتم ٢٨٧ ، ونقطة ١٥ عن ابن شافع

(٣) حاتم ٢٨٧ نقطة ١٥ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٧

(٤) المنتظم ٨ : ٢٦٩ ، إرشاد ٤ : ٢٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ ، ١٣٣٣ وذكر السبكي ٣ : ١٣ أن بعض مصنفاته احترق بعد موته قبل أن يخرج إلى الناس . وقال الذهبي في تاريخ الاسلام ، أحمدية حلب ١٢٢٠ ، ١٤٨٠ في حوادث سنة ٤٨٣ أن دار أبي الفضل بن خيرون نهبت في هذه السنة

(٥) عن مكي المقدسي : تاريخ دمشق ١ : ٤٠١ ، إرشاد ٤ : ٤٤ — ٤٥ ،

شعبة ١٤١ ، تذكرة ٣ : ٣٢٠ وانظر المنتظم ٨ : ٢٦٦ ونقطة ١٥

بحث عن تربة له بجوار بشر بن الحارث

وسعى أصحابه ، ينفذون وصيته بأث يدفن إلى جانب بشر الحافي ، ليتم له مادعا الله به عند زمزم ، فوجدوا قبراً أعدّه أبو بكر أحمد بن علي الطريشي الصوفي^(١) ، وكان يمضي إليه في كل أسبوع مرة ، وينام فيه ، ويقرأ القرآن كله ، ويدعو ؛ وذلك منذ عدة سنين ، فمضى أصحاب الحديث إليه ، وسألوه أن يدفنوا الخطيب في قبره ، وأن يؤثّره به ، فامتنع وقال : «موضع قد حفرت ، وختمت فيه عدة ختمات ، ولا أتمكن أحداً من الدفن فيه ، وهذا مما لا يتصور» ، فلما رأوا ذلك جاؤا إلى أبي سعيد الصوفي^(٢) ، صاحب الرباط الذي كان يسكنه أبو بكر بن زهراء هذا ، وذكروا له ذلك ، فأحضره فقال : أنا لا أقول لك أعطهم القبر ، ولكن أقول لك : لو أن بشراً الحافي في الأحياء ، وأنت إلى جانبه ، فجاء أبو بكر ليقعد دونك ، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه ؟ قال : لا ! بل كنت أقوم وأجلسه مكاني ، قال : فهكذا ينبغي أن يكون الساعة في حالة الموت ، فإنه أحق به

(١) انظر ترجمته في سبكي ٣ : ١٦ وشذرات ٣ : ٤٠٥

(٢) لعله أبو سعد أحمد بن محمد الزوزني أحد من حدثوا عن الخطيب ، ولعل الرباط هو المعروف برباط الزوزني .

منك ، فطاب قلبه ، فأذن لهم^(١) ، وعاش بعد ذلك أربعاً وثلاثين سنة .

جنازته

وتأخر بهذا السعي إخراج جنازته إلى اليوم الثاني ، فأخرج بكرة الثلاثاء من حجرته ، وعبروا به إلى جامع المنصور في الجانب الغربي للصلاة عليه . وكان بانتظار جثمانه في ذلك الجامع القضاة والأشرف والنقباء والشهود والفقهاء وأهل العلم والصوفية والمستورون والعامّة وخلق عظيم ؛ وتقدّم القاضي أبو الحسين ابن المهدي بالله ابن العزيز ، فصلى بالناس ، وكبر عليه أربعاً على باب المقصورة ؛ ثم حملت جنازته ، وعبرت بالكرخ ، ومعها ذلك الخلق العظيم ؛ وبين يدي الجنازة جماعة ينادون : « هذا الذي كان يذب عن رسول الله ، هذا الذي ينفي الكذب عن رسول الله ، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكان الناس يتسابقون إلى حمل النعش تبرّكاً بصاحبه ؛ وكان فيمن حمله شيخ الخطيب الإمام أبو إسحاق الشيرازي رئيس الشافعية ببغداد ، وكان عمره

(١) عن ابن صاحب الرباط : تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، المنتظم ٨ : ٢٦٩ ، إرشاد ٤ : ١٧ وباختلاف قليل : وفيات الأعيان ١ : ٢٧ شبهة ١٤١ تذكره ٣ : ٣٢٠ شذرات ٣ : ٣١٢ وبتلخيص ، بداية ١٢ : ١٠٣

عند أبي بكر الخطيب في منزله بباب المراتب لقراءة التاريخ على العادة ، فكان الخطيب جالس ، والشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم الفقيه عن يمينه ، وعن يمين الفقيه نصر رجل جالس لم أعرفه ، فسألت عنه ، فقلت من هذا الرجل الذي لم تجر عادته بالحضور معنا ، فقليل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء لسمع التاريخ ، فقلت في نفسي هذه جلالة لأبي بكر ، إذ يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، وقلت في نفسي : وهذا أيضاً ردُّ لقول من يعيب التاريخ ، ويدكر أنه فيه تحامل على أقوام ، وشغلني التفكير في هذا عن النهوض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن أشياء كنت قد قلت في نفسي أسأله عنها ، فانتبهت في الحال ^(١) .

وقال الفقيه الصالح أبو علي الحسن بن أحمد البصري : رأيت الخطيب في المنام ، وعليه ثياب بيض حسان وعمامة بيضاء ، وهو فرحان يبتسم ، فلا أدري قلت ما فعل الله بك ، أو هو بدائي فقال : غفر الله لي أو رحمني . وجلّ مرجاً - فوقع لي أنه يعني بالتوحيد إليه يرحمه الله أو يغفر له - فأبشروا ، وذلك بعد وفاته بأيام ^(٢) .

(١) التبيين ٢٦٩ ، حاتم ١٨٨ ، شعبة ٢١٤١ ، تذكرة ٣ : ٣٢١ سبكي ٣ : ١٥

(٢) شعبة ٢١٤١

توافد الكتب إلى البلدان بنعيه

ولم يلبث خبر وفاته ، حتى عمَّ بلاد الإسلام ، فأوفدت الكتب من بغداد ، تنعى وفاة إمام زمانه ، فوصل منها إلى دمشق كتب جماعة في شهر ربيع الأول من سنة أربع وستين وأربعمائة — أي بعد وفاته بثلاثة أشهر ، ولا شك أن ذلك أول بريد خرج من بغداد بعد وفاته — يذكر كل منها تاريخ وفاته ، ومكان دفنه ، وأن أبا إسحاق الشيرازي كان أحد من حمل في جنازته ، وأنه كان معه مايتا دينار ، فتصدق بها في علته ، وانتهى فراغها بموته ^(١) .

وصار كل يتحدث بما يعرف عنه وبورخ أيام حياته وأعماله حتى تمَّ من ذلك ما لا يجتمع إلا لقليل ممن أنعم الله عليه بالذكر الطويل والمواعظ العظيمة .

(١) المالكي ١٧ وعن أبي محمد الكتاني القلاني ١٠٥ والتبيين ٢٧٠ وشبهة

صورة الخطيب بمزاياه وطبعه

خرجنا من حياة الخطيب بصورة فيها إجلال وإعظام : ألفيناه
بدأ ب طول حياته على علم يقتطف ثماره ، أو درس يبدى فيه
معارفه ، أو مجلس يظهر فيه محاسن حفظه وجودة تفكيره ، ثم
رأيناه يعطف على أهل العلم ، ويحن إلى ذوي الزهد . فهذه الصورة
تستدعي تفصيلاً ، يبدو فيه الخطيب بمزاياه كاملة ، وطبعه مشروحاً ،
وسمته موصوفة ؛ فترسخ صورة فضله في النفس ، وتحسن مجمل فعاله
في العين .

حسن سمته

وأول ذلك أنه كان « في درجة الكمال ... خلقاً وهيئةً
ومنظراً^(١) » كان من يقترب منه ، يشعر بهيبة ارتسدت على محياه ،
ووقار تجسم في حركاته ، وانطبع في سكناته ، فقد « كان مهيباً
وقوراً نبيلاً خطوراً^(٢) » . وكان من يتأمل لباسه ، يشعر بعنايته به ،
وإتقانه له ؛ فقد كانت الثياب تستهويه ، حتى جمع من الملابس

(١) عن السمعاني في الارشاد ١ : ٣٠

(٢) المصدر السابق

عدداً ، أدخله في وصيته ، يباع فيفارق ثمنه على أصحاب الحديث ^(١) .

جودة خطه

تلك العناية بالهيئة والنظر شيء من حبه للمظاهر ، ينم عن طبعه وحظه من الإتيان : وهو حب قلما اتصف به العلماء إهمالاً منهم ، ولده الانهماك فيما لا لذة بعده ولا فائدة مثله ألا وهو العلم ؛ أما إن الخطيب يهوى الإتيان ، وإن تعجب فاعجب منه لخطه يجيده ، فيرسم حروفه واضحة ، لا ينقصها حتها من التنقيط ، بل من الشكل والضبط ، حين يبدو إشكال ، أو يعرض التباس ، وأين هذا من الرغبة في سرعة النقل للفراغ من سأم ، يبعثه تكرار انتقال النظر من الأصل ينسخ منه ، إلى الدفتر يكتب فيه ، أو من ضجر يشيره عمل لا إبداع فيه . وتذكر ما لذلك من الأثر ، حين ترى اثنين من أوائل من ترجم للخطيب يلفتان النظر إلى حسن خطه ، فيقول أحدهما ، وهو ابن النجار « وخط الخطيب مليح كثير الشكل والضبط » ^(٢) . ويقول الثاني ، وهو السمعاني « إنه حسن الخط كثير

(١) ابن حاتم ٢٨٧ ، إرشاد ٤ : ٢٧ و ٤ : ٤٥ ، شعبة ١٤١ ، تذكرة

٣ : ٣١٩ و ٣ : ٣٢٠ ، سبكي ٣ : ١٤ و ٣ : ١٥

(٢) شعبة ٢١٤٠

الضبط^(١) . وكيف يخرج أبو بكر على نصحه للمحدثين بإجادة خطهم وضبط حروفهم ، ليمتنع الشك ، ويبطل الالتباس^(٢) ، وهو يذكر الآية الشريفة «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» . وحسن الخط إنما هو عادة يروض المرء نفسه عليها ؛ وقد نصح له دون أن تحول بينه وبين سرعة النقل ؛ ولعلها صحت للخطيب بالرياضة الطويلة .

يضرب المثل بسرعه في القراءة

انظره يروض نفسه على حسن القراءة مع سرعتها ، فيبلغ في ذلك أكبر شأواً وأبعد مثالاً : فقد «كان حسن القراءة ، فصيح اللهجة^(٣)» «إذا قرأ الحديث في جامع دمشق ، يسمع صوته في آخر الجامع ، وكان يقرأ مع هذا مغرباً صحيحاً^(٤)» ، ثم يضرب به

(١) شبهة ١٣٨ ، تذكرة ٣ : ٣١٤ سبكي ٣ : ١٣ شذرات ٣ : ٣١٢ وانظر إرشاد ٤ : ٣٠

(٢) في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع له ظاهرية ، مجموع ٥٥ ، في فصل أسماء باب تحسين الخط وتجويده ، ٢١٥٤

(٣) المنتظم ٨ : ٢٦٧ إرشاد ٤ : ٢٢ و ٣٠ وشبهة ١٣٨

(٤) شبهة ١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٥ وانظر الأسنوي ظاهرة تاريخ ٥٦ في أواخر الربع الأول وشذرات ٣ : ٣١٢

المثل « في سرعة القراءة » فيعده انقلشندي فرداً في ذلك ^(١) ويذكر
عن نفسه أنه قرأ صحيح البخاري على الحيري في ثلاثة مجالس ^(٢) ،
ويضيف الذهبي إلى ذلك قائلاً « وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا
يستطيعه » ^(٣) ويذكر عبد المحسن الشيعي أن الخطيب في طريقه من
دمشق إلى بغداد « كان له في كل يوم وليلة ختمة ^(٤) » من القرآن .
وفي كل ذلك سبب للعجب ، بل للظن أنه لم يكن يقرأ ، بل يعمّم .
غير أن هذا الظن يزول ، حين نسمع أبا الفرج الأصفهاني ، رفيقه
في الحج ، يقول : « كان يختم كل يوم ختمة إلى قرب المغيب قراءة
ترتيل ^(٥) » ، وقراءة الترتيل تقضي الاثقان في إخراج الحروف
وإعرابها ، ولا جرم تمّ للخطيب ذلك بالرياضة الطويلة .

بعده عن السياسة

ذلك وصفه في مظاهره ، ينبغي بها الاثقان ما استطاع إليه
سبيلاً ، أما طباعه في علاقاته بالناس ، فهو يتجنب الاضطراب ،

(١) صبح الأعشى ١ : ٤٥٤

(٢) تاريخ بغداد ٦ : ٣١٤

(٣) شعبة ١٣٩

(٤) شعبة ٢١٣٨

(٥) ابن حاتم ١٨٨ ، تاريخ دمشق ١ : ٤٠٠ ، التبيين ٢٦٨ شعبة ٢١٣٨ ،

تذكرة ٣ : ٣١٦ ، سبكي ٣ : ١٤

ويركن إلى السكينة ، فلا تروى لنا حادثة في حياته الطويلة المستفيضة ، ننسبه إلى الخصام مع أفراد الناس ، ولا تهمة السياسة في شيء ، فهو يوقر علمه ، فلا يتقرب إلى ذوي المناصب بالمدح . وتأبى عليه نفسه أن يقدم تصانيفه إليهم ، كما كان يفعل بعض علماء عصره ، فيفيدون من ذلك مالا وجاهاً . وهو إذا اتصل بأصحاب النفوذ والسلطة ، فإنما يتصل بالعلماء منهم ، على ألا يتكلم إليهم إلا بالعلم ، فيحضر مجالس التحديث معهم^(١) ، أو ينقل عنهم من علمهم ، ثم يغدو إلى رزنته ووقاره ، فلا يطريهم لا إحسان سبق منهم إليه . يذكر قتل رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة الذي حسنت صحبته له ، وكبر عظمه عليه ، فيقول وكأنه لم يتصل به أبداً : « قتل أبو الحارث البساسيري التركي ، وصلبه » ولا يشفع ذلك بطعن في البساسيري أو تهجين لعمله ؛ وكل ما يثار به لصاحبه قوله : « ثم قتل البساسيري ، وطيف برأسه ببغداد^(٢) » ، فهل يصح للتاريخ أن يتجرد من الغاية أكثر من ذلك ؟

لا حرص على الدنيا عنده بل كرم وعفة

ومن كان هذا شأنه مع ذوي السلطان ، فلا عجب إن كان

(١) كما مر معنا ص ٣٩

(٢) تاريخ بغداد ١١ : ٢٩١

ذلك أمره مع الدنيا ؛ وإن لم نره خلال حياته سعى إليها يوماً ، أو أقام لها وزناً ، وهو يناجي ربه قرب زمزم . بل كان من أمره مع الدنيا يومئذ في خلاف ، فقد تذكر ما بعدها ، وهو الموت ^(١) ، ولم يعبأ بها . على أنها لما رأت منه الإعراض عنها ، سعت إليه لتطمعه فيها ، فحظي بالمال منها بعد عودته من الحج ، فلم يحفل بهذا المال إلا ليقوى على خدمة العلم الذي نصب نفسه له . هذا الخطيب التبريزي يقص عليك حكاية له في ذلك ، قال : دخلت دمشق ، فكنت أقرأ على الخطيب بجلسته بالجامع كتب الأدب المسموعة له ، و كنت أسكن منارة الجامع ، فصعد إلي وقال : أحبت أن أزورك في بيتك ، فتحدثنا ساعة ، ثم أخرج ورقة وقال : الهدية مستحبة ، اشتر بهذا أقلاماً ، ونهض : فإذا هي خمسة دنانير مصرية ؛ ثم إنه صعد مرة أخرى ووضع نحواً من ذلك ^(٢) « غير أن الحياة ما برحت تطمعه فيها ، لتأتي على غفته ، وهو يستعصي عليها . وهذا علوي يدخل عليه ، وهو بجامع صور » وفي كمه دنانير فقال : فلان — وذكر بعض المحتشمين من أهل صور — يسلم عليك ، ويقول :

(١) كما مر معنا ص ٢٩

(٢) شبهة ٢١٣٨ ، وتذكرة ٣ : ٣١٥ ، وفي الارشاد ٤ : ٣٢ — ٣٣

تفصيل أوسع .

هذا تصرفه في بعض مهماتك ؛ فقطب وجهه وقال : لا حاجة لي فيه ، فقال العلوي : فتصرفه إلى بعض أصحابك ، قال : قل له يصرفه إلى من يريد ، فقال كأنك تستقله ، ونفض كفه على سجادة الخطيب ، وطرح الدنانير فقال : هذه ثلاثمائة دينار ، فقام الخطيب محمراً الوجه ، وأخذ سجادته ، ونفض الدنانير ، وخرج من المسجد ، قال الفضل (بن أبي لبلى راوي القصة) : فما أنسى عن خروجه وذل ذلك العلوي ، وهو قاعد على الأرض يلتقط الدنانير من شقق الحصير ويجمعها ^(١) كان الخطيب يعرف الحياة فلا ياب به لزخرفها ، لأنها زائلة قال : ^(٢)

لا نغبطن أخوا الدنيا بزخرفها ولا بلذة وقت عجلت فرحا
فالدهر أسرع شيء في قلبه وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلاً فيه منيته وكم نفلد سيفاً من به ذبحا
فلا عجب إذا هي لم نغره ولم تأت على تعففه .

تورعه

كان متورعاً ، كما وصفه البرقاني في كتابه إلى أبي نعيم

(١) الارشاد ٤ : ٣١ - ٣٢ وباختصار في شبهة ١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٥

وسبكي ٣ : ١٤

(٢) تاريخ دمشق ١ : ٤٠٠ إرشاد ٢ : ٢٥ ، شبهة ١٤٢ ، بداية ١٢ : ١٠٣

الأصفهاني^(١) ، وكان إذ ذاك شاباً ؛ ثم ازداد تورعه في كهولته
وشيوخوته ، وليس أدل مع ذلك من ختمه للقرآن كل يوم في
حجبه ، ثم في عودته الأخيرة إلى بغداد ، كما مر معنا^(٢) . ولا يعني
هذا أنه كان زاهداً ، فقد تقدم حبه للتجمل باللبوس والهيئة وجمعه
لشيء من المال ؛ إنما كان تقياً يتقرب إلى الله بالعبادة والدعاء والقراءة
والتصدق والتعفف ؛ وكفى بذلك تورعاً .

تواضعه

ويكبر أهل العصر مزاياه ، فيقول أبو غالب شجاع الذهلي :
إنه لم يدرك مثله^(٣) ويقول أبو علي البرداني : ما رأيت مثله ، ولا أظنه
رأى مثل نفسه^(٤) . ولكن التكبر والخيلاء لا يجدان منالاً منه ، وقد
عرف عن نفسه علو الكعب وإكبار الناس ، فهو متواضع في نفسه ،
وفيما يعتقده فيها ، وهو إذا سأله أحدهم عند لقائه قائلاً : « أنت
الحافظ أبو بكر ؟ » أجاب بلهجة المانع الذي لا يدع مجالاً للنسبة

(١) انظر صفحة ٢١ — ٢٢

(٢) صفحة ٤٦ و صفحة ٥٩

(٣) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ — ٤٠٠ ، شبهة ٢١٣٩ ، تذكرة ٣ : ٣١٧

سبكي ١٣ : ٣

(٤) النصوص السابقة

ما نسب إليه ، يقول : « انتهى الحفظ إلى الدارقطني : أنا أحمد بن علي الخطيب ^(١) » .

كال في الخلق والخلق

تلك صورته ، أجملها السمعاني بقوله : « كان في درجة الكمال والرتبة العليا خلقاً وخلقاً وهيئةً ومنظراً ^(٢) » ولم يوصف بذلك ولن يوصف إلا أفراد الناس الذين لا تدع سيرتهم أو مظاهرهم أو هيئتهم سبيلاً للطعن أو مجالاً للخط .

نفي تهمة عنه

وبعد فلم يكن كل ذلك ليمنع كيد الأعداء والحساد ، فقد اتهموه بما ينافي تقواه . نقل أبو سعد السمعاني عن عبد العزيز بن محمد النخعي قوله : كان أبو بكر الخطيب يتهم بشرب الخمر : كنت كلما لقيته بدأني بالسلام ، فلقيته في بعض الأيام ، فلم يسلم علي ، ولقيته شبه المتغير ؛ فلما جاز عني ، لحقني بعض أصحابنا ، وقال لي : لقيت أبا بكر الخطيب سكران . فقلت له : قد لقيته متغيراً ، أو استنكرت حاله ، ولم أعلم أنه سكران ، ولعله قد تاب إن شاء الله » ويدفع السمعاني هذه التهمة فيقول : « ولم يذكر عن الخطيب

(١) شبهة ٢١٣٩ ، تذكرة ٣ : ٣١٧

(٢) إرشاد ١ : ٣٠

رحمه الله هذا إلا النخشي، مع أني لحقت جماعة كثيرة من أصحابه^(١) .
 ألا إن ما قاله النخشي باطل ، فما أوهى ما بناه على تهمة أحد الناس
 له ، وعلى تغير في بشاشته ، وما أكثر ما يطرأ من تغير على الإنسان
 يبعثه همٌّ أو حصر بال . وقديماً اتهم بعض الناس بعضهم الآخر بالحق
 والباطل .

نغزله بالغلان

ولا يتوهمن أحد أنا نربأ بالخطيب عن الوقوع فيما يؤخذ عليه ،
 إنما ننفي عنه كل ما من شأنه أن يطعن في عفته ودينه . أما ما يقع فيه
 الناس من زلة تغتفر ، فالخطيب ليس بالمعصوم من ذلك . وقد روي
 عنه التغزل ، ونحن نورد ذلك بمرحلتين ، فنذكر ما لم نستطع
 تضعيف رواته أولاً ، ثم نشفعه بما بدا لنا أنه من وضع أعدائه ،
 فمن الشق الأول الآيات الآتية^(٢) :

قد شاب رأسي وقلبي ما يغيره	كرُّ الدهور عن الإِسْهاب في الغزل
وكم زماناً طويلاً ظَلْتُ أعذُّله	فقال قولاً صحيحاً صادق المثل
وحبك الشيء يعني عن مقابحه	ويمنع الأذن أن تصغي إلى العذل
لا أسمع العذل في ترك الصبا أبداً	جهدي فما ذاك من همي ولا شغلي

(١) إرشاد ٤ : ٢٩

(٢) إرشاد ٤ : ٣٦

من ادعى الحب لم تظهر دلائله
ومنه يشبه الحب بالخمَر : ^(١)

وخمار الهوى يُربي على نشوة الخمر
والحب في الأحشاء حرٌّ أقله
أخبركم يا أيها الناس إنني
سبيل الهوى سهل يسير سلوكة
وترجع أوصاف الهوى ونعوته
وحرفين سعد الوصل أو شقوة الهجر
ومنه تشبيهه بفراق الحبيب بالقتل : ^(٢)

إلى الله أشكو من زماني حوادثاً
أصاب بها قلبي ولم أقض مُنيتي
متى ما تأمل بين قتل وفرقة
رمت بسهام البين في غرض الوصل
ولو قتلاني كان أجمل بالفعل
تجد فرقة الأحاب شرّاً من القتل
ومنه ما ذكر أنه قاله في أبي منصور بن النفور (?) وهما كه : ^(٣)

الشمس تشبهه والبدر يحكيه
ومن سرى وظلام الليل معتكر
والدر يضحك والمرجان من فيه
فوجهه عن ضياء البدر يغنيه

(١) إرشاد ٤ : ٤٠

(٢) إرشاد ٤ : ٤١

(٣) إرشاد ٤ : ٣٨ والبيتان الأولان في سبكي ٣ : ١٥ ولعل كلمة الوحي

محرفة عن الوهم

فالعقل يعجز عن تحديد غايته والوحي يقصر عن فحوى معانيه
يدعو القلوب فتأنيه مسارعةً مطيعة الأمر منه ليس تعصيه
سألته زورةً يومًا فأعجزني وأظهر الغضب المقرون بالتيه
وقال لي دون ما تبغي ونطلبه تناول الفلك الأعلى وما فيه
رضيتُ يامعشر العشاق منه بأن أصبحت أعلم أني من محبيه
وأن يكون فوَّادي في يديه لكي يميته بالهوى منه ويحييه

ومنه ما ينفي به عن نفسه تهمة محبة أكثر من واحد حيث يقول :

بنفسي عائبٌ في كل حالٍ وما لمحبه ذنبٌ جناه
حفظت عهدوه ورعيت منه ذمامًا مثله لي ما رعاه
حرمت وصاله إن كنت يومًا جرى لي خاطر بهوى سواه
ولو تلني رضاه لهانَ عندي خروج الروح في طلبي رضاه

دفع سوء ذلك التغزل

وفي كل ذلك — إذا صحت نسبته إليه ، ولم يكن مما وضعه
أعداؤه — ما استهجنه وتستقبحه ، ويأخذ منك الغضب للعفة
مأخذه ، فتضرب بما ذكر من كمال الخطيب عرض الحائط . ولكن
رؤيدك ! انظر هل استهجن هذا الشعر رواه كالحميدي ، وهو
محدث ، أو نقلته كالذهبي والسبكي ، وهما متعصبان ؟ فنقصت
منزلة الخطيب عندهم ؟ كلا بل هم الذين مدحوه بما كانوا يتمنون أن

يمدحوا به . ورويدك ! لا تنتهم هؤلاء أيضاً ، وتنتهم الروح الإسلامية معهم ، فقد تغزل بالغلمان كثير من أهل النعنف ، وكان ذلك عندهم أمراً غير مشين : أجازوه تمرثاً على قول الشعر ، أو تظرفاً فيه ^(١) . فما هو عند الخطيب إذاً إلا زلل ، لا يؤبه لشأنه ، وتساهل لا ينقص من قدره ، ولعله مما قاله في صباه .

نغزل مستهجن نسبة إليه أعداؤه

على أن خصومه لم يجدوا عوناً لهم على الخط من قدره ، والطعن عليه ، ما وجدوا في تغزله هذا ؛ فصنعوا الغزل المستهجن ، ونسبوه إليه ، وأدخلوه فيما قاله متعففاً متخيلاً ، فصرنا نحار في استخراج الحق من الباطل .

وخير ما ألفيناه واقعاً من الزلل ، مقرباً من الحق ، أن نعهد إلى رواة هذا الشعر ، فإن كانوا من أعدائه ، ومن صحَّ عندنا طعنهم عليه بالباطل ، نسبنا روايتهم إلى الوضع . وكذلك كان ما رويناه من شعره آنفاً إما خالياً من اسم راويه ، أو بعيداً عن أن يكون من وضع خصومه .

واسمع الآن مارواه هؤلاء . قال أبو الحسين بن الطيوري - وهو

(١) انظر الوسيط في الأدب العربي لأحمد الإسكندري ومصطفى عناني ،

من نسب إلى الخطيب باطلاً سرقة تصانيفه^(١) - أنشدنا الخطيب: ^(٢)

تغيب الخلق عن عيني سوى قمر حسبي من الخلق طراً ذلك القمر
محله في فؤادي قد تملكه وحاز روحي فما لي عنه مصطبر
فالشمس أقرب منه في تناولها وغاية الحظ منه للورى النظر
وددتُ تقييله يوماً مخالسةً فصار من خاطري في خده أثر
وكم حكيم رآه ظنه ملكاً وردد الفكر فيه أنه بشر

ونقل الملك المعظم الذي ثار ثأثره لما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد^(٣) من كلام المحدثين في الإمام أبي حنيفة ، فردّ عليه بكتاب حافل - نقل أشعاراً لم يتبين لي هل وجدها هو بخط الخطيب ، أم وجدها ابن الجوزي ، فذكرها في السهم المصيب في الردّ على الخطيب ، وادعى أنه أخذها من خط الخطيب ، ثم نقلها الملك المعظم عن ابن الجوزي ، ومهما يكن فلم يرو هذه الأشعار فيما بين يدينا غير هذين الخصمين أو أحدهما . ولسنا نريد بهذا القول أنها من وضعهما ، بل إنها تساهلا في تصديق أنها من خط الخطيب ، أو إذا

(١) انظر الفصل الخاص بذلك فيما يلي

(٢) إرشاد ٤ : ٣٧ - ٣٨ ، شبهة ٢٤١ - ١٤٢ ، وانظر الرد على أبي بكر

للكل المعظم ص ١٨٠

(٣) تاريخ بغداد ١٣ : ٣٦٩ - ٤٥٤

كانت من خطه أنها له . وهاك تلك الأشعار .^(١)

ومنها قسم بالله ، يتعفف الخطيب من أقل منه :

بالله أقسم أيماناً مغلفةً ما مثل حبي سرى في سائر الناس
إذا بدا يتثنى خلته قرأ من فوق غصن مديد الفرع مياس
شربت من لحظه خمرأً سكرت بها زادت على نعت خمر الكاس والظاس
فأورثت مهجتي من حبه دنفاً وعظمت حال أفكاري ووسواسي
ومنها تشييد بالخر :

للخمر والورد حق لست أجد له إذ ناسبا ما بدت منه بلاياي
فالخر من طيب ربق الحب قد سرفت والورد أضى بياكي خد مولاي
ومنها :

يا عاذلي كف عن عذلي فلو نظرت عيناك حبي لعانيت الذي أجد
وقلت من فرط وجد حين نظره هل يملك الصبر من هذا ترى أحد
جعلت في الحب فرداً لا نظير له كما حبيبي بحسن الوصف منفرد
ومنها :

ما كان أغفلني عما ابتليت به من حب ذي هيف أبهى من القمر
قد أبدع الله فيه حين صورّه كأنه ملك في صورة البشر
سقام أجفانه قد زاد في سقمي فصرت من ذا وذا في أعظم الخطر

مترف ناعم لو ظلتُ لاحظهُ لذاب من رقة في ساعة [النظر]
بؤثر الوهم في توريد وجنته لكن مهجته أقسى من الحجر

اتهمه بحب الغلمان

أورد الملك المعظم هذه الأشعار ، ليدل على صحة الحكاية^(١) التي ذكرها محمد بن طاهر المقدسي في المنشور ، نقلاً عن مكي بن سليمان الرميلى في سبب خروج الخطيب من دمشق^(٢) . وفيها أن الخطيب كان يختلف إلى صبي مليح ، وتكلم الناس في ذلك . وهب أن هذه الأشعار صحيحة ، تدل على تغزل يعاتب عليه الخطيب ؛ إن كانت صحيحة ، وهي ضعيفة الرواية ، فلا يعقل أن يروي مكي بن سليمان الرميلى حكاية تسقط شيخه الخطيب من مرتبة الشيوخ ، وهو الذي رأى في المنام تعظيم الرسول له ، وحضوره قراءة تاريخه لبغداد^(٣) . ومما يزيدنا يقيناً ما قيل عن راوي هذه الحكاية محمد بن طاهر المقدسي

(١) الرد على أبي بكر ص ١٨١ وقال : ومن هذه حاله لا يصلح أن يكون بمنزلة الأئمة الذين تقبل أقوالهم في الجرح والتعديل ورواياتهم .

(٢) إرشاد ٤ : ٣٥ ، الرد على أبي بكر ٢٧٧ شبهة ١٤٠ ، تذكرة ٣ :

٣١٨ ، ابن القلانسي ١٠٥ - ١٠٦

(٣) ابن حاتم ١٨٨ ، التبيين ٢٦٩ شبهة ٢٤١ ، تذكرة ٣ : ٣٢١ ،

سبكي ٣ : ١٥

(٥٠٧) فقد جرحه ابن الجوزي^(١) وابن ناصر^(٢) ونسب إليه الأوهام ابن عساكر^(٣) وأساء الثناء عليه كثيرون^(٤) . وينبغي أن ياقوت^(٥) بمعرفة وبعد نظره إلى أن محمد بن طاهر المقدسي « وقاعة في كل من انتسب إلى مذهب الشافعي » ، فنفهم من كل ذلك أن الخطيب برأى مما نسب إليه ، ونذكر كيد أعدائه الذين لم يقنصروا على نقل هذه الحادثة كما ذكرها من وضعها ، بل أضافوا إليها ما أرادوا به أن يزيدوها قوة ، فوجدت في مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي مضمنة أن صاحب الشرطة حينما أوعز إليه بقتل الخطيب « هجم عليه فرأى الصبي عنده ، وهما في خلوة^(٦) » مع أن الرواية التي نقلها الملك المعظم من خط محمد ابن طاهر المقدسي ، لا تشير إلى شيء من ذلك^(٧) وأضاف الخصوم إلى الحادثة ذيولاً ، فادعوا أن الخطيب قال في ذلك الصبي — أشعاراً كثيرة منها^(٨) :

(١) المنتظم ٩ : ١٧٨

(٢) في تذكرة ٤ : ٣٩

(٣) النص السابق وانظر لسان الميزان ٥ : ٢٠٧

(٤) في تذكرة ٤ : ٣٩ — ٤٠

(٥) إرشاد ٤ : ٩٧

(٦) تأنيب الخطيب للكوثري ص ١٢

(٧) الرد على أبي بكر ٢٧٧

(٨) تأنيب الخطيب لمحمد زاهد الكوثري ص ١٢ وفي الرد على أبي بكر

١٨٠ دون الإشارة إلى الصبي

بأت الحبيب وكم له من ليلة فيها أقام إلى الصباح معانتي
ثم الصباح أتى ففرق بيننا ولقلما يصفو سرور العاشق
فجعلوا من الوهم حقيقة ، وصوروه بما تستهجن حكايته عن مهتك
مستهتر ، فكيف عن إمام من أئمة الحديث .

تعليل أخلاقه ومزاياه

ونعود إلى وصف الخطيب في مزاياه وطبعه ، فلا نرى في التهم
التي مرت معنا ما يسيء إلى سمعته عندنا إلا بما لا يؤبه لشأنه من نظرف
في الغزل ؛ حتى إذا عمدنا إلى فهم سرّ تكوّن تلك المزايا وأسبابها ،
وجدنا - علاوة على حسن نفس الخطيب وجودة طباعه في أصلها -
انقطاعه إلى علم الحديث . ألا إن علم الحديث - وهو ما يسميه
المسلمون « العلم » - بلا إضافة - يسمو بالنفس في الفضائل ، لأنّه
يقص أفعال من قال الله في حقّه « وإنك لعلّى خلق عظيم » ، فيتعلم
المحدث سيرة سامية ، وأقوالاً عظيمة ، وأفعالاً مجيدة ، وليس
ذلك فقط ؛ بل اختطّ كبار المحدثين : كالبخاري وأحمد بن حنبل
لخلفهم سبيل الإخلاص لهذا العلم ، لا يلتفتون إلى غيره ، يعملون
على خدمته خدمة خالصة من كل غاية أخرى ، يتبعون ما وُضع
فيه ، وينفون الكذب عنه . واستنّ هذا العلم لأصحابه سنة العمل
الصالح ، فلا علم إلا مع العمل به .

اقتضاء العلم العمل

وهالك الخطيب نفسه يصنف كتاباً في « اقتضاء العلم العمل » ،
 فيفيدنا الكثير مما نحن بصدده ، إليك وصايا فيه لطالب العلم أي
 الحديث ، قال ^(١) : « إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في
 طلبه ، وإجهاد النفس على العمل بموجبه ، فإن العلم شجرة والعمل
 ثمرة ، وليس يعدُّ عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً ، وقيل : العلم والد ،
 والعمل مولود ، والعلم مع العمل ، والرواية مع الدراية . فلا تأنس
 بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم ، ولا تأنس بالعلم ما كنت
 مقصراً في العمل ، ولكن اجمع بينهما ، وإن قلَّ نصيبك منهما ؛ وما
 شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقتة ، وجاهل أخذ
 الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته ؛ والقليل من هذا مع القليل من هذا
 أنجى في العاقبة إذا تفضل الله بالرحمة » ؛ ثم يعقد باباً في « ذم طلب
 العلم للمباهاة به ، والممارسة فيه ، ونيل الأغراض ، وأخذ الأَعْوَاض
 عليه » ^(٢) فيفهمنا في ذلك ما أسعفه به علمه ؛ ثم يذكر لنا « ما جاء من
 الوعيد والتهديد لمن قرأ القرآن للصيت والذكر ، ولم يقرأه للعمل

(١) اقتضاء العلم العمل ظاهرية أدب ٢٥٧ ، ٢١

(٢) الكتاب السابق ١١١

به ، واكتساب الأجر^(١) ، ثم يقدم فصلاً^(٢) في « ذم التفقه لغير
العبادة^(٣) » وإذا بنا ندرك كيف أبى المحدثون إلا أن يضعوا لأنفسهم
طريقاً في العمل بسنة يعلمونها ، وإذا بنا ندرك أن الخطيب اتصف
بما خوله إياه علمه ، وتمسك بأخلاق حدث بها ، ونذر نفسه عليها ،
ساعدته في ذلك سجية طيبة ونشأة حسنة ، فكان مثلاً للمحدثين
يُضرب ، وصورة عنهم تؤثر .

سموه بنفسه وسعادته بعلمه

وبعد فما هي خلاصة تلك الصورة ، وما هو الذي توحى به ؟ إنها
لتعبير بليغ عن السمو بالنفس عن سفاف الحياة ، والسعادة بنور العلم
وجمال المعرفة ؛ إنها الإتيقان في العمل ، والأخذ بأسباب الكمال .
تلك هي المزايا التي ظهرت لنا من طبع الخطيب ، فهل كان
سعيداً بها ؟ ليس بين يدينا من النصوص ما يوضح لنا درجة سعادته ؛
على أن أقل ما تشير إليه حوادث حياته توفقه بما سعى إليه ، وهو
العلم ؛ والسعادة أليست في غالب الأحيان الوصول إلى الهدف
وإحراز الأماني . فالخطيب كان سعيداً بما اختطه لنفسه ، وسار
على نهجه .

(١) الكتاب السابق ١٢

(٢) الكتاب السابق ١٣

مصادر ثقافة الخطيب وينبوع أثره

مرحلتان لدراسة الخطيب

لئن توفرت المصادر لدراسة الخطيب وذكر صفاته ، فأثاره لا تزال مفرقة مبثرة ؛ ولئن انتهت إلينا أقوال القدماء في الخطيب ، ووصفهم لعلمه ، وتعدادهم لمشايعه وتصانيفه وكتبه ، فنحن ما برحنا ننتظر دراسة مؤلفاته واحداً واحداً ، بغية استخراج مصادرها ، وإدراك أثرها ، وتقدير مكانتها ، ومعرفة الجديد الذي أحدثته ؛ ونسبين من كل ذلك أن بحث الخطيب في ثقافته وآثاره يقتضي مرحلتين : أولاهما جمع ما خلفه العلماء من مصادر ثقافته ، وما ذكره من مصنفاته ، وما قالوه فيها ، لتحرير ذلك والاستنتاج منه . وثانيتهما دراسة مصنفاته ، واستخراج مصادرها ، ومعرفة أثرها . ولا شك أن البحث الثاني أدق وأثبت وأوثق وأصح . ولكن الأول - على ما فيه من تسرع في الحكم ، وإذعان لأقوال القدماء بأسلوبهم الذي اعتادوه ، وتباين رغباتهم ، وتعدد نزعاتهم - لا يخلو من استخراج بعض الحقائق الأولية ، وتفهم آراء صدرت عن خبرة ، ونطقت عن علم .

المصادر التي توفرت لنا

ومما يزين لنا الإقبال على تلك الدراسة الأولية توفر المصادر فيها ، فقد وجدنا المحدثين يعددون المشايخ الذين تلقف عنهم الخطيب أكثر علمه ، والأقران الذين عاش معهم ، وأثر فيهم ، وأثروا فيه ، والتلامذة الذين نقلوا عنه علمه وآثاره ؛ وهم يعددون ذلك عن معرفة وتتبع ، فهذا التعداد فنٌّ من فنون الحديث ، بل من فنون العلم الإسلامي العربي ؛ ووجدنا إلى جانب ذلك فهرساً للكتب التي قرأها الخطيب على مشايخه ، وسمعها من رواتها ، ونقلها إلى دمشق ، فكان يحدث بها في جامع دمشق ، وقد بلغ عددها (٤٧٤) كتاباً بين سفر كبير ، وكتاب متوسط ، وجزء صغير ، وألفينا عدة مصادر سميت فيها مصنفات الخطيب ، وذكر شيٌ عنها .

بحثنا تمهيد لدرس ثقافته وأثره

نشر هذه المصادر ، بعد ترتيبها على نسق يسهل لنا سبيل الفهم ، ويسعفنا بحسن الاستنباط . وإنك لتجدها تلوه ، كما ذكرناها ؛ فإن سميت همتك إلى قراءتها وفحصها ، فنعم فعلت ؛ وإن اقتصررت على إجابة النظر فيها ، حتى تدرك الغاية من تعدادها ، وجملة فائدتها ، كفيناك مؤونة التعمق فيها بالبحث الذي نتبعه عنها ، وعمّا يمكن أن يستنبط منها بادي الرأي .

ونحن موقنون أن هذا التعداد وما يتبعه من نظر ، ليس إلا
تمهيداً للبحث عن علم الخطيب وأثره ، وأننا قد نعجل بالرأي ،
ونخطئ ببعض القول ؛ على أننا نقدر أنه خير للعلم أن يتقدم رويداً
رويداً ، فيدخل في النفوس من أن يرجأ أمره إلى مستقبل بعيد ،
نرجو أن يكون خيراً كبيراً .



تعداد شیوخ الخطیب و أقرانه وتلامذته

لا نذكر منهم إلا الذين عددهم من ترجموا للخطيب كابن عساكر في تاريخ دمشق نسخة دار الكتب الظاهرية المخطوطة رقم تاريخ ٢، ٢٧ وابن نقطة الحنبلي في الاستدراك ، ظاهرة حديث ٤٢٣ ، ٢٤ وابن قاضي شہبة في مناقب الشافعي من تاريخ الذهبي نسخة الظاهرية المخطوطة رقم تاريخ ٥٧ ، ١٣٧ والذهبي نفسه في تذكرة الحفاظ ٣ : ٣١٣ والسبكي في طبقات الشافعية ٣ : ١٢ وابن حاتم المقدسي في الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين نسخة الظاهرية حديث ١٦٨ ، ٨٥ ونعدد مع كل واحد منهم ما أمكن جمعه من مصادر ترجمته في كتب التاريخ ، أما إذا ورد اسمه في تاريخ الأدب العربي لبروكلن (G. A. L. : Brockelmann) فانا لا نتجاوز ذكر هذا الكتاب .

شیوخہ علی حروف المعجم

- ١ — إبراهيم بن عقيل بن جيش بن محمد أبو إسحاق بن المكدي (— ٤٧٤) نحوي — (روى عنه : إرشاد ١ : ٢٠٦ ، تاريخ دمشق ٢ : ٢٣١ ، بغية الوعاة ١٨٣) وانظر ترجمته في هذه المصادر .
- ٢ — إبراهيم بن مخلد بن جعفر الباقري أبو إسحاق (٣٢٥ — ٤١٠) ، من أهل العلم والمعرفة بالأدب ينتحل مذهب ابن جرير الطبري — (سمع منه في بغداد : ابن عساكر ، شہبة ، ذهبي) — انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦ : ١٩٠ ، أنساب ٢٦١ ، نجوم ٤ : ٢٤٥
- ٣ — أحمد بن حسن الحيري أبو بكر (٣٢٥ — ٤٢١) ، أصولي متكلم محدث — (سمع منه في نيسابور : نقطة ، شہبة ، ذهبي ، سبكي) — انظر ترجمته في سبكي ٣ : ٣٠ شذرات ٣ : ٢١٧
- ٤ — أحمد بن الحسين الكسار أبو نصر (— ٤٣٣) ، راوي سنن النسائي

— (سمع منه في دينور : نقطة ، شبهة ، ذهبي) — انظر ترجمته في شذرات

٢٥٠ : ٣

٥ — أحمد بن عبد الله بن إسحاق المهراني أبو نعيم (٣٥٦ — ٤٣٠) ،
الحافظ صاحب حلية الأولياء — (سمع منه في أصفهان : ابن حاتم ، نقطة ،
شبهة ، ذهبي ، سبكي) — انظر ترجمته ومصادر البحث عنها في بروكسن ١ : ٣٦٢
وذيله ١ : ٦١٦ .

٦ — أحمد بن محمد بن دوست ، أبو سعيد النيسابوري (٤٧٩ —) ،
شيخ الشيوخ ببغداد صاحب رباط مشهور ومريدين — (سمع منه في بغداد :
ابن عساكر) — انظر ترجمته في نجوم ٥ : ١٢٤

٧ — أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسين بن المقيم ، الواعظ أقدم البغداديين
سماعاً ممن أخذ منهم أبو بكر — (سمع منه في بغداد : ابن حاتم ، شبهة ، ذهبي ،
ابن عساكر) — انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤ : ٣٧١

٨ — أحمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن الخليل أبو سعد الماليني
(٤١٢ —) ، الحافظ طاووس الفقهاء كان عنده من الكتب الطوال ما لم يكن
عند غيره — (سمع منه في بغداد : ابن حاتم ، شبهة ، سبكي) — انظر ترجمته
في تاريخ بغداد ٤ : ٣٧١ المنتظم ٨ : ٣ ، تذكرة ٣ : ٢٥٦ ، سبكي ٣ : ٢٤ ،
شذرات ٣ : ١٩٥ ، تاريخ دمشق ١ : ٢٤٥ ، بداية ١٢ : ١١

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن منصور أبو الحسن العتقي (٣٦٧ —
٤٤١) ، التاجر الرحلة المحدث — (سمع منه في بغداد : ابن حاتم) — انظر
ترجمته في تاريخ بغداد ٤ : ٣٧٩ شذرات ٣ : ٢٦٥

١٠ — أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت أبو الحسن
الأنهوازي المحدث — (سمع منه في بغداد : ابن حاتم ، ابن عساكر ، نقطة ،
شبهة ، ذهبي) — انظر ترجمته في لسان الميزان ١ : ٢٥٥

١١ — أحمد بن محمد بن غالب ، أبو بكر البرقاني (٣٣٦ — ٤٢٥) —

حافظ ، ذو حظ من علم العربية ، عارف بالفقه ، لم ير الخطيب أثبت منه — (سمع منه في بغداد ، وحدث هو عنه : ابن حاتم ، ابن عساكر ، نقطة ، شعبة ، ذهبي ، سبكي) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤ : ٣٧٣ — ٣٧٦ ، بداية ١٢ : ٣٦ منتظم ٨ : ٧٩ شذرات ٣ : ٢٢٨ ، نجوم ٤ : ٢٨٠ ، تاريخ دمشق ١ : ٤٤٧ ، معجم البلدان ١ : ٥٧٠

١٢ — إسماعيل بن أحمد النيسابوري الضرير أبو عبد الرحمن الحيري (٣٦١ — بعد ٤٤٣ بيسير) محدث فقيه — (قرأ عليه في بغداد سنة ٤٢٣ صحيح البخاري : شعبة ١٣٩) — انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٦ : ٣١٤ ، المنتظم ٨ : ١٠٥ وذكر وفاته سنة ٤٣١ ، سبكي ٣ : ١١٥ ، بداية ١٢ : ٤٧

١٣ — الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، أبو علي البزار (٣٣٩ — ٤٢٦) متكلم على مذهب الأشعري حنفي الفروع — (سمع منه ببغداد : ابن حاتم ، ابن عساكر) — انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧ : ٢٧٩ ، تبين ٢٤٥ ، شذرات ٣ : ٢٢٩ ، بداية ١٢ : ٣٩

١٤ — الحسن بن علي بن أحمد بن بشار أبو محمد النيسابوري — (سمع منه بالبصرة : ابن حاتم ، شعبة ، ذهبي)

١٥ — الحسن بن محمد بن الحسن أبو محمد بن الخلال (٣٥٢ — ٤٢٩) حافظ جمع تراجم عديدة — (سمع منه ببغداد : ابن حاتم) — انظر ترجمته في تذكرة ٣ : ٢٩٠ ، شذرات ٣ : ٢٦٢ ، بداية ١٢ : ٤٥

١٦ — الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسنويه ، أبو سعيد الأصهباني — (سمع منه بأصفهان : ابن حاتم)

١٧ — الحسين بن الحسن الجواليقي أبو عبد الله بن العريف ، الراوي — (سمع منه ببغداد سنة ٤٠٨ : ذهبي ، شعبة) — انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ٣٣

١٨ — الحسين بن محمد العكبري الصايغ — (سمع منه بعكبرا سنة ٤١٠) — انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ١٠٤

- ١٩ — [طاهر بن عبد الله بن طاهر] أبو الطيب الطبري (٣٤٨) —
 (٤٥٠) ، فقيه لم ير أبو إسحاق الشيرازي أكل اجتهداً وأشد تحقيقاً وأجود
 نظراً منه — (علق عنه الفقه سنين : شعبة ، ذهبي ، سبكي) — انظر ترجمته
 في المنتظم ٨ : ١٩٨ ، تهذيب الأسماء ١ : ٢ : ٢٤٧ ، سبكي ٣ : ١٧٦-١٩٧ ،
 نجوم ٥ : ٦٣ ، شذرات ٣ : ٢٨٤ ، بداية ١٢ : ٧٩
- ٢٠ — عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد الله أبو القاسم الحرقي (أو
 الحرقي) [٣٤٦ - ٤٢٣] ، محدث — (سمع منه ببغداد : ابن حاتم) —
 انظر ترجمته في شذرات ٣ : ٢٢٦
- ٢١ — عبد الرحمن [بن محمد بن عبد الله القرني النيسابوري] أبو القاسم
 السراج (- ٤١٨) من جلة العلماء — (سمع منه بنيسابور : عساكر ، شعبة ،
 ذهبي) — انظر ترجمته في شذرات ٣ : ٢١٠
- ٢٢ — [عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد] أبو نصر بن الصباغ (- ٤٧٧)
 فقيه شافعي ، صاحب الشامل — (علق عنه الفقه : حاتم ١٨٧ ، شعبة ١٣٨) —
 انظر ترجمته في بروكسن ١ : ٣٨٨ وذيله ١ : ٦٧١
- ٢٣ — عبد العزيز بن علي أبو القاسم الأزجي (٣٥٦ - ٤٤٤) — محدث
 وراق — (سمع منه ببغداد : حاتم) — انظر ترجمته في شذرات ٣ : ٢٧١
- ٢٤ — عبد الله بن أحمد الودرجاني أبو القاسم ، المؤذن — (سمع منه
 بأصفهان : حاتم)
- ٢٥ — أبو عبد الله الجمال — (سمع منه بأصفهان : شعبة)
- ٢٦ — عبد الله بن يحيى ، أبو محمد السكري (- ٤١٧) : محدث مشهور
 — (سمع منه ببغداد : عساكر) — انظر ترجمته في شذرات ٣ : ٣٠٨ تاريخ
 بغداد ١٠ : ١٩٩
- ٢٧ — عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو القاسم بن بشران (٣٥١) —

٤٣٠) — واعظ محدث (سمع منه ببغداد : حاتم نقطة) انظر ترجمته في ذيل بروكلين ١ : ٦٠١

٢٨ — [عبد الواحد بن محمد بن عبد الله البزاز] ابو عمر بن مهدي الفارسي (٣١٨ - ٤١٠) محدث - (سمع منه ببغداد : عساكر ، نقطة ، شبيهة ذهبي ، سبكي) — انظر ترجمته في شذرات ٣ : ١٩٢

٢٩ — عبيد الله بن احمد بن عثمان ابو القاسم الأزهرى (٣٥٥ - ٤٣٥) فقيه ومحدث مكثّر - (سمع منه ببغداد : حاتم ، عساكر) — انظر ترجمته في سبكي ٣ : ٢٨٦ ، نجوم ٥ : ٣٧ ، شذرات ٣ : ٢٥٥ ، بداية ١٢ : ٥١

٣٠ — علي بن احمد بن محمد بن بكران ، ابو الحسن الغوي - (سمع منه بالبصرة : حاتم) ، ولعله علي بن محمد بن احمد بن ايوب المقرئ الغلاطي من اهل البصرة روى عنه الخطيب : انساب ١٤١٤

٣١ — علي بن احمد بن هارون ابو الحسن المعدل - (سمع منه بالبدران ؟ لعلها همذان او المدائن : حاتم)

٣٢ — علي بن القاسم بن الحسن ابو القاسم الشاهد - (سمع منه بالبصرة حاتم ، نقطة ، شبيهة ، ذهبي)

٣٣ — علي بن محمد بن عبد الله ابو الحسين بن بشران (٣٢٨ - ٤١٥) محدث - (سمع منه ببغداد : حاتم ، عساكر ، شبيهة ، سبكي) — انظر ترجمته في شذرات ٣ : ٢٠٣

٣٤ — علي بن محمد بن محمد الطرازي - (سمع منه بنيسابور : عساكر ، شبيهة)

٣٥ — [علي بن يحيى بن جعفر] ابو الحسن بن عبد كويه (- ٤٢٢) محدث إمام جامع اصفهان - (سمع منه بأصفهان : ذهبي) — انظر ترجمته في شذرات ٣ : ٢٢٥

٣٦ — عمر بن احمد بن إبراهيم أبو حازم العبدوي (- ٤١٧) ، لم ير

الخطيب احدثاً اطلق عليه اسم الحفظ إلا هو و ابا نعيم - (سمع منه بنيسابور : نقطة ، شبهة ، سبكي) - انظر ترجمته في تذكرة ٣ : ٢٥٨ ، سبكي ٤ : ٧ ، شذرات ٣ : ٢٠٨ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢٧٢

٣٧ - عمر بن احمد بن ابي عمرو ، ابو حفص البزاز - (سمع منه بمكبرا : حاتم) .

٣٨ - القاسم بن جعفر بن عبد الواحد . ابو عمر الهاشمي (٣٢٢ - ٤١٤) راوي السنن - (سمع منه بالبصرة : حاتم ، عساكر ، نقطة ، شبهة ، ذهبي ، سبكي) - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٤٥١ شذرات ٣ : ٢٠١

٣٩ - محمد بن أحمد بن رزقويه ابو الحسن البزاز (٣٢٥ - ٤١٢) ، محدث كثير السماع والكتابة - (اول شيخ سمع منه ببغداد سنة ٤٠٣ . ثم ٤٠٦ . حاتم ، عساكر ، نقطة ، شبهة ، ذهبي ، سبكي) - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٣٥١ ، المنتظم ٨ : ٤ ، نجوم ٤ : ٢٥٦ ، شذرات ٣ : ١٩٦ ، البداية ١٢ : ١٢

٤٠ - [محمد بن احمد بن محمد البغدادى] ابو الفتح بن ابي الفوارس (٢٣٨ - ٤١٢) ، ذو حفظ وانتخاب على المشايخ - (سمع منه ببغداد : شبهة ، ذهبي ، سبكي) - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٣٥٣ ، المنتظم ٨ : ٥ ، تذكرة ٣ : ٢٤٠ ، شذرات ٣ : ١٩٦

٤١ - محمد بن الحسن ، أبو العلاء الوراق (٣١٨ - ٤١٢) ، محدث - (سمع منه ببغداد : شبهة) - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢١٦ ، المنتظم ٦ : ٨

٤٢ - [محمد بن الحسن بن أحمد] أبو علي الأهوازي [في الأنساب ابن أبي علي] - (سمع منه في دمشق : شبهة) - انظر ترجمته في انساب ٢٥٣

٤٣ - محمد بن الحسين بن بلبر ؟ - (سمع منه ببغداد : شبهة)

٤٤ - محمد بن الحسين بن الفضل أبو الحسين القطان - (سمع منه ببغداد حاتم)

٤٥ - محمد بن عبد الرحمن بن أبي نصر - (سمع منه بدمشق : شبهة)

- ٤٦ — محمد بن الله بن شهریار — (سمع منه بأصفهان : نقطة ، ذهبي)
 ٤٧ — محمد بن عمر البلدي المعروف بابن الخطراني (— ٤١٠) من أهل العلم والقرآن — (سمع منه ببغداد : شهبه) — انظر ترجمته في أنساب ١٧١
 ٤٨ — محمد بن عيسى — (سمع منه بهمدان : شهبه ، ذهبي)
 ٤٩ — محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان أبو سعيد الصيرفي (— ٤٢١)
 — سمع الكثير — (سمع منه بنيسابور : نقطة ، شهبه ، عساكر) — شذرات ٢٢٠ : ٣

٥٠ — هلال بن محمد الحفار (٣٢٢ — ٤١٤) ، محدث — (سمع منه ببغداد : عساكر ، نقطة ، شهبه ، ذهبي ، سبكي) — تاريخ بغداد ١٤ : ٧٥ ، المنتظم ٨ : ١٥ ، شذرات ٣ : ٢٠١

أقرانه حدث عنهم وحدثوا عنه

٥١ — [إبراهيم بن علي الفيروزآبادي] أبو إسحاق الشيرازي (— ٤٧٦)
 فقيه شافعي أول مدرس في النظامية ببغداد — (تلاقيا في بغداد : شهبه ١٤٠ وسبكي ٣ : ١٤) — انظر ترجمته ومصادرها في بروكسن ١ : ٣٨٧ وذيله ١ : ٦٦٩

٥٢ — [أحمد بن الحسن بن أحمد] بن خيرون أبو الفضل (— ٤٨٨)
 حافظ ناقد — (لقيه في بغداد : شهبه ، ذهبي) — تذكرة ٤ : ٧ ، لسان الميزان ١ : ١٥٥ ، شذرات ٣ : ٣٨٣ ، بداية ١٢ : ١٤٩

٥٣ — عبد العزيز بن أحمد ، أبو محمد الكتاني (٣٨٩ — ٤٦٦) ، صوفي حافظ مكث — (تلاقيا في دمشق : عساكر ، نقطة ، ذهبي ، سبكي) — تذكرة ٣ : ٣٤٢ ، نجوم ٥ : ٩٦ ، شذرات ٣ : ٣٢٥ ، بداية ١٢ : ١٠٩

٥٤ — [علي بن هبة الله بن جعفر] أبو نصر بن ماكولا (— ٤٢٢)
 (— ٤٨٧) لم يكن ببغداد بعد الخطيب أحفظ منه — (تلاقيا في بغداد : شهبه ،

- ذهبي ، سبكي) — انظر ترجمته ومصادرها في بروكسن ١ ٣٥٤ وذيله ١ : ٦٠٢
- ٥٥ — [المبارك بن عبد الجبار بن أحمد] أبو الحسين الطيوري (٤١١ — ٥٠٠) ، محدث مكثّر — (تلاقيا في بغداد : شعبة ، ذهبي) لسان الميزان ١١ : ٩ — ١١ ، شذرات ٣ : ٤١٢
- ٥٦ — [محمد بن فتوح بن عبدالله] أبو عبدالله الحميدي المغربي الأندلسي ، أحد حفاظ عصره (— ٤٨٨) ، (روى أحدهما عن الآخر : شعبة ، ذهبي) — انظر ترجمته في أنساب ٢١٧٧ ، المنتظم ٩ : ٩٦ ، إرشاد ١٨ : ٢٨٣
- ٥٧ — نصر [بن إبراهيم بن نصر] المقدسي (— ٤٩٠) ، فقيه — (روى أحدهما عن الآخر . شعبة ، ذهبي) — انظر ترجمته ومصادرها في ذيل بروكسن ١ : ٦٠٣

تلامذته

- ٥٨ — أحمد بن أحمد أبو السعادات المتوكلي (٤٤١ — ٥٢١) ، إمام محدث — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد . ابن عساكر : شعبة ، ذهبي) — نجوم ٥ : ٢٣٢ ، شذرات ٤ : ٦٤
- ٥٩ — أحمد بن عبد الواحد بن زريق — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : عساكر ، شعبة)
- ٦٠ — أحمد بن علي البراز أبو السعود المجلي (— ٥٢٥) شيخ مبارك عامي — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : ابن عساكر ، شعبة) — شذرات ٤ : ٧٣
- ٦١ — أحمد بن محمد الروزني ، أبو سعد — (روى عن الخطيب : شعبة ٢١٤٠)
- ٦٢ — [إسماعيل بن أحمد] أبو القاسم السمرقندي (٤٥٤ — ٥٣٨) ،

(حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : عساكر ، نقطة ، شبهة ، سبكي)
انظر ترجمته في سبكي ٢٠٤ : ٤

٦٣ — بدر بن عبد الله الشيعي — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : عساكر ، شبهة) — انظر ترجمته في سمعاني ١٣٤٣

٦٤ — بركات بن عبد العزيز النجاد أبو الحسن (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : عساكر ، شبهة)

٦٥ — أبو بكر الأنصاري القاضي — حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : شبهة ، سبكي)

٦٦ — أبو الحسن بن سعيد — (حدث ابن عساكر عن الخطيب بدمشق : عساكر ، شبهة)

٦٧ — حيدره بن أحمد بن الحسين الأنصاري المعروف بالخروف (- ٥٠٦)
مقريء — (حدث ابن عساكر عن الخطيب بدمشق : عساكر ، شبهة)
انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٢٠ : ٥

٦٨ — أبو طاهر بن الجرجاني — (حدث ابن عساكر عنه بدمشق . عساكر ، شبهة)

٦٩ — طاهر بن سهل بن بشر بن أحمد الاسفرائيني الصائغ (- ٤٥٠ — ٥٣١) ، عسر جاهل بالحديث — (حدث ابن عساكر عنه بدمشق : عساكر شبهة ، ذهبي) — تاريخ دمشق ٤٨ : ٧ ، لسان الميزان ٣ : ٢٠٧

٧٠ — عبد الرحمن بن محمد بن زريق الشيباني ، أبو منصور القزاز (- ٥٣٥) محدث — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : عساكر ، نقطة ، شبهة ، ذهبي ، سبكي) — شذرات ٤ : ١٠٦

٧١ — عبد الكريم بن حمزة أبو محمد السلمي الحداد (- ٥٢٦) ، مسند الشام — (حدث ابن عساكر عن الخطيب بدمشق : عساكر ، شبهة ، ذهبي) — انظر ترجمته في شذرات ٤ : ٧٨

٧٢ — عبد الله بن أحمد السمرقندي (٤٤٤ — ٥١٦) محدث — (روى عن الخطيب : نقطة ، شبهة ، ذهبي ، سبكي) — انظر ترجمته في تذكرة ٤ : ٥٧ شذرات ٤ : ٤٩ ، بداية ١٢ : ١٩١

٧٣ — [علي بن ابراهيم بن العباس] أبو القاسم النسيب (٤٢٤ — ٥٠٨) ، الخطيب الرئيس المحدث — (حدث ابن عساكر عن الخطيب بدمشق : عساكر ، شبهة ، ذهبي) — انظر ترجمته في شذرات ٤ : ٢٣

٧٤ — علي بن أحمد بن قيس الغساني أبو الحسن — (حدث ابن عساكر عن الخطيب بدمشق : عساكر ، شبهة ، ذهبي)

٧٥ — غيث [بن علي بن عبد السلام ، أبو الفرج الصوري] الأرمنازي ، خطيب صور ومحدثها (٤٤٣ — ٥٠٩) (حدث ابن عساكر عنه بدمشق : عساكر ، شبهة) — انظر ترجمته في سمعاني ٢٦ ، شذرات ٤ : ٢٤

٧٦ — أبو القاسم بن أبي العلاء — (من أقران الخطيب حدث عنه : عساكر ، شبهة)

٧٧ — [محمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم الشيباني] ، أبو بكر المرزقي (٤٣٩ — ٥٢٧) مقرئ فرضي حنبلي — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : شبهة) — انظر ترجمته في شذرات ٤ : ٨١

٧٨ — محمد بن أحمد بن عبد الباقي — (حدث ابن عساكر عنه : عساكر)

٧٩ — [محمد بن عبد الملك بن الحسن] أبو منصور بن خيرون (٤٥٤ ؟ — ٥٣٩) ، مقرئ — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد : عساكر ، نقطة ، شبهة ، ذهبي) — انظر ترجمته في شذرات ٤ : ١٢٥

٨٠ — محمد بن أبي العلاء المصيبي — (حدث ابن عساكر عنه بدمشق : عساكر ، شبهة ، ذهبي)

٨١ — [محمد بن علي بن ميمون الكوفي] أبو الغنائم أبي الترسى (٤٢٤ — ٥١٠) ، مقرئ (ذكر شبهة والذهبي انه من مشايخ الخطيب ، وهو احرى

بأن يكون تلميذه ، فأدرجناه هنا) انظر ترجمته في تذكرة ٤ : ٥٦٠ شذرات
٢٩ : ٤

٨٢ — محمد بن عمر الأرموي القاضي (— ٥٤٧) — (آخر من حدث
عنه بالسماع : شعبة ٢١٤٠ ، تذكرة ٣ : ٣١٩) وترجمته في الشذرات ٤ : ١٤٥

٨٣ — محمد بن محمد بن زيد العلوي البغدادي أبو المعالي الشريف المرتضى
(٤٥١ — ٤٨٠) . محدث متشيع — (تخرج بالخطيب ولازمه) — ترجمته في
تذكرة ٤ : ٩ ، الوافي بالوفيات للصفدي ١ : ١٤٣ ، شذرات ٣ : ٣٦٥

٨٤ — محمد بن مرزوق الزعفراني (٤٤٢ — ٥١٧) حافظ تاجر —
(روى عنه : نقطة ، شعبة ، ذهبي ، سبكي ، وكان من أصحابه : ذيل ابن رجب
١١٩) — ترجمته في شذرات ٤ : ٥٧ ، المنتظم ٩ : ٢٤٩

٨٥ — أبو المعالي بن الشعيري (حدث ابن عساكر عنه بدمشق :
عساكر ، شعبة)

٨٦ — مفلح بن أحمد الرومي البغدادي (— ٥٣٧) ، وراق — (روى
عن الخطيب : نقطة ، شعبة ٢١٤٠) — ترجمته في شذرات ٤ : ١١٦

٨٧ — نصر الله [بن محمد بن عبد القوي] أبو الفتح الفقيه المصيصي (٤٤٨
— ٥٤٢) ، خاتم الأشعرية — (حدث ابن عساكر عنه بدمشق : عساكر ،
شعبة ، ذهبي) — ترجمته في أنساب ٢٥٣٢ ، تبين ٣٣٠ ، بداية ١٢ : ٣٢٣

٨٨ — هبة الله [بن أحمد بن محمد] بن الألف كفاني أبو محمد (— ٥٢٤) ،
حافظ محدث — (حدث ابن عساكر عنه بدمشق) — ترجمته في نجوم زاهرة
٥ : ٢٣٥ ، شذرات ٤ : ٧٣

٨٩ — هبة الله بن عبد الله [أو ابن أحمد] أبو القاسم الشروطي

(٥٢٨) ، محدث فقيه — (حدث ابن عساكر عن الخطيب ببغداد :

عساكر ، شبهة ، ذهبي) — ترجمته في شذرات ٤ : ٨٦

٩٠ — [يحيى بن علي] أبو زكريا الخطيب التبريزي (٥٠٢) أديب

(سمع كتب الأدب المقروءة عليه ، شبهة ٢١٣٨) — ترجمته ومصادرها في

بروكلن ١ : ٢٧٩ وذيله ١ : ٤٩٢

٩١ — يوسف بن أيوب أبو يعقوب الهمداني (٤٤١ — ٥٣٥) ،

شيخ الصوفية بمرو — (حدث ابن عساكر عن الخطيب بمرو : عساكر ،

شبهة ، ذهبي) — ترجمته في شذرات ٤ : ١١٠

ملحق بأسماء تلامذته

٩٢ — إبراهيم بن مياس بن مهدي ، أبو إسحاق القشيري (٥٠١ —

أكثر عن الخطيب : ابن الجوزي في المنتظم ٩ : ١٥٨)

٩٣ — عبيد الله بن محمد بن السين ، أبو القاسم الفرا (٤٤٣ — ٤٦٩)

— فقيه محدث (نقل عن الخطيب : ابن النجار ، ذيل تاريخ بغداد ، ظاهرية

تاريخ ٤٢ ، ١١٠٥)

٩٤ — مكي بن عبد السلام المقدسي أبو العباس أو أبو القاسم الرميلى (٤٣٢

— ٤٩٢) — محدث مؤرخ : (أخذ عنه تذكرة ٤ : ٢٦ ، سبكي ٤ : ٢٠ ،

شذرات ٣ : ٣٩٨)

٩٥ — المؤمن بن أحمد بن علي الساجي (٤٤٥ — ٥٠٧) — (سمع من

الخطيب بصور : تذكرة ٤ : ٤٢ ، سبكي ٤ : ٣١٣ ، شذرات ٤ : ٢٠)

٩٦ — هبة الله بن عبد الوارث ، أبو القاسم الشيرازي (٤٨٦ —)

محدث متصوف (أخذ عنه : شذرات ٣ : ٣٧٩)

٩٧ — علي بن عقيل بن محمد بن عقيل . أبو الوفاء (٥١٣) — الفقيه

إمام عصره (الخطيب من مشايخه : المنتظم ٩ : ٢١٢ . وذيل ابن رجب .
ظاهرية تاريخ ٦٠)

٩٨ — محمد بن عبد الباقي [بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري] أبو
بكر النصري (— ٥٣٥) محدث جامع للفنون — (حدث عنه : نقطة .
الأنساب ٢٥٦١ . شذرات ٤ : ١٠٨)

٩٩ — محمد بن محمد [بن الحسين] بن الفرا أبو الحسين بن الفرا
(٤٥٢ — ٥٢٦) — فقيه حنبلي (حدث عنه : نقطة ، الأنساب ١٤٢٠ ،
شذرات ٤ : ٧٩)

١٠٠ — إبراهيم بن منصور الفقيه الكرخي — (حدث عنه . نقطة .)



تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق

من روايته من الأجزاء المسموعة والكبار المصنفة وما جرى

مجراها سوى الفوائد والأمالى والمنثور

أوردها دون ترتيب محمد بن أحمد بن محمد المالكي الأندلسي في مخطوط بالظاهرة رقمه : مجموع ١٨ (٦) . ولكي تم الفائدة منها رتبنا أسماء الكتب التي ذكرت فيها على موضوعات العلوم (علوم القرآن ؛ الحديث ؛ الفقه ؛ الكلام والزهد والرفائق ؛ علوم اللغة ؛ الأدب ؛ التاريخ ؛ تفسير الأحلام) ثم على الحروف في كل موضوع ؛ وبقي عدد من الكتب جهلنا موضوعها ، فأدرجناها في آخر التعداد .

وقد بذلنا قصارى جهدنا في أن ندرج أسماء المؤلفين كاملة بينة ؛ فاستفدنا من ورودها واضحة أو موضحة في بعض أماكن من هذه التسمية ؛ وأتمناها على أكمل نحو وردت فيه ؛ وأتبعناها وما بقي منها مبهماً في الفهرست لابن النديم وفهرسة ما رواه أبو بكر بن خير والرسالة المستطرفة وأصول أخرى ؛ حتى إذا وجدنا لأحد مؤلفيها كتاباً مذكوراً فيها ؛ وفي أحد هذه المصادر ، أكملنا اسم ذلك المؤلف ، وذكرنا حذاء كتابه الذي كان سبب اهتدائنا مكان ذكره في هذه المصادر . أما المؤلفون المشهورون الذين لا تدع أسماءهم مجالاً للالتباس ؛ فقد أتمناها من كتب التراجم . وأغفلنا ما تبقى بعد كل ذلك لئلا تقع في الغلط أو لأن الاسم كاف في الدلالة على صاحبه . وقد وضعنا تمة الأسماء بين قوسين [] . وفوق كل ذي علم عليم .

علوم القرآن

- ١٦ — كتاب الرد على من خالف
الامام مصحف عثمان لابن الانباري
[أبي بكر محمد بن القاسم : الفهرست
٧٥]
- ١٧ — كتاب عدد سجود القرآن
لابراهيم [بن إسحاق] الحربي
- ١٨ — غريب القرآن لابن قتيبة
[عبد الله بن مسلم]
- ١٩ — غريب القرآن للترمذي
- ٢٠ — غريب القرآن لمؤرج بن
عمرو [السدوسي]
- ٢١ — فضائل القرآن خلف
ابن هشام
- ٢٢ — فضائل القرآن لعباد بن
يعقوب
- ٢٣ — فضائل القرآن لمحمد بن
أيوب الرازي
- ٢٤ — فضائل القرآن لمحمد بن
الفضل السقطي
- ٢٥ — فضائل القرآن ليحيى الحماني
- ٢٦ — القراءات لابي عبيد
[القاسم بن سلام]

- ١ — اختلاف حمزة والكسائي
لنصير بن يوسف
- ٢ — اختلاف حملة القرآن للآجري
[أبي بكر محمد بن الحسين]
- ٣ — اختلاف المصاحف لنفطويه
[أبي عبد الله إبراهيم بن محمد]
- ٤ — كتاب الاستثناء والشروط
في كتاب الله تعالى لنفطويه [أبي عبد
الله إبراهيم بن محمد : الفهرست ٨٢]
- ٥ — تفسير ابن أبي نجيح عن
مجاهد
- ٦ — تفسير سعيد بن منصور
- ٧ — تفسير سفيان الثوري
- ٨ — تفسير شبل بن عباد
- ٩ — تفسير عطية العوفي
- ١٠ — تفسير عكرمة عن ابن
عباس
- ١١ — تفسير قدامة [بن دامة]
- ١٢ — تفسير مقاتل بن حبان
- ١٣ — تفسير مقاتل بن سليمان
- ١٤ — تفسير الوليد بن مسلم
- ١٥ — كتاب الجوابات في القرآن
لمقاتل بن سليمان

٤٠ — مشكل القرآن لابن قتيبة
[عبد الله بن مسلم]

٤١ — مشكل القرآن لثعلب

٤٢ — كتاب المصاحف لابن أبي

داود [عبد الله بن سليمان السجستاني]

٤٣ — المصاحف لأبي بكر بن

أبي شيبة [عبد الله بن محمد]

٤٤ — معاني القرآن للفراء [أبي

زكريا يحيى بن زياد]

٤٥ — الناسخ والمنسوخ لأبي

داود [السجستاني]

٤٦ — الناسخ والمنسوخ لأبي

عبيد [القاسم بن سلام]

٤٧ — الناسخ والمنسوخ للجمعد

[لعله أبو بكر محمد بن عثمان]

٤٨ — الناسخ والمنسوخ لشريح

ابن يوسف بن يونس ؟

٤٩ — الناسخ والمنسوخ لعطاء

الخراساني

٥٠ — الناسخ والمنسوخ لقتادة

[ابن دعامة]

٥١ — الناسخ والمنسوخ ليزيد

النحوي (؟)

٢٧ — قراءات أهل المدينة لاسماعيل

ابن جعفر

٢٨ — قراءات أهل مكة للخرزاعي

٢٩ — قراءة ابن عامر

٣٠ — قراءة ابن محص ؟

٣١ — قراءة أبي عمرو [بن

العلاء] من طريق اليزيدي عنه من

طريقين ومن طريق الأصمعي عنه ومن

طريق الخريبي عنه

٣٢ — قراءة الأعمش [سليمان

ابن مهران]

٣٣ — قراءة الحسن البصري

٣٤ — قراءة حمزة

٣٥ — قراءة عاصم من طريق

يحيى بن آدم عن أبي بكر عنه

٣٦ — قراءة يعقوب [لعله ابن

ابراهيم]

٣٧ — كتاب اللطائف في هجاء

المصاحف

٣٨ — اللغات في القرآن للفراء

[أبي زكريا يحيى بن زياد]

٣٩ — كتاب اللغات في القرآن

لمقاتل بن سليمان

- ٥٥ — الوجوه والنظائر للعباس
ابن الفضل الأنصاري
- ٥٦ — الوجوه والنظائر لمقاتل
ابن سليمان
- ٥٧ — ياقوتة الصراط [في
غريب القرآن] لأبي عمر الزاهد
[أحمد بن محمد المطرز ؛ ابن خليفة ٦٠]
- ٥٢ — وقف النام لنافع [بن
عبد الرحمن المدني]
- ٥٣ — كتاب الوقف والابتداء
لابن الأنباري [أبي بكر محمد بن
القاسم]
- ٥٤ — كتاب الوقف والابتداء
لأبي عمرو بن العلاء

الحديث

- ٥٨ — كتاب اختلاف الحديث
لشافعي [محمد بن إدريس]
- ٥٩ — كتاب الأدب للبخاري
[محمد بن إسماعيل]
- ٦٠ — كتاب الأربعين لابن
شاهين [عمر بن أحمد]
- ٦١ — كتاب الأربعين للحسن
ابن سفيان [بن عامر الشيباني : ابن
خليفة ١٥٧]
- ٦٢ — كتاب الأربعين حديثاً
لمحمد بن أسلم
- ٦٣ — إصلاح احاديث المغازي
للواعدي [ابي عبد الله محمد بن عمر]
- ٦٤ — إصلاح غلط ابي عبيد
[في غريب الحديث] لابن قتيبة
- [عبد الله بن مسلم : ابن خليفة ١٨٨]
- ٦٥ — امالي عبد الرزاق [بن
همام]
- ٦٦ — الأوهام لعبد الغني [بن
سعيد]
- ٦٧ — التبع على البخاري ومسلم
للدارقطني [علي بن عمر]
- ٦٨ — كتاب التفرد لأبي داود
السجستاني (فيه ما تفرد به اهل
الأمصار من السنن : ابن خليفة ١٠٩)
- ٦٩ — كتاب التميز [في الحديث]
لمسلم [بن الحجاج القشيري : ابن
خليفة ٢١٢ : كشف الظنون ٢ :
٢٧٠]
- ٧٠ — كتاب الجامع للثوري

٨٤ — سؤالات البرقاني للدارقطني
[علي بن عمر]

٨٥ — علل ابي زرعة الرازي

٨٦ — علل ابي بكر الأثرم

[احمد بن محمد : فهرست ٢٢٩]

٨٧ — كتاب العلل للدارقطني

[علي بن عمر]

٨٨ — كتاب العلل لأعمرو بن

علي [لعله القلاس]

٨٩ — العلل ليحيى القطان

٩٠ — كتاب العلم لأبي خيثمة ؟

٩١ — غرائب حديث الزهري

لابن مظفر

٩٢ — غرائب حديث مسعر

لابن مظفر

٩٣ — غرائب مالك للآبندوني

[ابي القاسم عبد الله بن إبراهيم

الجرجاني]

٩٤ — غرائب حديث مالك لدعلج

٩٥ — غرائب حديث مالك

للطبراني [سليمان بن احمد]

٩٦ — غرائب مالك لأبي بكر

النيسابوري

٩٧ — غريب الحديث لابن قتيبة

[عبد الله بن مسلم]

[سفیان] من طريق الأسجعي ومن

طريق عبيد الله بن موسى أيضاً

٧١ — جامع عبد الرزاق [بن

همام]

٧٢ — حديث الفتون

٧٣ — حديث مالك جمع ابي بكر

الشافعي [محمد بن عبد الله البزار :

ترجمته في الرسالة المستطرفة ٦٩]

٧٤ — حديث مرمره ؟ بنت

مروان بن محمد

٧٥ — خطبة الوداع للنبي (صلى

الله عليه وسلم)

٧٦ — كتاب الرمي والنضال

للكليني [علي بن عمر]

٧٧ — كتاب السنة لأبي عبد

الله الفقيه

٧٨ — كتاب السنة للزبيدي

٧٩ — كتاب السنة ليعقوب بن

سفيان

٨٠ — السنن لابي داود [السجستاني]

٨١ — السنن لابي قرة

٨٢ — السنن للدارقطني [علي

ابن عمر]

٨٣ — السنن لمحمد بن الصباح

[البزار]

- ١١١ — مسند الحارث بن أبي أسامة
 ١١٢ — مسند الشافعي [محمد بن
 أدريس]
 ١١٣ — المسند الصحيح لأحمد
 ابن علي الأصبهاني
 ١١٤ — المسند الصحيح للبرقاني
 [أحمد بن محمد]
 ١١٥ — مسند العشرة لأبي
 الحسن المادرائي
 ١١٦ — مسند العشرة وغيرهم
 لاسماعيل بن إسحاق القاضي
 ١١٧ — مسند العشرة لجعفر بن
 المنادي
 ١١٨ — مسند كتب عبد الرزاق
 [ابن همام] منها الطهارة والصلاة
 والزكاة والحج والصيام والجهاد والنكاح
 والطلاق والرضاع والحدود وغير ذلك
 ١١٩ — مسند مالك لاسماعيل
 [ابن إسحاق] القاضي
 ١٢٠ — مسند مسدد
 ١٢١ — مشكل الحديث لابن
 قتيبة [عبد الله بن مسلم]
 ١٢٢ — كتاب المؤلف والمختلف
 للدارقطني [علي بن عمر]

- ٩٨ — غريب الحديث لأبي عبيد
 [القاسم بن سلام]
 ٩٩ — كتاب آدم (?) عن شعبة
 ١٠٠ — كتاب علي بن الجعد
 [أبي الحسن الهاشمي]
 ١٠١ — كلام البرديجي في معرفة
 أصول الحديث
 ١٠٢ — كتاب المدخل إلى
 الصحيح لاسماعيل [أبي بكر أحمد
 ابن إبراهيم، سمعاني ١١٣٦]
 ١٠٣ — مسند أبي حنيفة لابن
 شاهين [عمر بن أحمد]
 ١٠٤ — مسند أبي حنيفة لابن
 مظفر
 ١٠٥ — مسند أبي حنيفة للدارقطني
 [علي بن عمر]
 ١٠٦ — مسند أبي داود الطيالسي
 ١٠٧ — مسند أحمد بن حنبل
 ١٠٨ — مسند الأوزاعي للطبراني
 [سليمان بن أحمد]
 ١٠٩ — مسند الثوري للبرقاني
 [أحمد بن محمد]
 ١١٠ — مسند الثوري للطبراني
 [سليمان بن أحمد]

الفقه

للقاش [أبي بكر محمد بن الحسن]

١٣٦ — كتاب الحيض لأبي

عبيد [القاسم بن سلام]

١٣٧ — كتاب الخراج ليحيى

ابن آدم

١٣٨ — رأي الفقهاء السبعة

١٣٩ — الرد على أبي حنيفة

للأوزاعي [عبد الرحمن بن عمرو]

١٤٠ — الرد على أبي حنيفة

لمُطَيَّن [لعله محمد بن عبد الله الحضرمي]

١٤١ — كتاب الرد على محمد بن

الحسين للشافعي [محمد بن ادريس]

١٤٢ — كتاب الرسالة للشافعي

[محمد بن ادريس]

١٤٣ — كتاب رفع اليدين في

الصلاة للبخاري [محمد بن إسماعيل]

١٤٤ — كتاب زكاة الفطر لجعفر

[ابن محمد] الفريابي

١٤٥ — كتاب الزكاة ليوسف

القاضي

١٤٦ — كتاب الصور والتماثيل

للفريابي [جعفر بن محمد]

١٤٧ — كتاب الصيام ليوسف

القاضي

١٢٣ — اختلاف العلماء لآجري

[أبي بكر محمد بن الحسين]

١٢٤ — أدب الجدل لابن العاص

١٢٥ — كتاب الاستخارة

والاستشارة للزيري

١٢٦ — كتاب الأضاحي لابن

أبي الدنيا

١٢٧ — الأموال لأبي عبيد

[القاسم بن سلام]

١٢٨ — كتاب تحريم الذهب

والحرير للفريابي [جعفر بن محمد]

١٢٩ — كتاب جماع العلم للشافعي

[محمد بن أدريس]

١٣٠ — كتاب الجنائز لجعفر

[ابن محمد] الفريابي

١٣١ — كتاب الجنائز لعبد

الوهاب بن عطاء

١٣٢ — كتاب الجنائز لابن

صاعد [لعله أبو محمد يحيى بن محمد]

١٣٣ — كتاب الجهاد لابن

المبارك [عبد الله : الرسالة المستطرفة ٣٧]

١٣٤ — كتاب الجهاد لسعيد بن

منصور

١٣٥ — كتاب حدائق القضاة

١٦١ — مسائل ابن عمار الموصلي

١٦٢ — كتاب المسائل لابن

قتيبة [عبد الله بن مسلم]

١٦٣ — كتاب مسائل أبي بكر

[أحمد بن محمد] المرودي لأحمد

[ابن حنبل]

١٦٤ — مسائل أبي داود لأحمد

[ابن حنبل]

١٦٥ — مسائل أبي عبيد الآجري

لأبي داود [السجستاني]

١٦٦ — كتاب المناسك لأبراهيم

[ابن إسحاق] الحرابي

١٦٧ — كتاب المناسك لأبي

الحسين [جعفر] بن المنادي

١٦٨ — منتخب كتب سعيد بن

منصور في الأحكام

١٦٩ — كتاب الموطأ [لمالك]

من طريق القعني ومن رواية ابن

وهب وابن العلاء ؟ ومن طريق سويد

ابن سعيد ومن طريق قتيبة وسويد

أيضاً ومن طريق معن بن عيسى

[وآخر غير مقروء]

١٧٠ — كتاب النكاح لسعيد

ابن منصور

١٤٨ — الطهارة لأبي عبيد [القاسم

ابن سلام]

١٤٩ — الفرائض لأحمد بن

حنبل

١٥٠ — الفرائض للثوري

[سفيان]

١٥١ — كتاب الفرائض ليزيد

ابن هارون [أبي خالد : الفهرست ٣٣]

١٥٢ — كتاب فهم المناسك

للقناش [أبي بكر محمد بن الحسن :

الفهرست ٣٣]

١٥٣ — كتاب القراءة وراء

الامام للبخاري [محمد بن إسماعيل]

١٥٤ — مختصر عبد الله بن عبد

الحكم [أبي محمد المصري]

١٥٥ — كتاب المرض والكفارات

لابن أبي الدنيا

١٥٦ — مسألة إبطال النكاح بغير

ولي لابن حمدان

١٥٧ — مسألة الامرا (؟) لنفطويه

[إبراهيم بن محمد]

١٥٨ — مسألة بريرة لأبي خزيمة

١٥٩ — مسألة سبحق [لعلمها

سبحان] لنفطويه [إبراهيم بن محمد]

١٦٠ — مسألة وجوب العمرة

الكلام والزهد والرقائق

- | | |
|--|---|
| ١٨١ — كتاب التوكل لابن أبي الدنيا | ١٧١ — إثبات (؟) الأولياء للقشيري [عبد الكريم بن هوازن] |
| ١٨٢ — كتاب الثواب لآدم ابن أبي إياس [الخراساني] | ١٧٢ — أخبار الصوفية للقشيري [عبد الكريم بن هوازن] |
| ١٨٣ — حديث الصور لابن أبي الدنيا | ١٧٣ — كتاب أعلام النبوة لابن قتيبة [عبد الله بن مسلم] |
| ١٨٤ — كتاب الحذر والشفقة لابن أبي الدنيا | ١٧٤ — كتاب البر والصلة ليعقوب بن سفيان |
| ١٨٥ — كتاب حسن الظن بالله [لابن أبي الدنيا] | ١٧٥ — كتاب التفكير والاعتبار لابن أبي الدنيا |
| ١٨٦ — كتاب الحلم وذم الفحش والبذاء لابن أبي الدنيا | ١٧٦ — كتاب التفكير واعمال السرور والأحزان لابن أبي الدنيا |
| ١٨٧ — كتاب الحيدة | [لم يذكر في فهرست كتب ابن أبي الدنيا، ظاهرة مجموع] |
| ١٨٨ — كتاب الخائفين لابن أبي الدنيا | ١٧٧ — كتاب التقوى لابن أبي الدنيا |
| ١٨٩ — كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا | ١٧٨ — كتاب التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا |
| ١٩٠ — كتاب الدعاء ليوسف القاضي | ١٧٩ — كتاب التوبة لابن أبي الدنيا |
| ١٩١ — كتاب دلائل النبوة لجعفر [بن محمد] الفريابي | ١٨٠ — كتاب التوبة لنفطويه [إبراهيم بن محمد] |
| ١٩٢ — كتاب الذكر لابن أبي الدنيا | |

- ١٩٣ — كتاب ذكر الموت إلى الرشيد [وضعها أدباً للناس : ابن خليفة ٢٩٨]
- ١٩٤ — كتاب ذم البغي لابن أبي الدنيا
- ١٩٥ — ذم الدنيا والزهد فيها لابن أبي الدنيا
- ١٩٦ — كتاب ذم المسكر لابن أبي الدنيا
- ١٩٧ — كتاب ذم الملاحى لابن أبي الدنيا
- ١٩٨ — كتاب الرد على البراهمة للشافعي [محمد بن أدريس]
- ١٩٩ — كتاب الرد على الجهمية لنفطويه [إبراهيم بن محمد]
- ٢٠٠ — الرد على القدرية لمقاتل ابن سليمان
- ٢٠١ — رسالة أبي ثور في الايمان [ولعل المؤلف أبو ثور هو إبراهيم ابن خالد المتوفى سنة ٢٤٠]
- ٢٠٢ — رسالة عمر بن عبد العزيز في القدر
- ٢٠٣ — الرسالة في الايمان لأبي عبيد [القاسم بن سلام]
- ٢٠٤ — رسالة مالك [بن أنس] ابن آدم
- إلى الرشيد [وضعها أدباً للناس : ابن خليفة ٢٩٨]
- ٢٠٥ — كتاب الروضة [في الزهد] لابن البراء [محمد بن أحمد العبدي : ابن خليفة ٢٧٤]
- ٢٠٦ — كتاب الرؤيا لجعفر [بن محمد] الفريابي
- ٢٠٧ — كتاب رؤية الله تعالى للدارقطني [علي بن عمر]
- ٢٠٨ — رياضة المتعلمين لأبي نعيم الحافظ [أحمد بن عبد الله الأصفهاني]
- ٢٠٩ — الزهد لابن المبارك [عبد الله]
- ٢١٠ — زهد سيّار
- ٢١١ — الزهد للشكلي
- ٢١٢ — كتاب الزهد لهناد بن السري [الكوفي الكبير : الرسالة المستطرفة ، ٣٩]
- ٢١٣ — الزوال للراسبي
- ٢١٤ — كتاب الزوال للشحى [لعله الشحى]
- ٢١٥ — كتاب الزوال ليحيى

- ٢٢٨ — كلام يحيى بن معاذ الرازي
 ٢٢٩ — كتاب مجابي الدعوة
 لابن ابي الدنيا
 ٢٣٠ — كتاب محاسبة النفس
 والازراع ؟ عليها لابن ابي الدنيا
 ٢٣١ — كتاب المحتضرين لابن
 ابي الدنيا
 ٢٣٢ — كتاب المطر والرعد
 والبرق والريح لابن ابي الدنيا
 ٢٣٣ — كتاب من عاش بعد
 الموت لابن ابي الدنيا
 ٢٣٤ — كتاب المنامات لابن
 ابي الدنيا
 ٢٣٥ — كتاب النهي عن الغيبة
 لابراهيم [بن إسحاق] الحربي
 ٢٣٦ — كتاب النهي عن الكذب
 لابراهيم [بن إسحاق] الحربي
 ٢٣٧ — كتاب الهم والحزن
 لابن ابي الدنيا
 ٢٣٨ — كتاب الوجل والتوثق
 بالعمل لابن ابي الدنيا
 ٢٣٩ — كتاب اليقين لابن ابي
 الدنيا

- ٢١٦ — كتاب الشكر لابن
 أبي الدنيا
 ٢١٧ — كتاب صفة المنافق
 للفريابي [جعفر بن محمد]
 ٢١٨ — كتاب الصمت وأدب
 اللسان لابن أبي الدنيا
 ٢١٩ — كتاب العفو وذم
 الغضب لابن أبي الدنيا
 ٢٢٠ — كتاب العقوبات لابن
 أبي الدنيا
 ٢٢١ — كتاب الغنية عن
 الكلام للخطابي
 ٢٢٢ — كتاب الفرج [بعد
 الشدة] لابن أبي الدنيا
 ٢٢٣ — كتاب قصر الأمل لابن
 أبي الدنيا
 ٢٢٤ — كتاب القناعة لابن
 ابي الدنيا
 ٢٢٥ — كتاب القناعة لابن
 مسروق
 ٢٢٦ — كلام أبي بكر الشبلي
 [الصوفي المتوفي سنة ٣٣٣]
 ٢٢٧ — كلام ذي النون [لعله
 أبو الفيض بن إبراهيم]

علوم اللغة

- ٢٤٠ — كتاب الأضداد لابن الأثير [أبي بكر محمد بن القاسم :
الفهرست ٧٥]
- ٢٤١ — كتاب الالفات لابن الأثير [أبي بكر محمد بن القاسم :
٢٤٢ — أمالي ثعلب .
- ٢٤٣ — كتاب الأنواء للزجاج [أبي إسحاق إبراهيم بن محمد :
٢٤٤ — كتاب الهي [في النحو]
الفراء [أبي زكريا يحيى بن زياد :
الفهرست ٦٧ ، وابن خليفة ٢١١]
- ٢٤٥ — كتاب التصحيف للدارقطني [علي بن عمر]
- ٢٤٦ — خلق الانسان للزجاج [أبي إسحاق إبراهيم بن محمد :
٦١]
- ٢٤٧ — كتاب الخليل للأصمعي [عبد الملك بن قريب]
- ٢٤٨ — كتاب الزاهر لابن الأثير [أبي بكر محمد بن القاسم :
الفهرست ٧٥]
- ٢٤٩ — الفصيح لثعلب .
- ٢٥٠ — كتاب فعلت وأفعلت للزجاج [أبي إسحاق إبراهيم بن محمد :
٢٥١ — كتاب كلا لابن المنادي [جعفر]
- ٢٥٢ — اللغات للهيثم بن عدي [أبي عبد الرحمن الشعلي]
- ٢٥٣ — المجاز لأبي عبيدة وهو معمر بن المثنى
- ٢٥٤ — كتاب المطر لابن دريد [محمد بن الحسن]
- ٢٥٥ — كتاب الملاحن لابن دريد [محمد بن الحسن :
٢٥٦ — كتاب النوادر لأبي سهل بن زياد
- ٢٥٧ — النوادر لسرج بن يونس

الأدب

- ٢٥٨ — كتاب الأجداد للدارقطني
[علي بن عمر]
٢٥٩ — كتاب الاخوة والاخوات
لمسلم [بن الحجاج القشيري]
٢٦٠ — كتاب آداب ابن المعتز
[عبد الله]
٢٦١ — أدب الكتاب لابن قتيبة
[عبد الله بن مسلم]
٢٦٢ — كتاب أشعار لصوص
العرب وأخبارهم لأبي سعيد السكري
٢٦٣ — كتاب اصطناع المعروف
لابن أبي الدنيا [أبي بكر عبد الله
ابن محمد]
٢٦٤ — كتاب الأمثال لابي
عبيد [القاسم بن سلام]
٢٦٥ — كتاب الترغيب في العلم
للغزني
٢٦٦ — كتاب التعازي للمدايني
[أبي الحسن علي بن محمد]
٢٦٧ — كتاب التوقيف على
فضل الخريف للأمر أبي محمد بن المقتدر
٢٦٨ — كتاب الثقلاء لأبي مزاحم
٢٦٩ — كتاب الثقلاء لأبي نعيم
الحافظ [أحمد بن عبد الله الأصفهاني]
٢٧٠ — كتاب الحسن والجمال
لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن
خلف]
٢٧١ — كتاب الحمام لابراهيم
[ابن إسحاق] الحربي
٢٧٢ — كتاب الحمق وال حماقة
للنقاش [أبي بكر محمد بن الحسن]
٢٧٣ — كتاب الخط والهجاء
للمبرد [محمد بن يزيد]
٢٧٤ — خطبة الحجاج بالكوفة
٢٧٥ — خطبة عائشة تقريظ ابن
الأنباري [أبي بكر محمد بن القاسم]
٢٧٦ — خطبة علي في الملاحم
٢٧٧ — خطبة هند بن (?) أبي هالة
تقريب ابن الأنباري [أبي بكر محمد
ابن القاسم]
٢٧٨ — كتاب الخوارة للمدايني
[أبي الحسن علي بن محمد]
٢٧٩ — كتاب الديارات لأبي
الفرج الأصبهاني [علي بن الحسن]

- ٢٨٠ — رسالة الجاحظ في حب الوطن
- ٢٨١ — الرسالة في الخط والقلم لابن قتيبة [عبد الله بن مسلم]
- ٢٨٢ — رسالتان في الخريف والربيع لابن شبيل
- ٢٨٣ — كتاب الرهبان للبرجلاني [محمد بن الحسين]
- ٢٨٤ — كتاب الغرباء للأجري [أبي بكر محمد بن الحسين]
- ٢٨٥ — الغزل للطبراني [سليمان ابن أحمد]
- ٢٨٦ — قصيدة ذي الرمة : ما بال عينك
- ٢٨٧ — قصيدة كعب بن زهير
- تقريب ابن الأثير [أبي بكر محمد ابن القاسم]
- ٢٨٨ — القصيدة المربعة لابن دريد [محمد بن الحسن]
- ٢٨٩ — القصيدة المقصورة لابن دريد [محمد بن الحسن]
- ٢٩٠ — القصيدة اليتيمة
- ٢٩١ — كتاب قرى الضيف لابن أبي الدنيا
- ٢٩٢ — كتاب قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا
- ٢٩٣ — كتاب كتمان السر لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن خلف]
- ٢٩٤ — كتاب الكرم للبرجلاني [محمد بن الحسين : الفهرست ١٨٥]
- ٢٩٥ — كتاب كلف السودان لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن خلف]
- ٢٩٦ — مباينة البيضا مأثتان وتسعون بيتاً
- ٢٩٧ — كتاب مداراة الناس لابن أبي الدنيا
- ٢٩٨ — كتاب المروعة لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن خلف]
- ٢٩٩ — كتاب من أقام على المودة والوفا لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد ابن خلف]
- ٣٠٠ — منتخب ديوان المتنوشي
- ٣٠١ — كتاب الهدايا للزيري

التاريخ وما يتبعه

- ٣١٣ — أخبار داود الطائي
 ٣١٤ — أخبار عبد الله بن جعفر
 لابن المرزبان [محمد بن خلف]
 ٣١٥ — أخبار العرجي لابن
 المرزبان [أبي عبد الله محمد بن خلف:
 الفهرست ١٥٠]
 ٣١٦ — أخبار فضيل بن عياض
 ٣١٧ — أخبار مجنون بن عامر
 لابن المرزبان [محمد بن خلف]
 ٣١٨ — أخبار المصنفين للعسكري
 [أبي أحمد الحسن بن عبد الله]
 ٣١٩ — أخبار المختار بن أبي
 عبيد الله للمدائني [أبي الحسن علي
 ابن محمد]
 ٣٢٠ — أخبار نصيب لابن المرزبان
 [أبي عبد الله محمد بن خلف]
 ٣٢١ — أخبار وهيب بن الورد
 ٣٢٢ — كتاب أخلاق النبي (صلى
 الله عليه وسلم) لإسماعيل [بن إسحاق]
 القاضي
 ٣٢٣ — كتاب أسماء رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم)

- ٣٠٢ — أخبار ابن دهب الجمحي
 لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن
 خلف]
 ٣٠٣ — أخبار ابن قيس الرقيات
 [ومختار شعره] لابن المرزبان [محمد
 ابن خلف: الفهرست ١٤٩]
 ٣٠٤ — أخبار إبراهيم بن أدهم
 ٣٠٥ — أخبار أبي نواس لابن
 أبي سعد
 ٣٠٦ — أخبار امرئ القيس
 لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن
 خلف]
 ٣٠٧ — أخبار إياس بن معاوية
 للمدائني [أبي الحسن علي بن محمد]
 ٣٠٨ — أخبار البحري للمرزباني
 [محمد بن خلف]
 ٣٠٩ — أخبار بشر بن الحارث
 ٣١٠ — أخبار بني إسرائيل لمحمد
 ابن سامة
 ٣١١ — أخبار حاتم الأصم
 ٣١٢ — أخبار حسان بن ثابت
 لبرزويه

٣٣٧ — تاريخ ابي الحسين
[جعفر] بن المنادي

٣٣٨ — تاريخ ابي العباس الاثبات
[احمد بن علي : الرسالة المستطرفة ،
٨٣]

٣٣٩ — كتاب التاريخ لأبي عبيد
[القاسم بن سلام]

٤٤٠ — تاريخ ابي مسلم بن صالح

٣٤١ — تاريخ ابي موسى الزمر

٣٤٢ — تاريخ احمد بن حنبل

٣٤٣ — تاريخ اصبهان

٣٤٤ — تاريخ البخاري [محمد
ابن إسماعيل]

٣٤٥ — تاريخ الجزيرين

٣٤٦ — تاريخ الحمصين

٣٤٧ — تاريخ حنبل بن إسحاق

٣٤٨ — تاريخ الخلفاء لابن
ابي الدنيا

٣٤٩ — تاريخ الخلفاء لأبي بشر
الدولاني

٣٥٠ — تاريخ الخلفاء لأبي معشر
المدني [نجيح]

٣٥١ — تاريخ الخلفاء عمرو بن
حفص السدوسي

٣٢٤ — أسماء الرواة عن الشافعي
[محمد بن أدريس]

٣٢٥ — كتاب الأسماء المفردة
للبرديجي

٣٢٦ — كتاب الأسماء والكنى

لمسلم [بن الحجاج القشيري : الفهرست
٢٣١]

٣٢٧ — الألوية

٣٢٨ — تاريخ ابن أبي الاحوص (؟)

٣٢٩ — تاريخ ابن البراء [محمد
ابن أحمد العبدي]

٣٣٠ — كتاب تاريخ ابن البرقي
[محمد بن خالد]

٣٣١ — تاريخ ابن حراش

٣٣٢ — تاريخ ابن عقدة [أبي
العباس أحمد بن محمد]

٣٣٣ — تاريخ ابن قانع [عبد
الباقي]

٣٣٤ — تاريخ أبي بكر بن أبي
الأسود (؟)

٣٣٥ — تاريخ ابي بكر [عبد
الله بن محمد] بن ابي شيبه

٣٣٦ — تاريخ ابي حسان [الحسن]
الزيادي

- طريق عباس الدوري عنه
 ٣٥٢ - تاريخ الرقة [لمحمد بن سعيد القشيري]
 ٣٥٣ - تاريخ عبيد الله بن يحيى
 ابن بكير
 ٣٥٤ - تاريخ عثمان بن ابي شيبة
 ٣٥٥ - تاريخ عمرو بن علي
 [لعله القلاس]
 ٣٥٦ - تاريخ الفضل بن غسان
 الغلابي
 ٣٥٧ - تاريخ محمود بن عيلان
 ٣٥٨ - تاريخ مُطَيَّن [لعله محمد]
 ابن عبد الله الحضرمي
 ٣٥٩ - تاريخ المواصلة
 ٣٦٠ - تاريخ نبطويه [لإبراهيم]
 ابن محمد
 ٣٦١ - تاريخ هراة
 ٣٦٢ - تاريخ الهيثم بن عدي
 [ابي عبد الرحمن الشعلي]
 ٣٦٣ - تاريخ يحيى بن بكير
 ٣٦٤ - تاريخ يحيى بن معين من
 طريق إبراهيم بن الجنيد عنه
 ٣٦٥ - تاريخ يحيى بن معين من
 طريق الحسين بن حسان عنه
 ٣٦٦ - تاريخ يحيى بن معين من
 طريق عباس الدوري عنه
 ٣٦٧ - تاريخ يحيى بن معين من
 طريق عبد الخالق بن منصور عنه
 ٣٦٨ - تاريخ يحيى بن معين من
 طريق يزيد بن المبارك عنه
 ٣٦٩ - تاريخ يعقوب بن سفيان
 ٣٧٠ - تسمية من روي عنه من
 اولاد العشرة للدارقطني [علي بن عمر]
 ٣٧١ - تسمية من روي عنه من
 اولاد العشرة لعلي بن [عبدالله] المديني
 ٣٧٢ - تسمية من شهد مع علي
 حروبه
 ٣٧٣ - حديث وفاة ابي بكر
 ٣٧٤ - حديث وفاة النبي (صلى
 الله عليه وسلم)
 ٣٧٥ - حديث وفود العرب
 على كسرى
 ٣٧٦ - كتاب الحرة للمدايني
 [ابي الحسن علي بن محمد]
 ٣٧٧ - خبر ابي زيد في صفة
 الأسد
 ٣٧٨ - خبر إرم ذات العماد
 ٣٧٩ - خبر استسقاء عبد الملك
 ابن مروان

٣٩٣ — سؤالات الدارمي ليحيى

ابن معين

٣٩٤ — شيوخ أبي عبد الرحمن

النسائي

٣٩٥ — كتاب صفين ليحيى بن

سلمان الجعفي

٣٩٦ — الضعفاء لابن شاهين

[عمر بن أحمد]

٣٩٧ — كتاب الضعفاء للبخاري

[محمد بن إسماعيل]

٣٩٨ — الضعفاء للجوزجاني

٣٩٩ — الضعفاء لعلي [بن عبد

الله] بن المديني

٤٠٠ — الضعفاء لعمر بن علي

[لعله القلاس]

٤٠١ — طبقات أهل همدان

٤٠٢ — كتاب الطبقات لشباب

العصفري [: الفهرست ٢٣٢]

٤٠٣ — الطبقات لعلي بن [عبد

الله] المديني

٤٠٤ — كتاب الطبقات لمحمد

ابن سعد [كاتب الواقدي]

٤٠٥ — الطبقات لمسلم بن الحجاج

[القشيري : الفهرست ٢٣١]

٣٨٠ — خبر تزويج فاطمة

٣٨١ — خبر الجمل عن الصولي

٣٨٢ — خبر الزبا وجدعة

٣٨٣ — خبر غزاة سلمة بن

عبد الملك

٣٨٤ — خبر فيهنس اليهودي في

ابتداء الخلق

٣٨٥ — خبر مدينة الفهر وقبة

الرصاص (?)

٣٨٦ — الدولة الهاشمية للبيثم بن

عدي [أبي عبد الرحمن الدّعلي]

٣٨٧ — كتاب الرّبذة للمدايني

[أبي الحسن علي بن محمد]

٣٨٨ — كتاب الردة للواقدي

[أبي عبد الله محمد بن عمر]

٣٨٩ — الرواة عن عبيد الله بن

عمر للبرقاني [أبي بكر أحمد بن محمد]

٣٩٠ — كتاب الزهاد الثمانية

٣٩١ — كتاب السير [في الأخبار

والأحداث] لأبي إسحاق الفزاري

[إبراهيم بن محمد : فهرست ٩٢]

٣٩٢ — سؤالات ابن أبي شينة

ليحيى بن معين

- ٤١٨ — كتاب مسلم [بن الحجاج
القشيري] في معمر
٤١٩ — المبتدأ لأبي حذيفة
البخاري
٤٢٠ — المتفردون بالروايات
للأزدي (?)
٤٢١ — محنة أحمد بن حنبل
٤٢٢ — محنة الشافعي
٤٢٣ — كتاب المدينة وصفة قبر
النبي (صلى الله عليه وسلم) ومسجده
٤٢٤ — كتاب مشتهر النسبة لعبد
الغني [بن سعيد]
٤٢٥ — مشيخة يعقوب بن سفيان
٤٢٦ — معرفة أزواج النبي (صلى
الله عليه وسلم) وأولاده لأبي عبيدة
[معمر بن المثنى]
٤٢٧ — كتاب المعمرين لأبي
حاتم السجستاني
٤٢٨ — معجم شيوخ أبي يعلى
الموصلي
٤٢٩ — معجم شيوخ الاسماعيلي
[أبي بكر أحمد بن إبراهيم]
٤٣٠ — كتاب معجم شيوخ
الطبراني [سليمان بن أحمد]

- ٤٠٦ — الطبقات للهيثم بن عدي
[أبي عبد الرحمن الشعلي]
٤٠٧ — كتاب الغارات للمداني
[أبي الحسن علي بن محمد]
٤٠٨ — الفتن لحنبل بن إسحاق
٤٠٩ — الفتن والملاحم لحمد بن
سامة
٤١٠ — كتاب الفتوح لأبي
بكر بن أبي شيبة [عبد الله بن محمد]
٤١١ — كتاب الفتوح لأبي
حذيفة البخاري
٤١٢ — فضائل الصحابة الأربعة
لأحمد بن حنبل
٤١٣ — فضائل معاوية لابن رزقويه
[محمد بن أحمد البزاز]
٤١٤ — فضائل العباس لابن
رزقويه [محمد بن أحمد البزاز]
٤١٥ — كتاب قضاة الكوفة
لعمر بن شبة
٤١٦ — كتاب مسلم [بن الحجاج
القشيري] في عمرو بن شعيب
٤١٧ — كتاب مسلم [بن الحجاج
القشيري] في معرفة شيوخ مالك
والتوري وشعبة

- ٤٣١ — كتاب معجم الصحابة للبغوي
- ٤٣٢ — مغازي أبي معشر المدني [نجيح : الفهرست ٩٣]
- ٤٣٣ — مغازي سعيد الأموي
- ٤٣٤ — مغازي سلمان التيمي
- ٤٣٥ — مغازي عبدالرزاق [بن همام : ابن خليفة ٢٣٦]
- ٤٣٦ — مغازي محمد بن إسحاق من طريق يونس بن بكر عنه
- ٤٣٧ — مغازي ابن إسحاق [محمد] أيضاً من طريق محمد بن سامة الحراني عنه
- ٤٣٨ — مغازي موسى بن عقبة
- ٤٣٩ — مقتل حجر بن عدي
- ٤٤٠ — مقتل الحسين للجعابي
- [لعله أبو بكر عمرو بن محمد]
- ٤٤١ — مقتل الحسين للمدائني
- [أبي الحسن علي بن محمد]
- ٤٤٢ — مقتل عثمان
- ٤٤٣ — مقتل عمر لأبي بكر الشافعي [محمد بن عبد الله البراز]
- ٤٤٤ — الملاحم لابن رزقويه
- [محمد بن أحمد البراز]
- ٤٤٥ — الملاحم لأبي الحسين [جعفر] بن المنادي
- ٤٤٦ — مناقب الشافعي لابن أبي حاتم
- ٤٤٧ — مناقب الشافعي لتركيا الساجي
- ٤٤٨ — الموالي من أهل المدينة
- ٤٤٩ — المؤلف والمختلف لعبد الغني [بن سعيد]
- ٤٥٠ — كتاب مولد علي (رضي الله عنه)
- ٤٥١ — كتاب مولد النبي (صلى الله عليه وسلم)
- ٤٥٢ — مولد النبي (صلى الله عليه وسلم)
- ٤٥٣ — نسب إلى أبي طالب
- ٤٥٤ — نسب تنوخ [لعله للمبرد]
- ٤٥٥ — نسب عدنان وقحطان للمبرد [محمد بن يزيد]
- ٤٥٦ — كتاب نسب قریش للزبير ابن بكار
- ٤٥٧ — كتاب النسب للمسيبي ومعرفة أسلاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

٤٥٨ — النسب لمؤرج بن عمرو	٤٥٩ — كتاب النهروان للمدايني
[السدوسي]	[ابي الحسن علي بن محمد]

تفسير الأحلام

٤٦٠ — عبارة الرؤيا لابن سيرين	ابن سنيّر
[محمد]	٤٦٢ — كتاب عبارة الرؤيا
٤٦١ — عبارة الرؤيا لاسحاق	لابن قتيبة [عبد الله بن مسلم]

مجهول الموضوع

٤٦٣ — كتاب الخواتم لابن ابي حية	[أبي الحسين أحمد : ابن خليفة ٣٧٤]
٤٦٤ — كتاب الديباج لاسحاق ابن سنيّر [ولعله إسحاق بن إبراهيم اختلي فقد قال عنه في ميزان الاعتدال : صاحب كتاب الديباج (١ : ٨٥)]	٤٦٨ — فصول في الاشارات
٤٦٥ — الرد على اهل الري للحميدي [لعله محمد بن فتوح ولعل الكتاب الرد على اهل الرأي]	٤٦٩ — كتاب القلاع للمدايني [أبي الحسن علي بن محمد]
٤٦٦ — رسالة الثوري [سفيان]	٤٧٠ — كتاب الكافي للزييري
إلى عباد بن عباد	٤٧١ — كتاب المنير لابن مسروق
٤٦٧ — فتيا فقيه العرب لابن فارس	٤٧٢ — كتاب النحول والذهول لابن المرزبان [أبي عبد الله محمد بن خلف]
	٤٧٣ — كتاب المواقف
	٤٧٤ — كتاب يوم وليلة لأبي علي المعمرى [الحسن بن علي]

أَسْمَاءُ الْمُؤَلِّفِينَ الَّذِينَ وَرَدَ الْخَطِيبُ

بِمَوْلَفَاتِهِمْ دِمَشْقُ مَعَ الْإِحْوَاطِ إِلَى أَرْقَامِ كُتُبِهِمْ

الأصبهاني ، أحمد بن علي ١١٣
الأصبهاني ، أبو الفرج [علي بن
الحسن] ٢٧٩
الأصمعي [عبد الملك بن قريب]

٢٤٧

الأموي ، سعيد ٤٣٣
ابن الأثير [محمد بن القاسم ،
أبو بكر] ١٦ ، ٥٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
٢٤٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧

الأنبؤوني [عبد الله بن إبراهيم ،
أبو القاسم الجرجاني] ٩٣

الأنصاري ، العباس بن الفضل ٥٥
الأوزاعي [عبد الرحمن بن عمرو]

١٣٩

البخاري [محمد بن إسماعيل]
٥٩ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ٣٤٤ ، ٣٩٧

البخاري ، أبو حذيفة ٤١١ ، ٤١٩
ابن البراء [محمد بن أحمد العبدى]

٢٠٥ ، ٣٢٩

البرجستاني [محمد بن الحسين]

الأبّار ، أبو العباس [أحمد بن
علي] ٣٣٨

الأثرم [أحمد بن محمد] ٨٦
الآجري [محمد بن الحسين ، أبو

بكر] ٢ ، ١٢٣ ، ٢٨٤

أحمد بن حنبل ١٠٧ ، ١٤٩ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ٣٤٢ ، ٤١٢

ابن أبي الأحوص ٣٢٨
آدم ٩٩

آدم بن أبي إياس [الخراساني]
١٨٢

الأزدي ٤٢٠

ابن إسحاق ، محمد ٤٣٦ ، ٤٣٧
إسماعيل [بن إسحاق] القاضي

١١٦ ، ١١٩ ، ٣٢٢

إسماعيل بن جعفر ٢٧

الإسماعيلي [أحمد بن إبراهيم ،
أبو بكر] ١٠٢ ، ٤٢٩

ابن أبي الأسود ، أبو بكر ٣٣٤
الأعشى [سليمان بن مهران] ٣٣

ابن أبي أسامة ، الحارث ١١١
 الحجاج [بن يوسف] ٢٧٤
 حجر بن عدي ٤٣٩
 ابن حراش ٣٣١
 الحربي ، إبراهيم [بن إسحاق]
 ١٧ ، ١٦٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٧١
 الحسن البصري ٣٣
 الحسن بن سفيان [بن عامر
 الشيباني] ٦١
 حماد بن سامة ٣١٠ ، ٤٠٩
 الحماني ، يحيى ٢٥
 ابن حمدان ١٥٦
 حمزة ٣٤
 الحميدي [لعله محمد بن فتوح] ٤٦٥
 حنبل بن إسحاق ٣٤٧ ، ٤٠٨
 ابن أبي حية ٤٦٣
 الخطابي ٢٢١
 الخراساني ، عطاء ٤٩
 الخزاعي ٢٨
 أبو خزيمة ١٥٨
 خلف بن هشام ٢١
 أبو خيثمة ٩٠
 الدارقطني [علي بن عمر] ٦٧ ،
 ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٢٢

١٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩٤
 البرديجي ١٠١ ، ٣٢٥
 برزويه ٣١٢
 البرقاني [أحمد بن محمد] ١٠٩
 ١١٤ ، ٣٨٩
 ابن البرقي [محمد بن خالد] ٣٣٠
 البغوي ٤٣١
 الترمذي ١٩
 التنوخي ٣٠٠
 التيمي ، سليمان ٤٣٤
 ثعلب ٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩
 أبو ثور [لعله إبراهيم بن خالد
 المتوفى سنة ٢٤٠] ٢٠١
 الثوري ، سفيان ٧ ، ٧٠ ، ١٥٠
 ٤٦٦
 الجاحظ [أبو عمرو عثمان بن
 بحر] ٢٨٠
 الجعابي [لعله عمرو بن محمد ،
 أبو بكر] ٤٤٠
 الجعد [لعله محمد بن عثمان ، أبو
 بكر] ٤٧
 الجعفي ، يحيى بن سليمان ٣٩٥
 الجوزجاني ٣٩٨
 ابن أبي حاتم ٤٤٦

الراسبي ٢١٣

ابن رزقويه [محمد بن أحمد البزاز]

٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٤٤

الزاهد ، أبو عمر [أحمد بن محمد]

المطرز [٥٧]

أبو زيد ٣٧٧

الزبير بن بكار ٤٥٦

الزيري ٧٨ ، ١٢٥ ، ٣٠١ ، ٤٧٠

الزجاج [إبراهيم بن محمد ، أبو]

إسحاق [٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠]

الزمن ، أبو موسى ٣٦١

ابن زياد ، أبو سهل ٢٥٦

الزبادي ، أبو حسان [الحسن]

٣٣٦

الساجي ، زكريا ٤٤٧

السجستاني ، أبو حاتم ٤٢٧

السدوسي ، عمرو بن حفص ٣٥١

سرج بن يونس ٢٥٧

ابن سعد ، محمد [كاتب الواقي]

٤٠٤

ابن أبي سعد ٣٠٥

سعيد بن منصور ٦ ، ١٣٤ ،

١٦٨ ، ١٧٠

السقطي ، محمد بن الفضل ٢٤

٢٠٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٣٧٠

أبو داود [عبد الله بن سليمان]

السجستاني [٤٢ ، ٤٥ ، ٦٨ ، ٨٠ ،

١٦٥

ابن دريد [محمد بن الحسن] ٢٥٤

٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٥٥

دعيج ٩٤

ابن أبي الدنيا [عبد الله بن محمد]

أبو بكر [١٢٦ ، ١٥٥ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١

١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩

١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧

٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

٢٣٩ ، ٢٦٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧

٣٤٨

الدولابي ، أبو بشر ٣٢٩

ذو الرمة ٢٨٦

ذو النون [لعله أبو الفيض بن]

إبراهيم [٢٢٧]

الرازي ، أبو زرعة ٨٥

الرازي ، محمد بن أيوب ٢٣

الرازي ، يحيى بن معاذ ٢٢٨

ابن صاعد [لعله يحيى بن محمد ،
 أبو محمد] ١٣٢
 الصولي ٣٨١
 الطبراني [سليمان بن أحمد] ٩٥
 ١٠٨ ، ١١٠ ، ٢٨٥ ، ٤٣٠
 الطيالسي ، أبو داود ١٠٦
 أبو العاص ١٢٤
 غاصم ٣٥
 ابن عامر ٢٩
 عباد بن يعقوب ٢٢
 عبد الله بن عبد الحكم [أبو محمد
 المصري] ١٥٤
 عبد الرزاق [بن همام] ٦٥ ،
 ٧١ ، ١١٨ ، ٤٣٥
 عبد الغني [بن سعيد الحافظ
 المصري] ٦٦ ، ٤٢٤ ، ٤٤٩
 عبد الوهاب بن عطاء ١٣١
 أبو عبيد [القاسم بن سلام]
 ٢٦ ، ٤٦ ، ٩٨ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٨
 ٢٠٣ ، ٢٦٤ ، ٣٣٩
 عبيد الله بن يحيى بن بكير ٣٥٣
 أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ٢٥٣
 ٤٢٦

السكري ، أبو سعيد ٢٦٢
 ابن سنيز ، إسحاق ٤٦١ ، ٤٦٤
 ميار ٢١٠
 ابن سيرين ، محمد ٤٦٠
 الشافعي [محمد بن إدريس] ٥٨
 ١١٢ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٩٨
 ٣٢٤
 الشافعي أبو بكر [محمد بن عبد
 الله البزار] ٧٣ ، ٤٤٣
 ابن شاهين [عمر بن محمد] ٦٠
 ١٠٣ ، ٣٩٦
 شباب العصفري ٤٠٢
 ابن شبة ، عمر ٤١٥
 ابن شبل ٢٨٢
 شبل بن عباد ٨
 الشبلي ، أبو بكر [الصوفي المتوفي
 سنة ٣٣٣] ٢٢٦
 شريح بن يوسف بن يونس ٤٨
 الشكلي ٢١١
 ابن أبي شبة ، أبو بكر [عبد
 الله بن محمد] ٤٣ ، ٣٣٥ ، ٤١٠
 ابن أبي شبة ، عثمان ٣٥٤
 الشحى [له الشحى] ٢١٤

العسكري [الحسن بن عبد الله
أبو أحمد] ٣١٨
عطية العوفي ٩
ابن عقدة [أحمد بن محمد ، أبو
العباس] ٣٣٢
عكرمة ١٠

علي [بن أبي طالب] ٢٧٦
علي بن الجعد [أبو الحسن الهاشمي]

١٠٠

عمر بن عبد العزيز ٢٠٢
عمرو بن علي [لعله القلاس]
٤٠٠ ، ٣٥٥ ، ٨٨

أبو عمرو [بن العلاء] ٣١ ، ٥٤
الغلابي ، الفضل بن غسان ٣٥٦
ابن فارس [أحمد ، أبو الحسين]

٤٦٧

الفراء [يحيى بن زياد ، أبو زكريا]

٣٨ ، ٤٤ ، ٢٤٤

الفريابي [جعفر بن محمد] ١٢٨

١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٩١ ، ٢٠٦

٢١٧

الفزاري ، أبو إسحاق [إبراهيم]

ابن محمد [٣٩١]

النفقيه ، أبو عبد الله ٧٧

فيهش اليهودي ٣٨٤
ابن قانع [عبد الباقي] ٣٣٣
قتادة [بن دعامة] ١١ ، ٥٠
ابن قتيبة [عبد الله بن مسلم]
١٨ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٩٧ ، ١٢١ ، ١٦٢
١٧٣ ، ٢٦١ ، ٢٨١ ، ٤٦٢

أبو قره ٨١

القشيري [عبد الكريم بن هوازن]

١٧١ ، ١٧٢

القشيري [محمد بن سعيد] ٣٥٢

القطان ، يحيى ٨٩

المادرائي ، أبو الحسن ١١٥

مالك [بن أنس] ١٦٩ ، ٢٠٤

ابن المبارك [عبد الله] ١٣٣ ، ٢٠٩

المبرد [محمد بن يزيد] ٢٧٣ ،

٤٥٤ ، ٤٥٥

محمد بن أسلم ٦٢

محمد بن الصباح [البزار] ٨٣

أبو محمد بن المقتدر ، الأمير ٢٦٧

محمود بن عيلان ٣٥٧

ابن محيص ٣٠

المدايني [علي بن محمد ، أبو

الحسن] ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٩

ابن المعتز [عبد الله] ٢٦٠
 المعمري ، أبو علي [الحسن بن
 علي] ٤٧٤
 مقاتل بن حبان ١٢
 مقاتل بن سليمان ١٥ ، ٣١ ، ٣٩
 ٢٠٠ ، ٥٦
 ابن المنادي ، جعفر ١١٧ ، ١٦٧
 ٢٥١ ، ٣٣٧ ، ٤٤٥
 مؤرّج بن عمرو [السدوسي]
 ٢٠ ، ٤٥٨
 موسى بن عقبة ٤٣٨
 الموصلی ، ابن عمار ١٦١
 الموصلی ، أبو يعلى ٤٢٨
 نافع [بن عبد الرحمن المدني] ٥٢
 ابن أبي نجيح ٥
 النحوي ، يزيد ٥١
 النسائي ، أبو عبد الرحمن ٣٩٤
 نصير بن يوسف ١
 أبو نعيم الحافظ [أحمد بن عبد الله
 الأصفهاني] ٢٠٨ ، ٢٦٩
 نفطويه [إبراهيم بن محمد ، أبو
 عبد الله] ٣ ، ٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٠
 ١٩٩ ، ٣٦٠
 نقاش [محمد بن الحسن ، أبو بكر]

٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٩
 ٤٦٩
 المدني ، أبو معشر [نجيح] ٣٥٠
 ٤٣٢
 المديني ، علي [بن عبد الله] ٣٧١
 ٣٩٩ ، ٤٠٣
 ابن المربان [محمد بن خلف ،
 أبو عبد الله] ٢٧٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦
 ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠
 ٤٧٢
 مره بنت مروان بن محمد ٧٤
 أبو مزاحم ٢٦٨
 المزني ٢٦٥
 مسدد ١٢٠
 ابن مسروق ٢٢٥ ، ٤٧١
 مسلم [بن الحجاج القشيري] ٦٩
 ٢٥٩ ، ٣٢٦ ، ٤٠٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧
 ٤١٨
 أبو مسلم بن صالح ٣٤٠
 المسيبي ٤٥٧
 مُطَيِّن [لعله محمد بن عبد الله
 الحضرمي] ١٤٠ ، ٣٥٨
 ابن مظفر ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٤

٢٧٢ ، ١٥٢ ، ١٣٥

النيسابوري ، أبو بكر ٩٦

هناد بن السري [الكوفي الكبير]

٢١٢

الهيثم بن عدي [أبو عبد الرحمن

الدُّعَلِي] ٢٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٨٦ ، ٤٠٦

الواقدي [محمد بن عمر ، أبو عبد

الله] ٦٣ ، ٣٨٨

الوليد بن مسلم ١٤

يحيى بن آدم ١٣٧ ، ٢١٥

يحيى بن بكير ٣٦٣

يحيى بن معين ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦

٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣

يزيد بن هارون [أبو خالد] ١٥١

يعقوب بن سفيان ٧٩ ، ١٧٤ ،

٣٦٩ ، ٤٢٥

يعقوب [لعل ابن إبراهيم] ٣٦

يوسف القاضي ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٩٠



فهرست مصنفات الخطيب البغدادي^(١)

مصادر هذا الفهرست

اعتمدنا في تعداد هذه المصنفات على

- (١) الفهرست الذي ذكره محمد بن أحمد بن محمد المالكي الأندلسي في مجموع ١٨ (٦) من مجاميع دار الكتب الظاهرية وقد ذكر فيه أربعة وخمسين تصنيفاً وهي مصنفات الخطيب إلى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة
- (٢) ما ذكره ابن قاضي شعبة نقلاً عن الذهبي في تاريخ الاسلام بالخطوط الظاهرية تاريخ ٥٧ ، ١٣٩١ وقد أخذ الذهبي ذلك عن السمعاني وابن النجار
- (٣) ما ورد في تذكرة الحفاظ للذهبي وهو نفس ما ذكره ابن قاضي شعبة مع اختلاف في حصر عدد أجزاء كل مصنف
- (٤) ما ورد في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ٢٦٦
- (٥) ما ذكره ياقوت في الارشاد ٤ : ١٩ — ٢١ نقلاً عن ابن الجوزي وزاد عدداً عليه لعله نقص في النسخة المطبوعة للمنتظم .

وذكرنا ما ورد عرضاً من أسماء تصانيف الخطيب في

- (١) فهرسة ما رواه أبو خير بن خليفة
- (٢) ما رواه ابن طولون الصالحى فعدده بخطه في أول كتاب الكفاية للخطيب ظاهريه حديث ٣٩٣ بقوله : وقت له على ...
- (٣) ما ذكره ابن الصلاح في مقدمته

(١) عدد معظم مصنفات الخطيب على الحروف الأستاذ حسام الدين القدسي في مقدمة كتاب التذليل ص ١ - ٣ وفاته بعضها ولم يذكر مصادره .

(٤) ما ذكره حجي خليفة في كشف الظنون ولم نشر إلى رقم الصفحة منه إلا إذا ورد الاسم في لفظة كتاب من جروف المعجم

(٥) ما ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة

(٦) = ابن حجر في النخبة

(٧) = ابن كثير في البداية ١٢ : ١٠٢

(٨) = العراقي

(٩) = بروكلى في تاريخه بالأصل والذيل واشرنا إلى عدد النسخ

التي ذكرها فقط مع الرقم الذي عدها به وألحقنا به ما وجدناه إضافة على النسخ التي ذكرها

وذكرنا سوى ذلك ما وجدناه في بعض المصادر الأخرى

وكذلك اشرنا إلى عدد الأجزاء باختلاف المصادر

الأحاديث والمسانيد

١ — الأماي ذكر منه الجزء السابع والثامن جمال الدين بن عبد الغني

المقدسى في ثبت مسموعاته ظاهرة مجموع ٩٢ (٩) ١٧ وذكر بروكلى نسختين منه رقم ١٩ ويضاف إليه الخامس من الأماي : ظاهرة مجموع ٢٧ (١٥)

٢ — كتاب فيه حديث : « الامام ضامن والمؤذن مؤتمن » ذكره المالكي

٣ — حديث عبد الرحمن بن سمرة وطرقه في جزئين كما ذكره المالكي

٤ — حديث النزول ذكره المالكي

٥ — كتاب فيه حديث : « نصر الله امرءاً سمع منا حديثاً » ذكره المالكي

٦ — طريق حديث قبض العلم في ثلاثة أجزاء كما عده المالكي وشبهة

وذكره أيضاً التذكرة والرسالة المستطرفة ٨٢

٧ — « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، ذكره المالكي

٨ — مجموع حديث أبي إسحاق الشيباني في ثلاثة أجزاء كما ذكره المالكي

٩ — مجموع حديث محمد بن حجاره وسان بن بشر وصفوان بن سليم ومطر الوراق ومسعر بن كدام ، ذكره المالكي

١٠ — مجموع حديث محمد بن سوقيه في ثلاثة أجزاء كما عده المالكي وفي أربعة كما عده شعبة بقوله : حديث محمد بن سوقيه وذكره أيضاً تذكرة بقوله : مسند محمد بن سوقيه

١١ — مختصر السنن من أصل الخطيب ذكر بروكن منه نسخة واحدة رقم ٢١ . ألف المختصر هذا زكي الدين بن عبد العظيم المنذري ، ويلوح لي أن كتاب السنن هو مما رواه الخطيب لا مما ألفه ، وأن المنذري اختصر هذا الكتاب من نسخة الخطيب

١٢ — مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه على شرط الصحيحين ، في جزء كما ذكره المالكي

١٣ — مسند صفوان بن عسال ، ذكره المالكي

١٤ — مسند نعيم بن هاز العصفاني في جزء كما ذكره المالكي وشعبة وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت وتذكرة .

١٥ ب — حديث جمفر بن حيان ، منه نسخة في الظاهرية حديث ٣٩٠

الأحاديث المخرجة

١٥ — جزء فيه أحاديث مالك بن أنس عوالي تخرىج أبي بكر الخطيب مخطوطة الظاهرية بمجموع ١٠١ (٤) في ٢٢ صفحة

١٦ — أمالي الجوهرى تخرىج أبي بكر الخطيب رواية محمد بن البراز ، منه مجلسان في الظاهرية بمجموع ١٠٥ (٦) في ١٦ صفحة

١٧ — فوائد أبي القاسم النرسى تخرىج الخطيب في ٢٠ جزء ، ذكره شذرات ٤ : ٢٣

١٨ — فوائد عبد الله بن علي بن عياض الصوري تخرىج الخطيب في أربعة أجزاء ، ذكره نجوم ٥ : ٦٣

١٩ — الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب انتقاء الخطيب من حديث الشريف أبي القاسم علي بن إبراهيم بن العباس بن أبي الجن الحسيني ، منه قطعة من الثامن في الظاهرية مجموع ٤ (٢٤٦) والثالث عشر في الظاهرية مجموع ١٤٠ (١٣٩) والجزء الرابع عشر في الظاهرية مجموع ٤٠ (١٧٨) وجزء آخر لم يعرف عدده في الظاهرية مجموع ٤٠ (١٧٢) . وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق ظاهرية تاريخ ١٠ ، ٤٣٠ — ٤٣١ : خرجها أبوبكر في عشرين جزءاً .
٢٠ — الفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب تخرىج الخطيب لأبي القاسم المهرواني ذكره ابن الجوزي في المنتظم ٨ : ٣٠٤ بقوله مشيخته ، منه الثاني حتى الخامس وهو الأخير في الظاهرية حديث ٣٥٣ والأول في الظاهرية مجموع ٤٧ (٤)

٢١ — الفوائد المنتخبة الصحاح العوالي تخرىج الخطيب لجعفر بن أحمد ابن الحسين السراج القاري ذكره ابن الجوزي في المنتظم ٩ : ١٥١ وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ، ظاهرية تاريخ ٦١ ، ٢٤٠ بقوله السراجيات منه الأول في الظاهرية مجموع ٣١ (١٢) والثاني والرابع والخامس في الظاهرية مجموع ٢٧ (٨) والخامس أيضاً في الظاهرية مجموع ٩٨ (٣) و ٩٨ (١٤)
٢١ ب — مجلس من إملاء أبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة تخرىج الخطيب في الظاهرية مجموع ١١٧ (٢١)

في المسند والمصطلح

٢٢ — بيان حكم المزيد في متصل الأسانيد ، ذكره المالكي
٢٣ — الرباعيات ، في ثلاثة أجزاء كما عده شعبة وذكره تذكرة
٢٤ — الفصل للوصل المدرج في النقل في تسعة أجزاء كما عده المالكي وابن طولون وفي مجلد كما عده شعبة وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت — وقالوا : كتاب في الفصل والوصل — وابن كثير وابن خیر ص ١٨٢

— وقال : وهو من كتب الملل التي لا مثيل لها في معناها — وتدريب الراوي ص ٩٨ — وقال : شفى وكفى على ما فيه من إعواز وقد لخصه شيخ الاسلام وزاد عليه قدره مرتين وأكثر في كتاب سماه تقريب المنهج بترتيب المدرج .
٢٥ — الكفاية في معرفة أصول علم الرواية في ثلاثة عشر جزءاً كما عده المالكي وشبهة وذكره تذكرة وابن الجوزي وياقوت وابن كثير وابن الدواليبي ظاهرية حديث ٢٨٥ ، ١٤٠ ، والقلقشندي في صبح الأعشى ٤٧١ : ١ والرسالة المستطرفة ١٢٣ و ١٠٧ — وقال : وهو غاية في بابه — وحجبي خيفة وعدد ذكره ابن الصلاح وذكر بروكلى منه ١٣ نسخة وقال : إن دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد تعمل على إخراجها .

٢٦ — كتاب فيه الكلام في الإجازة للمجهول والمعدوم والمعلقة بشرط في جزء واحد كما عده شبهة وذكره أيضاً المالكي وتذكرة وابن الجوزي وياقوت وحجبي خليفة ٢ : ٢٥٨ وابن خير ٤٥٥ و ٢٢٦ ومنه نسخة في الظاهرية مجموع ٦٦ (١١) في ١٠ ص واسمه فيها : جزء فيه إجازة المجهول والمعدوم وتعليقهما بشرط

٢٧ — المسلسلات ، في ثلاثة أجزاء كما عده شبهة وذكره أيضاً تذكرة ٢٨ — المكمل في بيان المهمل في ثمانية أجزاء كما عده المالكي وشبهة وسبعة كما عده ابن طولون ومجلد كما عده تذكرة وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت وحجبي خليفة وابن خير ص ١٨١ — وقال : وهو من كتب الملل التي لا مثيل لها في معناها .

آداب المحدث والفقهاء

٢٩ — اقتضاء العلم العمل في جزء كما عده شبهة وفي جزء ضخم حديثي كما عده ابن طولون وذكره أيضاً تذكرة والمالكي وابن الجوزي وياقوت وابن

كثير وكشف الظنون والرسالة المستطرفة ص ٤٣ ، ومنه نسخة في الظاهرية
أذب ٢٥٧ وأخرى تفسير ١٥١ (٣١) وذكر في فهرس الكواكب الدراري
الذي يحوي هذه النسخة الأخيرة أن اسم الكتاب « وصية طالب العلم » . وقد
أوردنا نصوصاً من هذا الكتاب وخلاصة عنه حين البحث عن صفة الخطيب
في أخلاقه .

٣٠ — تقييد العلم في جزئين كما عده المالكي وفي ثلاثة كما عده شعبة وهو
الصحيح وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت وابن خير ص ٢٦٠
وفي ص ٢٦١ قال : وهو من جيد الكتب وذكر بروكبن منه ٦ نسخ . وقد
بشرنا في إخراجها في مجموعة النصوص الشرقية للمعهد الافرنسي في دمشق .

٣١ — الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع في خمسة عشر جزءاً كما
عده المالكي وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت وابن كثير والرسالة المستطرفة
ص ١٢٣ و ص ١٠٧ — وقال : وهو غاية في بابه وذكره ابن خير ص ١٨٢
و ص ٢٦١ — وقال : من جيد الكتب بين فيه آداب أهل هذه الصناعة
وطرائقهم المختارة وذكره عفيف الدين بن الدواليبي ظاهرياً حديث ٢٨٥ ،
١٤٠ وذكره بروكبن رقم ١٥ عن تاريخ بغداد ٦ : ٢٣١ ولم يذكر منه
نسخة ما ، وفي الظاهرية منه قطعة : مجموع ٥٥ (١٢) وفي المكتبة البلدية
بالاسكندرية نسخة منه في عشرة مجلدات رقم (ن ٣٧١١ — ج) وقال لي
الأستاذان راغب الطباخ وحامد عجان الحديد إنها كاملة .

٣٢ — الرحلة في طلب الحديث في جزء كما عده المالكي وشعبة وذكره
أيضاً ابن الجوزي وياقوت وتذكرة والرسالة المستطرفة ٤ وابن خير ص
١٨١ ، ومنه نسختان في الظاهرية : مجموع ٧٥ (١٢) في ٢٤ ص ومجموع
١٠١ (٢٠) في ٤٠ ص .

٣٣ — شرف أصحاب الحديث في ثلاثة أجزاء كما عده المالكي وابن
طولون وابن خير وفي مجلد كما عده شعبة وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت

وتذكرة وابن كثير وابن خير ص ١٨١ و ص ٢٦١ — وقال : وهو من جيد الكتب يبين فيه شرف هذه الصناعة — وذكره حجي خليفة والغزي في حسن التنبه (ظاهرة ١ و ب ١٠٩) ٢٩٤ والرسالة المستطرفة ص ٤٣ ، وذكر بروكلمان ٣ نسخ منه رقم (٤) ويضاف إليه ظاهرة مجموع ١١٧ (٢) في ١٣٢ ص . وقد أوردنا نصوصاً منه وخلاصة عنه في البحث عن مذهب الخطيب .

٣٤ — الفقيه والمتفقه في اثني عشر جزءاً كما عده المالكي وشبهه وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت وتذكرة وحجي خليفة ٢ : ٢٩٣ ورويات الجنات ص ٧٨ — وقال : أدب الفقيه والمتفقه ، ينقل عنه النووي في تهذيب الأسماء — وذكر بروكلمان نسختين منه رقم (١٨)

٣٥ — جزء فيه النصيحة لأهل الحديث وفيه رسالة في الإجازة المجهولة وتويعها وانقسامها ذكره ابن خير ص ٢٢٦ . ولعل النصيحة لأهل الحديث هذه هي اقتضاء العلم بالعمل رقم ٢٩

موضوعات أخرى مستخرجة من الحديث

٣٦ — القول في علم النجوم في جزء كما عده المالكي وشبهه وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت وتذكرة والرسالة المستطرفة ص ٤٠ — وأسماء النجوم — والسبكي في طبقاته ٣ : ٩٣ و ٢ : ٣١٩ — ٣٢٠ وأورد منه نصاً وذكر منه بروكلمان نسخة رقم (٨)

الفقه

٣٧ — نهج [أو منهج] الصواب في أن التسمية آية من فاتحة الكتاب في جزئين كما عده المالكي وفي جزء كما عده شبهه وذكره أيضاً ابن الجوزي

وقال : لهج الصواب ويقوت وتذكرة — وقال : كتاب أن البسمة من الفاتحة

٣٨ — إبطال النكاح بغير ولي في جزء كما عده المالكي

٣٩ — إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ، ذكره المالكي

٤٠ — الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة في جزئين كما عده المالكي

وشبهة وفي جزء كما عده تذكرة ، أو ذكره أيضاً ابن الجوزي ويقوت

وسماه الجهر بالبسمة والأسنوي في طبقاته (ظاهرة تاريخ ٥٦) — وقال :

أثنى عليه الأئمة والعلماء — وضعف بعض أحاديث وردت فيه ابن الجوزي ٨ :

٢٦٨ وتقل ذلك عنه الملك المعظم في الرد على أبي بكر ص ١٧٨ ومنه مختصر

بخط الذهبي في دار الكتب الظاهرية مجموع ٥٥ (١٢٨ — ١٣١) وله فيه

تبعات عليه وذكر أن الأصل في ثلاثة أجزاء .

٤١ — الحيل في أربعة أجزاء كما عده المالكي وشبهة وتذكرة وذكره

أيضاً يقوت — وقال : الخيل

٤٢ — الدلائل والشواهد على صحة العمل بنجر الواحد ذكره المالكي

ويقوت ولم يذكره ابن الجوزي الذي يتقل عنه يقوت

٤٣ — صلاة التسييح والاختلاف فيها في جزء كما عده شبهة وذكره أيضاً

المالكي وابن الجوزي ويقوت وتذكرة . ومنه نسخة في الظاهرية (حديث

٢٧٩) ١٩٤

٤٤ — الغسل للجمعة في جزئين كما عده المالكي وثلاثة كما عده شبهة

وذكره أيضاً تذكرة .

٤٥ — القضاء باليمين مع الشاهد في جزئين كما عده المالكي وفي جزء كما

عده شبهة وذكره أيضاً ابن الجوزي ويقوت وتذكرة وأسماء : صحة العمل

باليمين مع الشاهد .

٤٦ — القنوت والآثار المروية فيه على اختلافها وترتيبها على مذهب الشافعي

في ثلاثة أجزاء كما عده المالكي وفي مجلد كما عده شبهة وذكره أيضاً ابن

- الجوزي وياقوت وتذكرة وسماء المفتون . وضعف بعض أحاديثه ابن الجوزي
 ٢٦٨ : ٨ ونقل ذلك عنه الملك المعظم في الرد على أبي بكر ص ١٧٨
 ٤٧ — مسألة الاحتجاج للشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين بمعظم
 جهلهم عليه في جزء كما عده المالكي وشبهة وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت
 وتذكرة وسبكي ١ : ١٨٥ وذكر منه بروكبن نسخة واحدة رقم (١٣)
 ٤٨ — النهي عن صوم يوم الشك في جزء كما عده المالكي وشبهة وذكره
 ابن الجوزي وياقوت وتذكرة وسماء المالكي : مسألة في صيام يوم الشك في
 الرد على من رأى وجوبه وأسماء ابن الجوزي ٨ : ٢٦٨ مسألة صوم يوم النجم ،
 وانتقد حديثاً ورد فيه .
 ٤٩ — الوضوء من مس الذكر ، ذكره المالكي .

الزهد والرقائق

- ٥٠ — كتاب فيه خطبة عائشة في الثناء على أبيها من تخريج الخطيب من
 رواياته عن شيوخه ، ذكره ابن خير ص ١١٦ ، وفي ص ١٧٩ منه قال :
 في ذكر أبيها وعمر بن الخطاب وأحاديث غريبة ومنامات ورقيق وإنشاءات في
 الزهد والرقائق تخرجه .
 ٥١ — المنتخب من الزهد والرقائق ، ذكر منه بروكبن نسخة رقم (١٥)

الأدب

- ٥٢ — البخلاء في ثلاثة أجزاء كما عده المالكي وفي أربعة كما عده شبهة
 وفي مجلد كما عده تذكرة ، وذكره أيضاً ابن الجوزي وياقوت والاعلان
 بالتبويخ ص ١٠٧ — وقال : وهو ظريف — وذكر بروكبن نسختين منه رقم
 (١٠) ومنه تقول في كتاب وقوع البلاء في البخل والبخلاء لابن عبد الهادي
 (ظاهرة ، أدب ٤٠)

- ٥٣ — التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف ، ذكره ياقوت وحده .
٥٤ — التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم في أربعة أجزاء كما عده المالكي وفي ثلاثة كما عده شعبة وفي مجلد كما عده تذكرة . وذكره أيضاً ياقوت والاعلان بالتوبيخ ص ١٠٧ — وقال : وهو ظريف — وذكر بروكبن نسختين مخطوطتين منه ونسخة مطبوعة رقم (٩)

أسماء رجال الحديث ونقدم

- ٥٥ — الأسماء المبهمة في الانباء المحكمة في جزء كما عده شعبة وذكره أيضاً المالكي وتذكرة وابن الجوزي وياقوت وابن طولون والتهذيب للنووي في ترجمة أفصح ، وذكر بروكبن منه ثلاث نسخ ويضاف إليه ظاهرية مجموع ١٠١ (١٩) في ٤٠ ص قدمه المؤلف بقوله : « أوردت فيه أحاديث تشتمل على قصص متضمنة ذكر جماعة من الرجال والنساء أبهت أسماءهم وكفي عنها وجاءت في أحاديث آخر بينة محكمة فجمعت بينها »

- ٥٦ — الأسماء المتواطئة والانساب المتكافئة ذكره المالكي

- ٥٧ — بيان أهل الدرجات العلى ، ذكره المالكي

- ٥٨ — تالي التلخيص في أربعة أجزاء كما عده المالكي وذكره أيضاً شعبة وتذكرة وابن الجوزي وأسماء باقي التلخيص وياقوت ونخبة ص ٦١ وقال : وهو ذيل على التلخيص [رقم ٦١] بما فاته أولاً وهو كثير الفائدة .
٥٩ — التبيين لأسماء المدلسين في جزئين كما عده المالكي وأربعة كما عده شعبة ، وذكره أيضاً تذكرة — وأسماء : أسماء المدلسين — وابن الجوزي وياقوت .

- ٦٠ — التفصيل لمبهم المراسيل في جزء كما عده المالكي وفي مجلد كما عده تذكرة ، وذكره أيضاً شعبة وابن الجوزي وياقوت وابن الصلاح ٢٤٩ و ٣٥٧ والرسالة المستطرفة ص ٩١ — وقال : في مبهم الأسانيد

والمثون من الرجال أو النساء ... مرتباً على حروف المعجم معتبراً اسم الملبم ، ولكن تحصيل الفائدة منه عسير ، لأن العارف بالملبم لا يحتاج إلى كشفه ، والجاهل به لا يعرف موضعه ؛ واختصر النووي كتاب الخطيب بمحذف أسانيده مع نفائس وأحاديث يسيرة ضمها إليه ، ورتبه على الحروف في راوي الخبر ، وسماه الاشارات إلى المبهمات وهو أسهل للكشف ، لكنه قد يصعب أيضاً لعدم استحضار اسم صحابي ذلك الحديث ، وفاته الجم الفقير . وذكر بروكلى من مختصره للنووي نسخة رقم (١٢)

٦١ — تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بواذر التصحيف والوهم في ستة عشر جزءاً كما عده المالكي وفي خمسة عشر كما عده ابن طولون وفي مجلد كبير كما عده شعبة ، وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت وابن كثير ونجدة ص ٦١ — وقال : كتاب جليل — وابن الصلاح وقال : وهو من أحسن كتبه ، وموضوعه تمييز الأسماء التي تشابهت في رسمها واختلفت في تهجيتها — وكشف الظنون وذكر مختصراً له لعلاء الدين بن عثمان المارديني التركماني المتوفى سنة ٧٥٠ ، وذكر منه بروكلى ٣ نسخ رقم (٦)

٦٢ — تمييز المزيد في متصل الأسانيد في ثمانية أجزاء كما عده شعبة ، وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت .

٦٣ — رافع الارياب في المقلوب من الأسماء والأنساب في مجلد كما عده شعبة وسماه مقلوب الأسماء والأنساب ، وذكره أيضاً المالكي وابن الجوزي وياقوت وقال : في المقلوب من الأسماء والألقاب — وابن الصلاح ٣٧٢ وابن حجر ٣٤ وكشف الظنون وقال في أسماء رجال الحديث ، وذكر منه بروكلى نصاً عنه في التهذيب لابن حجر ٢ : ١٥٥

٦٤ — الرواة عن شعبة في ثمانية أجزاء كما عده شعبة ، وذكره أيضاً المالكي وتذكرة — وأسماء معجم الرواة عن شعبة —

٦٥ — الرواة عن مالك بن أنس وذكر حديث لكل واحد منهم في تسعة أجزاء كما عده المالكي وستة كما عده شعبة ، وذكره أيضاً تذكره وابن الجوزي وياقوت وابن خیر — وقال : أسماء من روى عن مالك بن أنس مبوباً على حروف المعجم — والرسالة المستطرفة — وقال : في تراجم رواة مالك ذكر فيه من روى عن مالك الإمام فبلغ بهم ألفاً إلا سبعة وزاد عليه غيره كثيراً فأوصلهم إلى أزيد من ألف وثلاثمائة راو —

٦٦ — روايات الستة من التابعين بعضهم عن بعض في جزء كما عده شعبة وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت ، ومنه نسخة في الظاهرية مجموع ١١٥ (٢) في ١٨ ص واسمه جزء فيه حديث الستة من التابعين وذكر طرقه واختلاف وجوهه .

٦٧ — روايات الصحابة عن التابعين في جزء كما عده المالكي وشعبة وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت والعراقي ص ٦٠ ونخبة ص ٥٢ — وقال : جزء لطيف —

٦٨ — رواية الآباء عن الأبناء في جزء كما عده المالكي وشعبة : روايات الأبناء عن آبائهم ، وذكره أيضاً تذكرة وقال : رواية الأبناء عن الآباء — وابن الجوزي وياقوت وابن كثير وابن الصلاح ص ٣٠١ ونخبة ص ٥٢

٦٩ — السابق واللاحق في تسعة أجزاء كما عده المالكي وفي عشرة كما عده شعبة ، وذكره أيضاً تذكرة وابن الجوزي وياقوت وابن كثير وكشف الظنون ٢ : ١٨ و ٢ : ٢٧٩

٧٠ — غنية الملتبس في إيضاح الملتبس في مجلد كما عده تذكرة . وذكره أيضاً المالكي وابن الجوزي وياقوت واسموه : غنية الملتبس في تمييز الملتبس وشعبة ، وذكر منه بروكلمان نسختين رقم (٢٢)

٧١ — المتفق والمفترق في ستة عشر جزءاً كما عده المالكي ، وذكره

ايضاً ابن الجوزي وياقوت وابن كثير وابن الصلاح ص ٣٥٦ — وقال :
وهو كتاب حفيـل ولـكـنـه غير مستوف للأقسام التي يذكرها المؤلف —
والسيوطي في التدريب ص ٢٤٢ — وقال : كتاب نفيس — وكشف الظنون
والزسالة المستطرفة ص ٨٦ — وقال : وهو في المتفق لفظاً وخطاً من الأسماء
والألقاب والانساب ونحوها وهو مفترق معنى ، وهو كتاب نفيس في مجلد
كبير ، وشرع الحافظ ابن حجر في تلخيصه مع استدراك ما فاتته فكتب منه
أشياء يسيرة ولم يكمله — وذكر منه بروكبن ثلاث نسخ رقم (١١)

٧٢ — من حدث ونسي في جزء كما ذكره المالكي وشبهة وذكره
ايضاً ابن الجوزي وياقوت وتذكرة وابن الصلاح ص ١٣٠ — وأسماء :
أخبار من حدث ونسي —

٧٣ — من وافقت كنيته اسم ابيه مما لا يؤمن من وقوع الخطأ فيه في
ثلاثة اجزاء كما عده المالكي وتذكرة وفي جزئين كما عده ابن طولون وفي
مجلد كما عده شبيهة ، وذكره ايضاً ابن الجوزي وياقوت — وقال ابن طولون
وعليه تمتاز بخط الحافظ ابي بكر بن الحب .

٧٤ — المؤتلف في تكملة المختلف والمؤتلف في اربعة وعشرين جزءاً كما
عده ابن شبيهة وفي مجلد كبير كما عده تذكرة ، وذكره ايضاً المالكي —
وأسماء : المؤتلف في تكميل المؤتلف والختلف — وابن الجوزي وياقوت
والاصابة لابن حجر ١ : ٢٣٧ ونجدة ص ٦٠ وقال : هو ذيل على الدارقطني
وتذكرة ٤ : ٤ — وقال : لابن ماكولا كتاب اسمه مستمر الا وهام يأخذ
فيه على مؤتلف الخطيب — وكشف الظنون ٢ : ٤٠٧ وقال : المختلف والمؤتلف
في أسماء الرجال للدارقطني ضبطها فيه وأخذ منه الخطيب من مشبهه النسبة وزاد
عليها وجعله كتاباً سماه المؤتلف تكملة المختلف وجاء أبو نصر علي بن هبة
الله بن ماكولا فزاد عليه وجعله كتاباً حافلاً سماه الاكمال ، أجاد فيه

وذكر عفيف الدين بن الدواليبي : اسمه المؤلف والمختلف ، ظاهرة حديث ٢٨٥ ، ١٤٠ — وذكره بروكبن رقم (٥)

٧٥ — الموضح لأوهام الجمع والتفريق في أربعة عشر جزءاً كما عده شبهة وفي مجلد كما عده تذكرة ، وذكره أيضاً تاريخ بغداد ١١ : ٤٢٩ والمالكي وابن الجوزي وياقوت وابن خير — وقال : الموضح لأوهام أبي عبد الله البخاري في التاريخ الكبير — والنخبة ص ٣٧ — وقال : اجاد فيه — وذكره بروكبن عن تاريخ بغداد ولم يذكر نسخة ما منه ؛ على ان منه مخطوطة في احمديّة حلب رقم ٣٣٦

التواريخ

٧٦ — تاريخ بغداد في ستة ومائة جزء كما عده المالكي وابن الجوزي وشبهة وغيرهم كثير انظر ما يقوله فيه بروكبن رقم (١) وما يعبده من نسخه وذيوله المخطوطة والمطبوعة ويضاف إليه جزء في الظاهرية عام ٣٩٦ . أما نسخه المطبوعة ففيها خروم في محال عديدة . وانظر ما يقوله في هذا الكتاب الأب أنستاس ماري الكرملي : لغة العرب ٣ : ٣٣٨ وانظر طبقات السبكي ١ : ١٧٣ عن مقارنته بتاريخ الحاكم وتذكرة الحفاظ ٤ : ٨ ولسان الميزان ١ : ١٥٥ عما ألحق بهذا التاريخ بعد وفاة الخطيب . وما ذيل به على تاريخ الخطيب فلم ينته إلينا منه نسخة ما ذيل هبة الله بن المبارك السقطي (ذيل ابن رجب ظاهرة تاريخ ٦١ ، ٢٤٤) وذيل شجاع بن أبي شجاع الذهلي ، ولكن مؤلفه غسله قبل وفاته (المنتظم ٩ : ١٧٦)

٧٧ — مناقب أحمد بن حنبل ، ذكره المالكي وتاريخ بغداد ٤ : ٢٣ وقال : قد ذكرنا مناقب أبي عبد الله أحمد بن حنبل مستقصاة في كتاب أفردناه لها .

٧٨ — مناقب الشافعي ، ذكره المالكي وسبكي ١ : ١٨٥ ، وقال

الخطيب في تاريخ بغداد ٢ : ٧٣ : ونحن نورد معالم الشافعي ومناقبه على الاستقصاء
في كتاب نقرده لها « إن شاء الله » .

٧٩ — كتاب الوفيات ، ذكر منه بروكبن نسخة مطبوعة رقم (٧)
ولم يذكره أحد من القدماء .

المجهول

٨٠ — كشف الأسرار ، ذكره كشف الظنون ٢ : ٣١٧ ، ولم
يذكره غيره .

٨١ — رياض الأئس إلى حضائر القدس ، كتاب في الوعظ ظاهرية
تفسير ١٢٢ (١٤٤) وليس فيه شيء من نفس الخطيب وبعد أن يكون له .



مصنفات الخطيب على الحروف

مع إحالة إلى فهرستها

٥٨	تالي التلخيص	٣٨	إبطال النكاح
٥٩	التبيين	٢٦	إجازة المجهول
٥٤	التطفيل	١٥	أحاديث مالك
٦٠	التفصيل للمبهم	٤٧	الاحتجاج للشافعي
٣٠	تقييد العلم	٧٢	أخبار من حدث ونسي
٦١	تلخيص المتشابهة	٣٤	أدب الفقيه
٦٢	تميز المزيد	٣٩	إذا أقيمت الصلاة
٥٣	التنبيه والتوقيف	٥٩	أسماء المدلسين
٣١	الجامع لأخلاق الراوي	٦٥	أسماء من روى عن مالك
٤٠	الجهر بسم الله	٥٥	الأسماء المبهمة
٢	حديث الامام	٥٦	الأسماء المتواطئة
٦٦	حديث الستة	٢٩	اقتضاء العلم
٣	حديث عبد الرحمن	١	أمالى الخطيب
١٠	حديث محمد بن سوقة	١٦	أمالى الجوهرى تخرىج الخطيب
٤	حديث النزول	٥٨	باقي التلخيص
٥	حديث نضر الله	٥٢	البخلاء
٤١	الحيل	٣٧	البسملة من الفاتحة
٥٠	خطبة عائشة	٥٧	بيان أهل الدرجات
٤١	الخيل	٢٢	بيان حكم المزيد
٤٢	الدلائل والشواهد	٧٦	تاريخ بغداد

١٨	فوائد عبد الله الصوري تخرج الخطيب	٦٣	رافع الارياب
٢٠ — ٩	الفوائد المنتخبة	٢٣	الرباعيات
٤٥	القضاء باليمين	٣٢	الرحلة
٤٦	القنوت	٦٤	الرواة عن شعبة
٣٦	القول في علم النجوم	٦٥	الرواة عن مالك
٨٠	كشف الأسرار	٦٦	روايات الستة
٢٥	الكفاية	٦٧	روايات الصحابة
٢٦	الكلام في الاجازة	٦٨	رواية الآباء
٣٧	لهج الصواب	٨١	رياض الأئس
٦٠	مبهم المراسيل	٦٩	السابق واللاحق
٧١	المتفق والمفترق	٢١	السراجيات تخرجه
٢١ ب	مجلس ابن المسامة تخرج الخطيب	٣٣	شرف أصحاب الحديث
١٠ — ٨	مجموع حديث	٤٥	صحة العمل
١١	مختصر السنن	٤٣	صلاة التسبيح
٢٤	المدرج	٤٨	صيام يوم الشك
٤٧	مسألة الاحتجاج	٦	طريق حديث
٤٨	مسألة صوم يوم الغيم	٧	طلب العلم
٤٨	مسألة في صيام يوم الشك	٤٤	الغسل للجمعة
٢٧	المسلسلات	٧٠	غنية المقتبس
١٤ — ١٢ — ١٠	مسند	٧٠	غنية الملتبس
٦٤	معجم الرواة عن شعبة	٢٤	الفصل
٤٦	المفتون	٣٤	الفقيه والمتفقه
٦٣	مقلوب الأسماء	١٧	فوائد أبي القاسم النرسي تخرج الخطيب
٢٨	المكمل في بيان المهمل		

٧٥	الموضح	٧٢	من حدث ونسي
٣٦	النجوم	٧٣	من وافقت كنيته
٣٥	النصيحة لأهل الحديث	٧٧	مناقب أحمد بن حنبل
٣٧	منهج الصواب	٧٨	مناقب الشافعي
٤٨	النهي عن صوم يوم الشك	٢١	منتخب الفوائد
٢٩	وصية طالب العلم	٥١	منتخب من الزهد
٤٩	الوضوء من مس الذكر	٣٧	منهج الصواب
٧٩	الوفيات	٧٤	المؤتلف



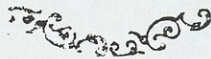
مقدمة البحث عن ثقافة الخطيب وأثره

الآن وقد فرغنا من تصفح ثبوت مصادر ثقافة الخطيب وفهرسة تصانيفه ، حان أن نستخرج خلاصةً من هذه الأسماء العديدة — وهي ، إن كان أتيح للقارئ معرفة بعضها فيما مرَّ بقراءته عنها ، فقد فاتته أكثرها — ثم حقَّ علينا أن نحللها إلى أجزائها ، ونجمع شتاتها ، لننشيئ منها صورةً عن ثقافة الخطيب وأثره . على أن الشك قد يستوقفنا قبل ذلك ، فنرتاب بأسلوب يعتمد على التعداد ، وبمعرفة نقوم على التسمية ، وبناتج تستنبط مما جهل مضمونه وعُرف ظاهره . وحقيقي أن لهذا الشك قوة قد تزعر يقين الإيمان بعلم الإحصاء . غير أننا لا نلتمس علماً فقدنا أصوله ، ونواتج عزَّت أسبابها ، بل نقتصر على خلاصة ثبتت عندنا نفاصيلها ، وتحققنا علمها .

فأيُّ شيءٍ يكوِّن العلم وينشيئ الثقافة أكثر من التخرج بأستاذ والقراءة في كتاب ؟ ولئن كان للأستاذ الواحد تلامذة يختلفون بالمدارك ، ولا يكتب أثر في نفس قارئه يختلف قوة باختلاف ذكائه ومزاجه ، فلا ريب في أن من اشتركوا في الدروس ، أو اتحدوا في القراءة ، تشابهت معرفتهم وتمائل علمهم ؟ فقديمًا طبع

الأستاذ التلميذ بطابعه ، وطالما أحدث المؤلف الأثر الذي ياتمهسه
في نفس قارئه . ومن ثمَّ جاز لنا الاستئناس بالذبي رأيناه ،
حتى إذا وافقت معرفتنا للخطيب نتأججه ، أصبح الاستئناس نثبِتاً ،
يقوم مقام التوسع في الدرس ، إن فات ذلك .

أما حصر آثار المصنفين فواسطة إلى كشف غايتهم من التأليف ،
ومعرفة مدى جهدهم فيه ، وثمره أتعابهم منه ، وبكمل ذلك ويتضح
إن اقترن بالاستفادة من أقوال من عرف المصنفات ، فنقدّها أو قرّظها
ألا إننا نبغي من بحث مصادر ثقافة الخطيب معرفة تكون تلك
الثقافة ، والأسس التي قامت عليها ، والاتجاه الذي استمدته
منها . ونرمي من بحث فهرسة مصنفاته وما قيل عنها إلى معرفة ما أفاد
من ثقافته وعلمه ، ونفصيل الموضوعات التي ألف بها ، وإظهار
الغاية التي نشدها ، وضبط النتيجة التي أفضى إليها .



ثقافة الخطيب في نشأتها واكتمالها

كمال الخطيب في علم الحديث

اقتنَ كمال أبي بكر الخطيب في الخلق والخلق بكمال في العلم والمعرفة ، بل لعله كان محظوظاً في علمه أكثر من أي شيء آخر ؛ فهو الذي رفع أصول علم الحديث إلى ذروتها ، وقادها إلى كمالها . ولئن أكبَّ المحدثون بعده على العمل لرفع شأن مصطلح الحديث ، فإنما كانت هديتهم به ، وغايتهم التقرب من درجته . وليس يعني ذلك أنه وضع وحده تلك الأصول ، أو أنه استخرجها من نفسه . لا ! بل تلقى علم الحديث خصباً ممتعاً جنياً ، فأقبل عليه يستنطقه ، ليستخرج القواعد التي قام عليها ، ويفصلها ويضبطها ، معتمداً فيها على ما ظهر له من طرائق المحدثين وأسلوب جمعهم ونهج روايتهم . والغاية من هذه المقدمة وضع أبي بكر الخطيب في موضعه الذي يليق به ، حتى إذا تجاوزنا إلى الكلام عن نشأة معرفته وتكوُّن ثقافته ، اعتبرنا تلك الدرجة ، وبجشنا عن تعليل لها وإظهار لمكوناتها .

تفضيله الحديث على الفقه

قرأت في سيرته جمعه بين الدرس للفقه والحديث والأخذ عن مشايخ هذين العلمين . ولعلك تساءلت عن سبب تروكه الفقه وأخذه

بالحديث ، بعد كان همه أن يصبح فقيهاً . والجواب عن ذلك تراه في محبته للعلم ، فقد تصوّرت حين تعرّف مزاجه شخصية العالم بميوله وأخلاقه وآرائه في الناس والحياة ، ومن كانت هذه صفته فضل الحديث على الفقه ، لأنّ المحدث يحيا حياة العالم ويتصف بمزاجه أكثر من الفقيه ؛ فهو يقضي حياته في علمه بين كتبه وأساتذته أو تلامذته ، أما الفقيه فعليه أن يختلط بالناس ، فيفهم أخلاقهم وعاداتهم ليتمّ له فهم سرّ الشريعة ودواعي المقضايا وليضع حداً للخصوصيات . ألا إنّ المحدث يتخذ العلم غاية حياته ومعيشته . أما الفقيه فيتخذ واسطة للحكم بين الناس والفتوى لهم . ولعل هذا تعليل ما ذكره ابن خلكان^(١) من أنه كان فقيهاً فغلب عليه الحديث ، فالخطيب ، كما رأيت ، لا يفضل على العلم الخالص شيئاً .

سر نجاحه في علمه

وكذلك تمّ اتصاله بالحديث رغبة من نفسه لا إجهاداً لها ، وحباً به لا افتقاراً إليه . وكفى المرء نجاحاً أن يطلق لمواهبه العنان ، فتسيره حيث هي خليفة أن توجهه . وسر نجاح الخطيب إنّما هو انطلاقه في علم دفعته إليه نفسه وقاده مبله وأرشده حبه .

ما أفاد من درسه على الفقهاء

على أن أخذه عن الفقهاء لم يذهب دون جدوى ؛ ومنهم خمسة
أعلام لزمهم^(١) ، فأخذ عنهم حسن الاستنباط والاستخراج ، ووضع
المسائل وإيجاد حلول لها ؛ فتلك صفة الفقهاء يستنبطون مسائل
الشرع ، ويعلمونها ويضعون أصولها . ولعل الفقيه الذي كان له بين
شيوخ الخطيب في الفقه أقوى الأثر فيه ، هو أبو الطيب الطبري
الذي لم يرَ أبو إسحاق الشيرازي المشهور « أكمل اجتهاداً وأشدَّ
تحقيقاً وأجود نظراً منه »^(٢) .

مشايخه في الحديث

ثم نشأ الخطيب بين المحدثين ، ينتقل من واحد إلى آخر ، أو
يجمع بينهم . واختياره بوقعه على أعلام رتبة وأوثقهم حديثاً . ولزم
منهم بصورة خاصة خمسة وعشرين محدثاً^(٣) وهم أعلام الحديث في
عصره ، وتأثر بالدرجة الأولى منهم بإمام كبير من أئمة الحديث في

(١) انظر تعدادهم في رقم ٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٥١ ، ٥٧

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٢ : ٢٤٧

(٣) انظر تعدادهم في رقم : ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١

٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ — ٤١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤

عصره ، هو أبو بكر أحمد بن غالب البرقاني (٣٣٦ - ٤٢٥) فأخذ عنه حب الاستبصار من الحديث ^(١) ، والرحلة البعيدة فيه .

شيوخه الآخرون

أما الأساتيد الذين تلقف عنهم العلوم الأخرى ، فهم قلائد في التعداد الذين بين أيدينا ؛ فإِما أَن يكون المحدثون أهملوا ذكر أساتذته في غير الحديث ، أو أنه هو لم يُعن بالوقوف كثيراً عند غير المحدثين . وإيّا كان فإننا نجد في تعدادنا أدبيين ومتكلمين ومؤرخاً ومتصوفين وقارئاً ^(٢) . ونستخلص من ذلك جمعه الدرس على غير مشايخ الحديث مع هؤلاء ، وإن غلب عليه الأخذ من المحدثين ، والتطبع بنفسيتهم والعناية بطرق روايتهم .

ولعه بالقراءة

وأثر المحدثين يظهر في نفسه واضحاً ، فهو يتابع أسلوبهم حتى في غير الحديث ، ولا يرتضي أخذ كتاب إلا بالرواية بالسند ، شعراً حواه ذلك الكتاب أو أدباً أو فقهاً ؛ ناهيك عن الحديث .

(١) انظر في كثرة جمع البرقاني للحديث

(٢) رقم ١ ، ٢ للأدب ؛ ٣ ، ١٣ للكلام ؛ ١٥ للتاريخ ؛ ٦ ، ٥٣ للتصوف

ذلك إلى شديد ولعه بالقراءة ، فقد كان كما قال ابن الأبنوسي :
 « يمشي في الطريق ، وفي يده جزءٌ يطالعه »^(١) . ومن كان هذا شأنه
 غلب عليه خلاف ما غلب على الخطيب من الاقتصار على الكتب
 المقرؤة بالسماع .

الخطيب أديب في ثقافته

ومن حسن الحظ أن انتهت إلينا تسمية الكتب التي سمعها ،
 وكان يقرأها في دروسه في دمشق ؛ وعدتها (٤٧٢) كتاباً بين مصنف
 ضخم ، وسفر متوسط ، وجزء صغير . وأول شيء يوحى به النظر
 في هذه التسمية أن الخطيب الذي اقتصر بالاجمال على الدرس على
 المحدثين ، أخذ من كل العلوم الإسلامية بطرف واسع . وهالك
 قراءاته للعلوم :

علوم القرآن ٥٧ كتاباً وأكثرها من الأسفار الكبيرة منها ١٠

تفاسير و ١١ في القراءات

الفقه ٤٨ كتاباً متوسطاً .

الكلام والزهد والرقائق ٦٩ مجلداً .

علوم اللغة العربية ١٨ كتاباً متوسطاً

(١) شبهة ١٤٠ تذكرة ٣ : ٣١٧ وانظر المنتظم ٨ : ٢٦٧

الأدب ٤٤

التاريخ ١٥٨

الحديث ٦٥

والذي يؤخذ من هذا الثبوت بادي الرأي أنه أخذ من كل من العلوم بطرف فلم يهمل منها شيئاً ، ولو أنه فضل بعضها على بعض : فهو إذن مشارك في علوم العرب مشاركة هي من صفات الأديب في ذلك العصر الذي يجب عليه « أن يأخذ من كل علم بطرف » على حدّ تعبير ابن خلدون ^(١) .

تبعه لتاريخ الحديث

ولكننا نرى من هذا الثبوت أن المادة التي طغت على غيرها ، هي التاريخ . فقد ورد فيها أكثر من ثلث ما حدث به من الكتب . وإذا أمعنا النظر في كتب التاريخ ألفينا معظمها في تاريخ المحدثين ونقد رجالهم . وهاك ما خصص لذلك بالجملة وبالنظر إلى اسم الكتاب :

التواريخ أو تاريخ رجال الحديث ٤٢

أسماء رجال الحديث والرواة ١٦

طبقات رجال الحديث ٦

الضعفاء منهم ٥

(١) المقدمة المطبعة الأزهرية سنة ١٣٤٩ ، ٤٨٨

ومجموع ذلك (٦٩) كتاباً، ضمنت البحث عن الرواة والمحدثين .
وليس عبثاً عنايته بجمع الكتب في هذه المواد مع تشابهها بالأسماء
والمادة والغاية . فقد كان يقصد استقصاء تلك المادة للتخصص في
تاريخ الحديث . وتلك ظاهرة لم نرها حين البحث عن أساتذته ، فقد
عرف عنهم جميعاً العناية بالحديث ، ولم يخصوا بنقد الرجال أو التأليف .
في ذلك . على أن إقبال الخطيب على كتب الحديث الخالصة واضح
فقد قرأ منها (٦٥) كتاباً .

المصنفون الذين عني بهم الخطيب

أما المؤلفون الذين رغب فيهم فتتبع مؤلفاتهم ، وحرص على
روايتها ، واستكثر منها ، فهم :

المؤرخون	المدائني	قرأ له	١٠	تصانيف
المحدثون المؤرخون	يحيى بن معين	==	٧	==
المؤرخون الأدباء	ابن المزيان	==	١٤	مصنفاً
==	==	==	==	==
==	قتيبة	==	==	تصانيف
المحدثون	الدارقطني	==	==	١١ مصنفاً
==	مسلم	==	==	٧ تصانيف
==	الأدباء أبو عبيد القاسم بن سلام	==	==	٩ تصانيف

المحدثون المتصوفون ابن أبي الدنيا قرأ له ٣٩ مصنفًا

الفقهاء الشافعي ٧ = = تصانيف

الفقهاء المتكلمون الفريابي ٧ = =

القراء نفطويه ٧ = =

وجلهم من عني إما بالحديث أو التاريخ ، فاهتمَّ الخطيب بهم لأحد هذين الأمرين ؛ وفيهم الفقيه والمتكلم والقارئ ، وذلك رمز إلى ميل في نفسه لهذه الفروع ، لا إلى اختصاص يقصده ، واستقصاء يتعمده . ومما يلاحظ أنهم كلهم من أجلة العلماء ورؤسائهم ، ومن تبركوا أثرًا في العلوم التي كتبوا بها ، ومن اشتهروا بالتصنيف شهرتهم بالعلم ونفردهم بالأثر . ولعل القارئ انتبه إلى مكانة ابن أبي الدنيا عند الخطيب ، وحرصه على جمع رواية كل آثاره ، حتى كاد يستوفيها جميعًا . ولعل أبا بكر الخطيب أقبل عليه لسعة اطلاع وجده عنده ، وحسن معرفة لمسها في مؤلفاته ، وتعرض لموضوعات انفرادها عن غيره .

زبدة القول في ثقافته

وزبدة القول أن الخطيب أديب أخذ من كل علم من علوم الإسلام : تثبت في علوم العربية فعدَّ أديبًا ، وقرأ على الفقهاء وعلماء

الأصول ، فقوِّى استنباطه للمسائل . ثم استهواه علم الحديث ، وراق له أسلوبه في النقل والضبط ، وأراد التوثق فيه ، فأقبل على رجاله يتتبع تاريخهم ، فوجد في نفسه ميلاً إلى التاريخ فأمعن في درسه ، وصار يستقصي كتبه يضيفها إلى رواياته ، ويتتبع آثار من أجاد فيه واشتهر به . وبكل ذلك تكوّنت ثقافته ونتج علمه .



آثار الخطيب وأهدافه فيها إجمالاً

شرفه بتصانيفه

تلك الثقافة وذلك العلم صرفهما الخطيب مصرفاً حسناً ، فأبقى للعصور من بعده أثرهما الخالد في مصنفات قيمة . وليس شي عند الخطيب أبعد أثراً وأعظم فائدة من تلك المصنفات ، حتى إن مترجميه كانوا يرمزون شرفه إليها ، وينسبون مكانته إلى قيمتها ، فيقولون حين التعريف به : « صاحب التصانيف المنتشرة »^(١) « التي تبلغ غاية المراد »^(٢) و « أحد الأئمة المشهورين » « المصنفين المكثرين »^(٣) و « إمام مصنف حافظ »^(٤) « سارت بتصانيفه الركبان »^(٥) و « صنف الكتب الحسان البعيدة المثل »^(٦) « وأعجز الناس في تصنيفه الكتاب »^(٧)

(١) تذكرة ٣ : ٣١٢

(٢) سبكي ٣ : ١٢ ، مختصر تاريخ الاسلام لابن حجر ، احمدية حلب

١٢٢٠ سنة ٤٦٣

(٣) من كلام عفيف الدين ابن الدواليبي ظاهرية حديث ٢٨٥ ، ١٤٠

(٤) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٨ وعنه ارشاد ٤ : ١٤

(٥) ابو غالب شجاع الذهلي في شهة ٢١٣٩ تذكرة ٣ : ٣١٧ ، سبكي

٣ : ١٣ ووصفه بالتصنيف ابن حاتم المقدسي ٢٨٧

(٦) تذكرة ٣ : ٣١٣

(٧) ذكر كبار الحفاظ لابن الجوزي (ظاهرية مجموع ١٠٠ ، ١٣٦)

(٨) من رثاء ابي الخطاب بن الجراح في تاريخ دمشق ١ : ٤٠٠ ، ارشاد

٤٣ : ٤٣ شهة ١٤١

مدح السلفي لمؤلفاته

وعمَّ ذلك حتى انتقل إلى الشعر ، فمدحه الحافظ السلفي (٤٧٢ — ٥٧٦) بعد أن قرأ تصانيفه واستفاد منها بقوله : ^(١)

تصانيف ابن ثابت الخطيب ألد من الصبا الغض الرطيب
يراهنا إذ رواها من حواها رياضاً للفتى اليقظ اللبيب
ويأخذ حسن ما قد صاغ منها بقلب الحافظ الفطن الأريب
فأية راحةٍ ونعيم عيشٍ بوازي كتبها أم أي طيب

رأيه في التصنيف

ولعمري إنهم وصفوه ومدحوه بما حبيب إليه ، وبما كان يجلب أثره حين يقول ^(٢) :

إن التصنيف « يشبث الحفظ ، ويذكى القلب ، ويشحذ الطبع ، ويجيد الببان ، ويكشف الملتبس ، ويكسب جميل الذكر ، ويخلده إلى آخر الدهر . وقلَّ ما يهر في علم الحديث ، ويقف على غوامضه ، ويستبين الخفي من فوائده إلا من فعل ذلك . وحدثت الصورى الحافظ محمد بن علي قال : رأيت أبا محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ

(١) إرشاد ٤ : ٣٤ ، شعبة ٢١٣٩ سبكي ٣ : ١٣ وفي نصها اختلاف وقد أثبتنا نصها من شعبة

(٢) مقدمة ابن الصلاح ٢١٣

في المنام ، فقال لي : يا أبا عبد الله خرّج وصنف قبل أن يحال بينك وبينه . هأنذا تراني قد حيل بيني وبين ذلك » .

عدد مصنفاته

ألا إن أبا بكر لم يحل بينه وبين التصنيف رحلة أو عمل أو سعي لكسب ؛ فقد ألف كثيراً ، حتى قيل إنه « صنف قريباً من مائة مصنف »^(١) . وحصر ابن النجار عدد مؤلفاته بنيف وستين مصنفًا ، وجدها في فهرسة لها خاصة^(٢) . وحصرها محمد بن أحمد المالكي بستة وخمسين ألفها قبل سنة ٤٥٣^(٣) . وبهذا العدد أخذ السمعاني^(٤) وابن حاتم المقدسي^(٥) . وابن الأثير^(٦) . وقال ابن شافع إنه « مات عن نيف وخمسين مصنفًا سوى ما وجد في الرقاع غير مفروغ منه »^(٧) . والذي انتهى إليه جمعنا لشتات أسمائها تسعة وسبعون مصنفًا . أما

-
- (١) الأناساب ٢٠٣ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٧ البداية ١٢ : ١٠١ وعن ابن الاهدل : شذرات ٣ : ٣١٢
- (٢) شعبة ١٣٩ تذكرة ٣ : ٣١٦ — ٣١٧ ؛ سبكي ٣ : ١٣
- (٣) ظاهرية مجموع ١٨ (٦)
- (٤) في شعبة ٢١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٦
- (٥) الاربعين له ٢٨٧
- (٦) جامع الاصول ٢٥٠
- (٧) في ابن نقطة ؛ الاول من الاستدراك ؛ ظاهرية حديث ٤٢٣ ؛ ١٥

ما حصرناه من عدد أجزائها فسته وثلاثون وأربعمائة جزء . ونحن في ذلك منقصون لا مزيدون ، فقد اعتبرنا المصنف الذي لم ينوّه بعدد أجزائه جزءاً واحداً ، وما ذكر أنه مجلد أربعة أجزاء . وقد وقفنا عند آخر جزء وقع لنا مما عثرنا عليه في دور الكتب ، ولو أن هذا الجزء ليس آخرها ، اللهم إلا إذا حدد في فهرس مصنفاته ^(١) . هذه الأجزاء هي أجزاء حديثة ، إذا طبعت بالقطع المتوسط والحرف المعتدل دون هامش قاربت صفحاتها الخمسين أي كونت سدس مجلد . وكذلك فعدد المجلدات التي ألفها الخطيب بحصرنا أكثر من اثنين وسبعين مجلداً . وهو عدد ضخم يفوق عدد سني حياته ، فكأنه نذر على نفسه أن يخرج أكثر من مجلد عن كل سنة قضاه في هذا العالم .

جودة تصنيفه

هذه الكثرة في التصنيف ، وهي حسنة من حسناته ، نتضاءل أمام جودة تصنيفه . فانظر في فهرسة مصنفاته ما ذكره عن معظمها كبار المؤلفين وعن إجلالهم لها . ذلك أن أبا بكر كان يدرك أن المؤلف رمز المصنف ، ودليل علمه ومعرفته ، بل دليل على عقله ،

(١) آثرنا الأخذ بتعداد شهية للأجزاء على تعداد المالكي لما صح عندنا من حسن ضبط الأول

فكان يقول^(١) : « من صنف فقد جعل عقله على طبق ، يعرضه على الناس » فما أحراه أن يجيد ، فيعرض عقلاً كاملاً ، وبوئيد بذلك اتصافه بالإنفاق وأخذَه بأسباب الكمال . وقليل هم أولئك الذين أكثرُوا في الكتابة وأجادوا في التصنيف . وقد عددهم أستاذنا محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي^(٢) ، فذكر في عدادهم الخطيب ، وقال : « وهو من المجيدين على إكثارهم » .

اعتراف خصومه بجلالة آثاره

ولقد كبت الخطيب بجودة تصانيفه وكثرتها خصومه وأعداءه وحساده ، فلم يستطيعوا أن ينقصوا من قيمتها ، أو يحطوا من قدرها ؛ بل اعترف بعضهم بجلالتها ، فقال ابن الجوزي^(٣) : « ومن نظر فيها عرف قدر الرجل وما هي له ، مما لم يهبها لمن كان أحفظ منه كالدارقطني وغيره » . على أنهم قلبوا الأمر من جميع وجوهه ، فلم يجدوا إلا الخط من صاحبها ، بنسبتها إلى حفظه ، وانخفاض من ذلك الحفظ ، يفعلون ذلك تارة ، وينفون عنه تلك المصنفات تارة أخرى : ينسبونه إلى سرقتها وقفلها عن غيره .

(١) شعبة ١٤٠ ؛ تذكرة ٣ : ٣١٨

(٢) في مقالة له بمجلة المجمع العلمي العربي ١٧ : ٦٣-٧٧ اسمها « المكثرون من التأليف والمجودون فيه » ذكر فيها الخطيب ص ٦٨

(٣) المنتظم ٨ : ٢٦٦ وإرشاد ٤ : ٢١

مقارنة حفظه بتصنيفه

وأول التهم التي تنسب إليه في علمه ضعف حافظته . وهالك محمد بن طاهر المقدسي الذي رأينا تحامله عليه وخلق الروايات الباطلة فيه يقول : سألت هبة الله عبد الوارث الشيرازي (٢٨٦ -) « هل كان الخطيب كتصانيفه في الحفظ ؟ قال : لا ! كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام ، فإن ألحنا عليه غضب . وكانت له بادرة وحشة . ولم يكن حفظه على قدر تصانيفه ^(١) . » والإيقاع بالخطيب ظاهر في هذا القول . وإذا كان فيه شيء من الصحة ، فهو إرجاء الخطيب الجواب عن مسائل العلم التي ننقل عنه إلى ما بعد الرجوع إلى الكتاب ، يؤيد ذلك قول الحميدي ^(٢) : « ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب ، وقال حتى أكشفه ؛ وما راجعت ابن ماكولا في شيء إلا وأجابني حفظاً ، كأنه يقرأ من كتاب . » وليس في هذا طعن عليه ، بل تثبيت لعلمه وحبه للتوثق . فلم تكن سرعة الجواب في مسائل العلم العويصة التي تعرض على الاستاذ ، لتدل على مكانته عند المحدثين ، فالتثبت عندهم هو المعرفة بعينها . والتحديث من الكتاب والرجوع إليه حتى عند الحفظ والمعرفة

(١) إرشاد ٤ : ٢٧ الرد على أبي بكر ١٧٦ شعبة ١٤٠ تذكرة ٣ : ٣١٩

(٢) تذكرة الحفاظ ٤ : ٤ شذرات ٣ : ٣٨١ والاربعين لابن حاتم ٢٩٤

واجب عندهم استننه إمامهم أحمد بن حنبل ، فقد كان لا يحدث إلا من كتاب ، وكان يحض على ذلك ^(١) وهاك تأييد قولنا في الخطيب ما ذكره أبو طاهر السلفي قال ^(٢) : « سألت أبا الغنائم النرسي عن الخطيب » ، فقال : « جبل لا يسأل عن مثله ، ما رأينا مثله ، وما سألته عن شيء فأجاب في الحال » انظر كيف كان إجلاله له ، حتى أقر بأنه لم ير مثله ، ثم لم ير نقضاً لما قال بل تأييداً له في ذكر تأجيل الخطيب الجواب عن المسائل .

جودة حفظه لأصول العلم

على أنا لا نريد بذلك أن نقول إن الخطيب كان حافظاً لكل ما جمع وألف وكتب ، كما روى عن بعضهم ، فذلك ما لا يطلب منه ؛ إنما نقصد به أن علمه لم يكن في كتابه فقط بحيث لا يجيد إلا حين يكون معه . كلاً ! فهناك مسائل العلم وأصوله الأولى يحفظها أبو بكر ، ويناقش بها ، ويعلمو بمعرفتها . عرض في مجلس أبي إسحاق الشيرازي ^(٣) اسم بحر بن كنيز السقاء ، فقال أبو إسحاق

(١) المجلد الأول من الكمال لعبد الغني المقدسي مخطوطة الظاهرية حديث

٣٦٦ ، ١١٢

(٢) تذكرة ٤ : ٥

(٣) شعبة ٢١٣٩ ؛ سبكي ٣ : ١٤

للخطيب ما نقول فيه ، فقال الخطيب : إن أذنت لي ذكرت حاله ،
فأسند الشيخ ظهره من الحائط ، وقعد كالتلميذ ، وشرع الخطيب
يقول : قال فيه فلان كذا ، وقال فيه فلان كذا ، وشرح أحواله
شرحاً حسناً . « لم يكن أبو بكر يشحن ذا كرته بغريب المسائل ،
ونوادى العلم التي لا فائدة منها إلا فيما ندر ؛ إنما كان يحفظ ما يثبت
به علمه ، وبوثق به روايته . ولعله بذلك زاد في حسن تصنيفه ،
فقديماً كان الحفظ الغزير مخففاً لا جادة التفكير وحسن الاستنباط ،
لما تطعن به لذاكرة الفكر ، وتحمد به القرينة .

اتهامه بسرقة تصانيفه

غير أن تهمة بقله حفظه ليست شيئاً ، إذا نسبت إلى اتهامه
بسرقه تصانيفه . فخصومه يحاولون بهذه التهمة الأخيرة أن يفقدوه
أعز ما عنده . وما أسهل ما يستطيع المرء اتهام الناس بالباطل ،
لأن أبوابه كثيرة . ومبتدع هذه التهمة على ما ظهر لنا أحد تلامذته
المبارك بن عبد الجبار أبو الحسين بن الطهوري (- ٥٠٠) فقد قال :
« أكثر كتب الخطيب سوى تاريخ بغداد مستفاد من كتب الصوري
[أبي عبد الله محمد بن علي] : كان الصوري ابتداء بها ، وكانت له
أخت بصور مات أخوها ، وخلف عندها عدلاً محزوماً من الكتب

فلما خرج الخطيب إلى الشام حصل من كتبه ما صنف منها كتبه^(١) .
 ويذكر بعضهم أن ابن الطيوري روى هذه التهمة بقوله : « يقال^(٢) »
 ولكن النص الأول أقوى وأثبت . ومما يؤيده إعجاب ابن الطيوري
 بالصوري ونسبة علم الخطيب إليه حيث يقول : كتبت عن جماعة
 أكثر من أن تحصى ، فما رأيت فيهم أحفظ من أبي عبد الله الصوري
 وعنه أخذ أبو بكر الخطيب علم الحديث^(٣) .

رد هذه التهمة

وليس ردّ هذه التهمة بالأمر الشاق ، فهي ضعيفة من وجوه .
 أولها أن مبتدعها لم يحسن وضعها التاريخي ، ولو أنه أحسن اختيار
 الصوري كصاحب للمؤلفات التي نسب سرقتها للخطيب . فقد
 عرف أن الصوري لم يتمم ، ولم يخرج أكثر مصنفاته . ولعل ذلك

(١) بهذا التفصيل في الإرشاد ٤ : ٢٧ وبحذف بعض الكلمات في المنتظم ٨
 : ١٤٤ شبهة ٢١٤٠ وباقتضاب في مرآة الزمان لسبط بن الجوزي دار الكتب
 الوطنية بباريس ١٥٠٦ : ٢٣ وفي النجوم الزاهرة ٥ : ٦٣ مع غلط في سرد
 اسم الصوري وتاريخ وفاته فقد ذكر أنه أبو محمد عبد الله بن علي بن عياض
 وذكر أنه توفي سنة ٤٥٠ وهذا شخص آخر .

(٢) البداية ١٢ : ٦٠ ويستبعد ياقوت هذه التهمة فيقول زعم بعض العلماء :

معجم البلدان ٣ : ٤٣٤

(٣) ابن حاتم ١٨٥ : ٣ تذكرة ٣ : ٢٩٥

كان شيئاً معروفاً في عصره ، فقد ذكره السمعاني بقوله : « جمع الصوري جموعاً وخصائيف ، ولم يتم أكثرها ، لأن المنية عاجلته »^(١) ولكن ابن الطهوري لم يعرف أن الخطيب صنف كتبه ، قبل أن يخرج إلى دمشق ، ودوّنت فهرسة تلك المصنفات قبل سنة ٤٥٣ دونها محمد بن أحمد المالكي . وحدث بها المؤلف قبل ذلك التاريخ . فكان خطأ تاريخياً ما ذكره ابن الطهوري من أنه سرقها بعد خروجه إلى دمشق ، ولو فرضنا أنه يقصد بخروج إلى الشام خروجه إلى الحج عن طريق الشام . وهذا تساهل منا لا يقره مفهوم كلامه ويثبت خلافه من روى هذه القصة يدينون بها الخطيب كصاحب عقد الجمان حيث يقول : « ثم خرج من البلد (أي دمشق) فأقام بمدينة صور فكتب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري كان يستعيرها من زوجه »^(٢) . لو فرضنا ما لا وجود له ، لوجدنا الخطيب نفسه يرد التهمة عن نفسه ، دون أن يكون عزم أنها استحالك له . فيقول في ترجمة الصوري : « قدم علينا في سنة ثمان عشرة وأربعمائة » ثم يقول بعد كلام يمدحه به : « ولم يزل يبعداد حتى توفي بها في يوم

(١) الأنساب ٢٣٥٦

(٢) عقد الجمان ؛ دار الكتب المصرية تاريخ ٧١ م القسم الثاني من الجزء

الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٤١ ودفن من الغد في مقبرة جامع المدينة ، وحضرت الصلاة عليه ، وكان قد نيف على الستين ^(١) ونقل المؤرخون والمحدثون عنه هذا القول ^(٢) .

وبعد فإن واضح التهمة لم يظن الى أن السوري لم يكن ليخلف كتبه وتصانيفه عند أخته بصور ، وهو قاصد أن يقيم ببغداد ، وإنه لو تخلفت تلك الكتب عنه لما منع ما ، كان حرباً بأن يستقدمها ، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة في بغداد ، وهي كتبه وتصانيفه ، لا يستطيع الاستغناء عنها بحال . وإذا أضفنا إلى ما تقدم أن ابن الطيوري مضعف بروايته عند المؤتمن الساجي من معاصريه ^(٣) ، اتضح لنا أنه اتهم الخطيب فيما هو براء منه .

على أن المباحك قد يجد فيما أوردناه سبيلاً إلى الجدل ، فله نقول : إن في حياة الخطيب ومزاجه ، وما نشأ عليه من علم ، وما ذكره في تاريخ بغداد من طعن على من يستجيز الرواية من غير سماعه ، لا أكبر دليل على استحالة سرقة مؤلفات غيره ، رويت بسند غير سنده ،

(١) تاريخ بغداد ٣ : ١٠٣

(٢) السمعاني في الانساب ٣٥٦ ابن حاتم المقدسي ١٨٤ الذهبي في التذكرة

٢٩٤ : ٣

(٣) لسان الميزان ٥ : ٩

وبطرق لم يتصل بها . وفي هذا على ما نعتقد إقناع بالحق ، إلا لمن أغرق في البحث عن الاحتمالات البعيدة ، يماري بها وجوه الحق ، مما هو ظاهر ، فلهذا أن يعتقد ما يشاء .

نهجنا وغابتنا في البحث عن أثره

وبعد فما هي الموضوعات التي طرقها الخطيب ، وما هو الجديد الذي أحدثه فيها ، والأثر الذي خلده بها ؟ يخيل إلينا أن لا جواب عن هذا السؤال إلا في دراسة مصنفاته كلها ، ومقارنتها بما كتب في موضوعاتها قبل أن تخرج . وبديهي أن شيئاً من ذلك صحيح ، فلا يضبط أثر المؤلف ، ولا تعرف قيمة ما أحدث إلا بقراءة كتبه ، وتفهم ذلك منها . غير أننا قدمنا بين يدي البحث في ثقافته وأثره قولنا : إننا لا نرمي إلى ما لا نخولنا إياه النصوص التي علقنا عليها — وهي تعداد مصنفاته ، وما قال فيها أصحاب المعرفة — وبعد أليست هذه النصوص بليغة في تحديد الموضوعات التي صنف فيها أبو بكر ، ومعرفة الهدف الذي رمى إليه . ثم أليس في وسعنا أن نقدر من أقوال العارفين الأثر الذي خلده ؟ كل ذلك على أن لا ننشد ضبطاً وثيقاً أو تحديداً عميقاً ، فهذا هو سرّ الأيام المقبلة .

حصر الموضوعات التي طرقها

ولنحصر بادئ بدء تصانيفه بموضوعاتها وتنوعها وكثرتها وإليك
جدولاً يظهر ذلك :

عدد المصنفات	عدد الأجزاء	إجمال المصنفات	إجمال الأجزاء
١٤	٣٢		
٧	٥٦		
٥	٢٤		
٢	١٤		
٧	٣٦		
١	٢		
٣٦	١٦٤	٣٦	١٦٤
٢	١٣		
١٣	١٠٢		
٧	١٩		
٤	١٠٩		

الحديث : المسندات والأحاديث

الأحاديث المخرجة

علم السند

أصول علم الرواية

آداب الحديث والفقهاء

موضوعات أخرى

مجموع ما ألفه في الحديث

التاريخ : نقد رجال الحديث (رقم

٥٩ و ٢٧٢)

إيضاح المبهم من أسماء

رجال الحديث

الرواة عن المشايخ

التواريخ

عدد المصنفات	عدد الاجزاء	إجمال المصنفات الاجزاء	إجمال
-----------------	----------------	---------------------------	-------

١٦٤ ٣٦

مجموع ما ألفه في الحديث

٢٤٢ ٢٥

مجموع ما ألفه في التاريخ

٢٠ ١٣

العلوم الأخرى : الفقه

٢ ٢

الزهد

٨ ٣

الأدب

٣٠ ١٨

٣٠ ١٨

مجموع ما ألفه في العلوم الأخرى

٤٣٦ ٧٩

المجموع العام

والذي يستنتج من هذا الثبت أن المادة التي استرعت انتباهه ،
وأصابت رغبته ، هي التاريخ : من تراجم وأسماء ، فقد ألف فيها
أكثر من نصف ما كتب ، ثم عني بالحديث وضبطه وتخريجه ،
فكان مجموع ما ألفه من ذلك أكثر من ثلث مؤلفاته . أما ما بقي
من تصانيفه فشيء صغير .

تصنيفه في الفقه دفاعاً عن الشافعي

غير أن هذا الشيء الصغير عدداً عظيم بما توخاه منه مؤلفه . فإذا
أنعمنا النظر في التصانيف الفقهية وموضوعاتها ، نرى أنه توخى في
جمعها الدفاع عن مذهب الشافعي ، وذلك بأن عمد إلى مسائل خالف

فيها الشافعي المذاهب الأخرى أو بعضها ، فأفرد فيها الخطيب تأليفاً في جزء أو بضعة أجزاء ، وسند الشافعي في رأيه ، وبرهن على صحة زعمه . ومن تتبع المسائل التي وردت في أسماء مصنفاته الفقهية ألفي محمد بن أحمد بن رشد يشير في كتابه « بداية المجتهد » إلى اختلاف الفقهاء فيها . ونحن نورد أمثلة من ذلك ، نعدّها بها أهم تلك المسائل . قال ابن رشد ^(١) : اختلفوا في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في افتتاح القراءة في الصلاة ، قال الشافعي يقرأها ولا بد في الجهر جهراً وفي السر سراً . « ويؤلف الخطيب كتباً في ذلك (رقم ٤٠) بدعم ما قاله الشافعي ، ويعنونه بالجهري قعماً لقول المعارضين .

ويقول ابن رشد ^(٢) : « اختلفوا في القنوت ، فذهب مالك إلى أن القنوت في صلاة الصبح مستحب ، وذهب الشافعي إلى أنه سنة ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يجوز القنوت في صلاة الصبح » وإذا بأي بكر ينشئ ثلاثة أجزاء في القنوت والآثار المروية فيه على اختلافها وترتيبها على مذهب الشافعي (رقم ٤٦) . ويصنف في بعض مسائل الاختلاف الأخرى رسائل ^(٣) يقرر بها رأي الشافعي . ثم لا

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (دار الكتب العربية الكبرى ١٣٣٥)

(٢) البداية السابقة ١ : ٧٧

(٣) انظر اختلاف الفقهاء عن المسائل التي عرضت في تصانيفه كما يلي : —

يقتصر على ذلك ، بل يرمي إلى الدفاع عنه فيما نسب إليه ، فيؤلف جزءاً في « مسألة الاحتجاج للشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه » (رقم ٥٧) وبذلك يظهر تعلقه بمذهب الشافعي ، واستخدامه لعلمه في الذود عنه . ولا شك أن جلالة معرفته للحديث ، وعلمه بطرقه وأسانيده ، وكثرة ما روى منه ، تسعفه في تأييد آراء الشافعي وتخوله إثبات رأيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكفى بذلك عند أصحاب الحديث مؤيداً .

جمعه لبعض الأحاديث إظهاراً لصحتها وفوائدها أو إتماماً لنقص فيها

وبديهي أن تلك المعرفة بالحديث لا بد أن نتجلى في تصانيف حديثية خالصة ، غير أن الخطيب لا يؤلف كتبه دون غاية أو في سبيل إظهار معرفته ، بل يتطلب النقص ، فيسد عوزه . وهو إذا وجد « إلا كثار من طلب الأسانيد الغربية والطرق المستنكرة » يفعل ذلك « الأحداث فيتحفظونها ، ويذاكرون بها ، ولعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثاً ، وتراه يذكر من الطرق الغربية

— البداية ١ : ٩٦ للمصنف رقم ٤٤ و ١ : ٧٢ لرقم ٣٧ و ١ : ٢٣ لرقم ٤٩ و ١ : ١٦٧ لرقم ٤٨ و ٢ : ٦ لرقم ٣٨ و ٢ : ٢٨٢ لرقم ٤٥ . أما ما لم نجد له ذكراً في الاختلاف فرقم ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ولعل أبحاثها من دقائق الخلاف أو من غيره .

والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع ، وجلها مصنوع ، ما لا ينفع به . وقد أذهب من عمره جزءاً في طلبه^(١) إذا وجد ذلك عمد إلى الموضوعات التي يتحرون فيها الوصول إلى ذلك ، فكشف عن هذه الأسانيد ، وحررها كما فعل في كتابه « طريق حديث قبض العلم » (رقم ٦) وكما لعله فعل في كتب أخرى^(٢) . ويؤلف في المسانيد عدداً من الكتب^(٣) ولعله يظهر فيها ما خفي على ذوي المعرفة .

ثم يقبل عليه جماعو الحديث ، يرجون منه أن يخرج مما جمعوا فوائد منتخبة ، تؤثر عنهم ، فيجيب من حسنت روايته منهم ، وكثر جمعه ، وعرف بجلالة قدره^(٤) . وقد يتم مادة كتاب قرأه ككتاب مسلم بن الحجاج في معرفة شيوخ مالك والثوري وشعبة^(٥) فيجد الحاجة إلى ذكر من روى عن مالك وشعبة ، بعد ما ذكره مسلم من شيوخهم ، فيفرد مصنفين لذلك^(٦) . ويعمد إلى كتاب آخر قرأه وهو « التوقيف على فضل الخريف للأ مير أبي محمد بن المقتدر »^(٧) ،

(١) كما يقول هو في شرف أصحاب الحديث ، ظاهرة بمجموع ١١٧ (٢) ، ٥٨

(٢) رقم ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧

(٣) رقم ٨ — ١٤ دون ١١

(٤) رقم ١٦ — ٢١

(٥) رقم ٤١٧ من تسمية ما ورد به

(٦) رقم ٦٥ و ٦٤

(٧) رقم ٢٦٧ من تسمية ما ورد به دمشق

فيسميه بكتاب يسميه « التنبيه والتقويف على فضائل الخريف » (١) .
وقد يُطلب إليه تأليف كتاب في الشطفيل (٢) أو البخل ، فيفعل
للفائدة المطلوبة ولتيسره على ذلك .

غايته الأولى في التصنيف واختصاصه

على أن الفائدة ، وإن حصلت في هذه المصنفات ، فهو إنما يؤلفها
عرضاً ، أو لميسر حاجة ، ومآل هذا القول إنه كان يعمل لنوع
من التصنيف خاص ، وقف نفسه عليه ، لا يأخذه في ذلك كلل أو
نصب ؛ ذلك هو جمع تاريخ بغداد وضبط أصول الحديث .
أما تاريخ بغداد فقد كان ديدنه طول حياته وأساس شهرته ،
وسبب مكانته في العلم . وقد طُبِعَ هذا الكتاب . فصار حقاً علينا أن
نفرد له باباً خاصاً نصفه به ونذكر مزاياه ونبين شأنه ، وسيأتي هذا
الباب تلوه .

أما كتبه في أصول علم الحديث ، وآداب روايته ، وإيضاح
ملابس أسماء رجاله ، فلا تقل شأنًا عن تصنيفه لتاريخ بغداد ، إذا
لم ندع أن صفاء قريحته وحسن استنباطه وجودة تأليفه تظهر فيها
أكثر مما تظهر في تاريخ بغداد .

(١) رقم ٥٣

(٢) انظر مقدمة هذا الكتاب المطبوع

علم مصطلح الحديث قبله

وضع المحدثون طرائق لنقد الحديث ولتمييز صحيحه من معلوله ،
وشفعوا ذلك بالأساليب التي يجب أن ينتقل بها من أفواه الرجال
إملاءً أو سماعاً . وكان إمامهم في ذلك البخاري صاحب الصحيح ،
ثم جمع الرامهرمزي ما وضعوا في كتاب أسماه المحدث الفاضل ،
وتبعه الحاكم النيسابوري ، ففصل البحث في معرفة رجال الحديث ،
حتى عدّ واضع تقسيمهم إلى أنواع وتمييزهم بأصناف ، أثر ذلك
عنه ، فبقي على ما وضعه .

وآلف مسلم والدولابي والدارقطني وعبد الغني بن سعيد في الإيهاام
الذي وقع في أسانيد الحديث ورجاله .

حاجتان ملحتان فيه

غير أن كلمتا الفئتين وضعت كتباً مجملة ، عمت أحكامها ،
واختصرت فصولها . وبقيت مسائل عديدة وقع الاختلاف فيها ،
وسرى الالتباس والشك إليها ؛ وذلك أن علم الحديث اتسع اتساعاً
هائلاً ، لم يشهد مثله علم آخر ، وكثرت رؤاؤه كثرة كادت
تفوق الحصر ، وتعددت لذلك ولأسباب أخر أساليب نقله وطرق
روايته ، فخرج على ما كان عليه من الدقة والضبط . وأسفر الأمر

عن حاجتين ملحيتين : أولاهما تحرير الاختلاف ، والنظر في الأساليب المستحدثة ، وثانيتهما إيضاح الالتباس والابهام والإشكال التي تسربت إلى أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم ، ونتجت عن كثرة الرواة وطول السند .

قيمة تصانيفه فيه

شعر الخطيب بهاتين الحاجتين ، حين طلبه للحديث مرةً وحين جمعه لتاريخ بغداد مرةً أخرى . وقرأ مصنفات المصنفين في ذلك ، فوجدها لا تفي بحاجة ذلك الاتساع ، فعزم على سدّ عوزها ، وفكر بالأسلوب ، فرأى أن خير طريقة تبلغه غايته أن يفصل في كتب مفردة ما أوجزت فيه بكتاب جامع تفادياً من الاختلاف وللإحاطة بأسباب الالتباس . وانقطع لهذا العمل وطفق يجمع مواده ، فتوفر له منه في ذلك الوضوح ، فصار يخرج تصانيفه الواحد تلو الآخر ، وإذا به يبلغها عدداً كبيراً .

هذه التصانيف العديدة ، التي رأينا حين تسميتها مديح أصحاب الشأن لها ، تظهر فضل الخطيب ومكانته ، فهي ليست جائلة بكثرتها وتفصيلها ، بل بتحقيقها وضبطها وحسن استنباطها ؛ فيها تظهر قريحة الخطيب نقية وضاءة ، وتبدو جودة تفكيره ، ويعلمو كعبه في حسن التصنيف وسهولة المأخذ .

طريقته فيها

والذي ظهر لنا بقراءة تقييد العلم والكفاية وأخلاق الراوي وشرف أصحاب الحديث والفقهاء والمتفقه والإجازة للمجهول أن الطريقة التي يتبعها في هذه التصانيف استنطاق النصوص ، وإيضاح ما ورد فيها ، وتسوية الخلاف الواقع بينها . وذلك بأن يبينها تبويهاً هو من خير ما وجدناه ، فيما بلغنا من كتب العرب ، ينبئ عن تعمق وحسن فهم للأشياء . ثم يورد النصوص بعضها تلو بعض ، تنطق بما وصل إليه المؤلف بعد الجهد والتفكير والعلم الوثيق ، يتخلل كل ذلك بعض جمل منه ، تجلب الفكر إلى ما قد لا يدركه القارئ من النصوص نفسها ؛ على أن المؤلف لا يحب الظهور كثيراً ، وكأنه يريد أن يتم الاستنتاج والاستنباط من النصوص نفسها ؛ وكأنه يقول : إنها هي التي تعطيه الفكر ، وتقدم له النتائج . وإذا وجد اختلافاً بينها لم يحاول تضعيف بعضها وتوثيق الآخر إلا قليلاً ، بل يبذل كل ما في وسعه لتعليل الاختلاف وإظهار صحة الرأي في كل منها ، لعلها أوجبت الاختلاف ، ومنعت الاتفاق . وهو يبدأ كتابه بذكر الغاية من تأليفه ، ويلخص موضوعه بلغة بليغة بحسن معانيها ، فصيحة بظرافة تروكيها ، وحسن اختيار ألفاظها . وإذا انتقل من فصل إلى فصل أو من باب إلى باب ، أفهم القارئ الشوط الذي

قطعه ، والمكان الذي وصل إليه ، والطريق الذي سوف يسلكه ،
غير أنه مقل في ذلك إقلاله في التحليل والتعليل عند تعارض النصوص
أو إيضاح الملتبس .

أما كتبه في أسماء الرجال وإيضاح ملتبسها فهي تدل على سعة
الاطلاع ، وكثرة التقييد للشوارد ، وتنبئ عن إرادة في تبسيط
حمل العلم ، ورفع الدس فيه . وهي في جلها مرتبة على الحروف ، لا
يظهر المؤلف إلا في مقدمة الكتاب ، أو حين اعتراضه على الخطأ
والأوهام .

هذا وصف مربع مقتضب ، توصلنا إليه شعوراً لا تدبعا وتحقيقاً .
وعسى أن تؤيده الدراسات المقارنة التحليلية .

المحدثون عيال على الخطيب

على أننا ، إن لم نوفق إلى استقصاء طريقتيه ، أو أخطأنا تفصيل
بعض أجزائها ، فإن لنا من أقوال المحدثين تصديقاً لمجمل مضمونها :
وهو أن الخطيب حرر أصول علم الحديث بأجزائها ونفاصيلها ، وأظهر
ملتبس الأسماء ، فلم يترك لغيره إلا سبيل تلخيص ما قال أو نقل
ما أورد . وهذا ابن الصلاح مؤلف مقدمته ، وهي أجمع مختصر في
أصول الحديث ، فيكتفي بتلخيص أقوال الخطيب ، أو عرض النتائج
التي أفضى إليها خلال كتبه العديدة المفصلة . وبوئيد الحافظ أبو

بكر بن نقطة (- ٦٢٩) رأينا حيث يقول : « كل من أنصف علم
أن المحدثين عيال على كتب الخطيب ^(١) » . وقال في محل آخر : « لا
شبهة عند كل لبيب أن المتأخرين من أصحاب الحديث عيال على أبي
بكر الخطيب » ^(٢) .

توفقه بمجموع ما صنف

وبعد فقد وفق الله الخطيب بتصانيفه خير توفيق ، فلم يكتب
للهو أو عبث ، بل أحسن بالنقص فسد فراغه ، وعرف أحسن
الموضوعات فطرقها ، ومماساعده على ذلك ثقافة عامة وثيقة ، وإطلاع
واسع ، ودرس لاختلاف الفقهاء ، واستنباطهم للمسائل ، وجمع
بين التاريخ بإيضاحه للنصوص وتعليلها وبين الحديث واتباعه وحسن
ضبطه . أضف إلى كل ذلك حب أبي بكر للعلم ، وجدده المتواصل ،
ونيته الحسنة ، والله الموفق للصواب .

(١) في نخبه الفكر لابن حجر ، طبعة كالكوتا ص ١ وتدريب الراوي

للسيوطي ص ٩ والرسالة المستطرفة ص ١٠٧

(٢) الاستدراك له ، ظاهرة حديث ٤٢٣ ، ٤٢٤ - ١٥

تاريخ بغداد

حريُّ بنا ، وقد فرغنا من ذكر أهداف الخطيب في تصانيفه إجمالاً ، أن نعرض ببعض التفصيل إلى وصف تاريخ بغداد ، أعظم مؤلفاته ، وأكثرها شهرةً ، وأبعدها أثراً^(١) .

باكورة آثاره الكبرى تاريخ بغداد

أرى استئناساً أن التأليف في تاريخ بغداد هو مبتدأ عمله . وتأيد ذلك نجده في فراغه من تاريخ بغداد سنة ٤٤٤^(٢) ، وعمره اثنتان وخمسون سنة . وانظر الآن كم يتطلب هذا الكتاب العظيم من وقت ، أفكان يكفيه أقل من ثلاثين سنة ، أو كان في وسع الخطيب أن ينقطع إلى تأليف أخرى معه تعادله خطورة ؟ ألا إن كتاباً كتاريخ بغداد يتطلب عمراً ؛ والخطيب موفقٌ ومجدٌّ في جمعه بأقل من ثلاثين سنة .

(١) يعود الفضل في تنبيهي إلى أفراد باب مفصل خاص عن تاريخ بغداد إلى العلامة الأستاذ أحمد أمين بك . وكنت أدرجت خلال البحث عن آثار الخطيب بحثاً جملًا عن التاريخ ، ففضل الأستاذ الكريم بلفت نظري إلى أن كتابي يعدُّ ناقصاً إذا لم أعرض فيه بشيء من التفصيل إلى تاريخ بغداد . فلأستاذ العلامة شكري الجزيل على هذه الملاحظة التي أفدت منها فائدة جلي . ولطالما أفاد العلم وهدى إلى طريقه .

(٢) انظر ص ٢٦ - ٢٧ أعلاه .

شعوره بالحاجة إلى تاريخ بغداد

وعلى ذلك فأكثر الظن في أن أبا بكر شعر حين طلبه للحديث بفراغ في كتب تراجم الرجال ، وهو خلوتها من تاريخ لبغداد ، مع أنها محط الرجال ، وجمع الرجال . وقلما نبه عالم إلا فكر في الرحلة إليها والأخذ عن مشايخها . زد إلى ذلك أنها مركز الخلافة ، ومقر السلطنة ، ومثابة الحضارة ، وجمع العلماء ، ومرجع المسلمين . وقد أدرك أن كثيرين غيره فكروا بما فكر به ، فلم يوفقوا إلى جمع ذلك التاريخ ، لما يقتضي من علمٍ وسعي وانقطاع^(١) . ولكنه عاد فحجب إليه تصنيف ذلك التاريخ حبه الشديد لبغداد ، ورغبته في خدمة شهرتها ، وتحقيق علو كعبها . وأسعفه في ذلك جمع طويل على خير رجال العصر ، وقراءة لكتب لم تكند تجتمع لغيره بالسماع ، وهمة سامية لا تعرف الراحة ولا تشعر بالنصب ، فانقطع إلى ذلك انقطاعاً شامداً في درس حياته أثره ، فقد ألفينا أخباره نقطع معه . وإذا به يبقى سنين دائباً على التدوين والتصنيف ، آخذاً في تحرير ما دون وصنف . وإذا بتاريخ بغداد يخرج من ذلك في حلة قشبية ، واضح المرمى ، ظاهر الفصول ، مستقيم النهج .

(١) كتب قبله في تاريخ بغداد أحمد بن أبي طاهر وابن أسفنديار : الاعلان

وصفه لمدينة المنصور وتاريخه للمدائن

يبتدىء تاريخ بغداد بوصف المدينة ، فتظهر لنا عظمتها ، ويرتضي المؤلف برواية أخبار غالت في تعداد مساجدها وحماماتها وسككها ومساحتها القديمة ، فهو مقتنع لمحبه لها أنها خير البلدان ، فلا يستبعد غرائب ما يروى عن سالف مجدها ، وإن كان لا يعتقد صحة كل ما رواه^(١) ، حتى إنه لا يستوحش من إدخال بلدة المدائن فيها ، فيتبع وصف بغداد بتراجم الصحابة الذين دخلوا المدائن ، ويدرج خلال تراجم البغداديين التابعين والخالفين ممن أمها تراجم أهل المدائن ؛ على أنه لا يخالف بذلك الغاية التي اختطها لنفسه ، والتي نلقفها من طرائق غيره ممن كتب في تاريخ البلدان قبله كالقشيري في تاريخ الرقة ، وابن الجبال في تاريخ مصر ، والحاكم في تاريخ نيسابور . فهم جميعاً ، وهو من بعدهم ، يذكرون في تاريخ البلدة من دخلها من الرجال إلى جانب أهلها . ولما كان لا يعقل أن يقيم بالمدائن إنسان دون أن يختلف إلى بغداد ، لأنها قريبة منها متصلة بها ، أجاز العلم للخطيب إدخال المدائن بتاريخ بغداد . قال في تاريخه^(٢) :

(١) انظر ما يقوله في ذلك أمير البيان الأستاذ شبيب أرسلان في مجلة « الثقافة » التي صدرت في دمشق الجزء الأول السنة الأولى ص ٤ — ١٤

(٢) تاريخ بغداد ١ : ١٢٧

« إنا أوردنا ذكر المدائن في كتابنا لقربها من مدينتنا ، وذلك أن المسافة إليها بعض يوم ، فكانت في القرب منها كالمتصلة بنا . وسنورد في هذا الكتاب أسماء من كان من أهل العلم بالنواحي القريبة من بغداد كالنهر واث وعكبرا والأنبار وسر من رأى وما أشبه ذلك عند وصولنا إلى ذكرها إنشاء الله ، فأما تقديمنا ذكر المدائن ، فإنما فعلنا ذلك تبركاً بأسماء الصحابة الذين وردوها والسادة الأفاضل الذين نزلوها . وقد قبر بالمدائن غير واحد من الصحابة والتابعين رحمة الله عليهم . »

ترتيب التراجم

وأسلوبه في ترتيب التراجم بعيد عن إظهار شيء من نفسيته . وما قصد به إلا تسهيل إخراج الترجمة ، فتابع من سبقه من أصحاب هذا الفن في ترتيب أسماء المترجمين على الحروف . غير أنه لم يقنع بذلك ، بل ابتدع أسلوباً أكمل به هذا النهج ، دعاه إليه كثرة التراجم وتشابه الأسماء ؛ وذلك أنه عرف أن الباحث عن ترجمة لا يحفظ عن هوية صاحبها إلا اسمه واسم أبيه^(١) ، وأنه لو تعمد حفظ

(١) بل لعله لا يعرف اسم الأب أو لا يذكره بالضبط فيقتصر المؤلف على اسم المترجم فقط ، ويرتب من حملوا الاسم على طبقاتهم وموتهم كما فعل ابن سبويه باسماعيل : تاريخ بغداد ٦ : ٢١٢

اسم جده لوجد الاضطراب يوقفه تارةً وعدم توسع العلماء في ذكر الأجداد يمنعه تارةً أخرى ، اللهم إلا فيمن تسموا بمحمد أو أحمد وهم كثيرون ، فلزم ضبط أسماء أجدادهم ، كيلا يحول تشابه الأسماء دون معرفة الشخص : عرف ذلك الخطيب ، فابتدع أسلوباً جديداً ، فرتب التراجم التي تشابهت فيها أسماء الأشخاص وأباؤهم حسب تواريخ وفياتهم ، فسهل البحث على الراغب وحدد بذلك بالتقريب عصر بعض المترجمين ممن لم يستطع ضبط وفياتهم ، فصرت تجد تراجمهم بين ترجمتين عرفت تاريخهما ، فكانت بينهما ، فعرفتھا بالتقريب . وهو النهج الذي اتبعه الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « الأعلام » . وهو نهج ينصح أصحاب التراجم في اتباعه .

مادة الكتاب إجمالاً

والكتاب مستقيم النهج أيضاً فيما سوى ذلك ، ونسق المؤلف فيه واضح سليم ، لا يخرج عليه ولا يزلق إلى سواء ، ولو أنه لا ينهنا إليه إلا بكلمات قليلة ، لا توفي الأمر حقه . قال في مقدمته :
« وهذه تسمية الخلفاء والأشراف والكبراء والقضاة والفقهاء والمحدثين والقراء والزهاد والعلماء والمتأديبين والشعراء من أهل مدينة السلام الذين ولدوا بها أو بسواها من البلدان ونزلوها ، وذكر من انتقل منهم عنها ، ومات ببلدة غيرها ، ومن كان بالنواحي القريبة

منها ، ومن قدمها من غير أهلها ، وما انتهى إليّ من معرفة كنههم
وأنسابهم ، ومشهور ماثرهم وأحسابهم ، ومستحسن أخبارهم ،
ومبلغ أعمارهم ، وتاريخ وفاتهم ، وبيان حالاتهم ، وما حفظ فيهم
من الألفاظ عن أسلاف أئمتنا الحفاظ من ثناء ومدح ^(١) . . «

هذا الوصف مقتضب يحتاج إلى التفصيل والتدقيق . وهذا ما سنعمد
إليه معتذرين إلى القارئ عن اضطرارنا إلى إغفال التوسع وكثرة السرد
والشواهد ، نقادياً من إحداث الملل وإيراد ما يُثقل البحث إيراداً .
ووصفنا الآتي هو للنسخة المطبوعة ، على نقص فيها عن الأصل ،
لا ندرى مقداره على الضبط ^(٢) .

عدد التراجم ومتوسط سعتها

صفة الكتاب الأولى كثرة التراجم الواردة فيه ، فقد ترجم فيه
لنحو (٧٨٣٠) عالماً . كل ذلك في أربعة عشر مجلداً تقع في نحو
(٦٠٠٠) صفحة ، مما يشير إلى أن متوسط التراجم لا يبلغ ثلثي
الصفحة . وهو أمر يدعو إلى الأسف ، فالتاريخ يصبح بذلك

(١) تاريخ بغداد ١ : ٢١٢ — ٢١٣

(٢) ذكر بروكن في ذيله ١ : ٥٦٣ نقلاً عن ريتز (Isl. XX, 85) إن النقص
في تراجم المحمدين في النسخة المطبوعة يبلغ (٣٠٠) ترجمة . وقد لاحظنا حين
البحث عن مصادر تراجم مشايخ الخطيب البغدادي أن عدة منهم لم يترجموا فيه .

شذرات لا نغني ، وتعداداً يقصد منه كثرة المترجمين ، لا استيفاء أخبارهم ، لا سيما وأسانيد المؤلف في رواية أخبار المترجمين تستغرق من التراجم ما يقرب من ثلثها .

على أن هذا الأسف يقصر حبله إذا عرفنا أن المصنف لم يلتزم الاختصار في كتابه التزاماً دائماً ، فقد عددنا له (٣٧٩) ترجمة (سوى تراجم الصحابة) تتعدى كل واحدة منها صفحتين على الأقل ، وعددنا ما استوعبته من الكتاب ، فبلغ نحو أربعة مجلدات ، وحساب متوسط الواحدة منها نحو أكثر من خمس صفحات .

نسبة الاختصاص في التراجم

وعندنا أن التاريخ الحق هو في هذه التراجم التي عددناها . أما سواها فخصر وتعداد ، وحكم سريع ووصف مقتضب ، وإن لم تخل من الفائدة بل ولو شحنت بالفوائد .

أجرينا حساباً حصرياً تناسبياً على هذه التراجم لنتبين منها جهة الاستقصاء في الكتاب ونوع الأخبار والتراجم الواردة فيه . فشرعنا نوزع هذه التراجم على نوع الفن الذي اشتهر به أصحابها ، حتى بلغنا بجهد عظيم أوائل الجزء السابع من الكتاب ، فوجدنا النسبة لا تتغير كثيراً خلال الأجزاء ، فوقفنا عند آخر الجزء السادس . وهالك ما انتهى إليه إحصاؤنا وتوزيعنا لما يقرب من خمسة أجزاء ونصف :

عدد الصفحات المخصصة لهم	عدد تراجمهم	صفة المترجمين
٢٩٧	٥٦	المحدثون
٧٥	١٠	القضاة
٦١	١٢	الخلفاء وأرباب الحكم
٥٣	٤	الإخباريون
٤٧	١١	الزهاد والمتصوفون
٣٤	٥	الفقهاء
٢٩	٧	الأدباء
١٩	٣	الكتاب
١٣	٣	القراء
٨	٢	المتكلمون
٨	٢	الندماء والمغنون
٧	٢	الشعراء
٦	١	المفسرون
٦٥٧	١١٨	

ويرى من هذا الإحصاء أن الخطيب خصّ المحدثين بقريب من نصف ما خصّ به كبار المترجمين ، وخصّ علماء الدين الآخرين بأكثر من ربعه . أما الربع الأخير فهو يكاد يقسم إلى ثلاثة أقسام

متساوية يتوزعها أهل الأدب والايخباريون وأرباب الحكم .
وفي هذا الإحصاء رمز صريح إلى مادة الكتاب وموضوعه ،
يميز لنا أن ندعي أن تاريخ بغداد هو قبل كل شيء تاريخ محدثيها .
وأنه بالجملة تاريخ علماء الدين فيها . أما سواهم فلمهم فيه مكان لا يعادل
أهميتهم وأثرهم .

إحصاء الكتب المقرؤة في التاريخ

وهذه النتيجة ليست بعيدة عما يؤخذ من توزيع مواد كتب
التاريخ التي ورد بها الخطيب دمشق ، وتلقاها بالسمع من مشايخه ،
وهاك مجمل توزيعها :

عدد الكتب نوع المادة

٧١	تاريخ رجال الحديث ونقدم : ٤١ للرجال ، ٦ للشيوخ ، ٦ للضعفاء ، ١٠ لأسماء الرواة ، ٨ للبلدان
٨	تاريخ رجال الدين الآخرين : ٢ للقضاة ، ٦ للمتصوفة
١١	تاريخ أهل الأدب : ١٠ للشعراء ، ١ للأدباء
٢٢	تاريخ أرباب الحكم
٣٦	التواريخ الأخرى : تاريخ قبل الإسلام (٧) والرسالة
	(١٢) والصحابة (٧) والأنساب (٦) والملاحم والفتن (٤)

ويظهر فيها بوضوح أن عدد كتب تاريخ الحديث التي تلقاها يقارب النصف ، وأنه لم يسمع من تاريخ أرباب الحكم والأدب إلا أقل من ثلث ما رواه من الكتب .

أصل التاريخ للمحدثين

وبعدُ فالخطيب قصد عمداً أن يجعل تاريخه مورداً لأهل الحديث يجدون فيه أخبار أصحابهم ، فجمع من الكتب ما يسعفه بذلك ، وخصص أكبر قسم من كتابه للمحدثين ولعلماء الدين ، وعلماء الدين لا بد أن يعنوا بالحديث . وهو في هذا لا يبدع الجديد أو يخالف القديم . فالمحدثون قبله قصدوا ما قصده في تواريخهم للبلدان . وهو قد روى من مصنفاتهم في ذلك سبعة تواريخ ، وجدنا تعدادها في تسمية الكتب التي ورد بها دمشق^(١) . وما كثرة التراجم المقتضبة التي أوردتها وأخرجناها من مفهوم التاريخ الحق إلا فرع من نظرة المحدثين للتاريخ .

فمعرفة أخبار المحدثين ولو بالشيء القليل ، أمر لا بد منه لطالب الحديث حتى يتبين حال من يروي عنهم ، وينقل الأحاديث بأسناد

(١) هي تاريخ أسفهان (رقم ٣٤٣) وتاريخ الجزيرين (رقم ٣٤٥) وتاريخ الحمصين (رقم ٣٤٦) وتاريخ الرقة (رقم ٣٥٢) وتاريخ المواصلة (٣٥٩) وتاريخ هراة (٣٦١) وطبقات أهل همدان (٤٠١)

تدرج فيها أسمائهم . وأول من يجب أن يروي عنهم أهل بلده أو من أمّوه . وقد روى الخطيب في أول تاريخه ^(١) ما بوّيد ذلك عن أبي الفضل صالح بن أحمد بن محمد التميمي المافظ حيث قال : « ينبغي لطالب الحديث ومن عني به أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله وتفهمه وضبطه ، حتى يعلم صحيحه وسقيمه ، ويعرف أهل التحديث وأحوالهم معرفةً تامةً ، إذا كان في بلده علم وعلماء قديماً وحديثاً ، ثم يشتغل بعد بحديث البلدان والرحلة فيه » .

والخطيب ينبهنا إلى أنه قصد بتاريخه أن يورد بالاستقصاء محدثي بلدهم ، فهو يعتذر ^(٢) عن عدم ذكر من لم يصحّ عنده روايته في بغداد ، وقد وردوها ولم يستوطنوها ، فيقول :

« ولم أذكر من محدثي الغرباء الذين قدموا مدينة السلام ولم يستوطنوها سوى من صحّ عندي أنه روى العلم بها ، فأما من وردوها ولم يحدث بها ، فأني اطرح ذكره ، وأهملت أمره ، لكثرة أسمائهم وتعذر إحصائهم غير نفر يسير عددهم ، عظيم عند أهل العلم محلهم ، ثبت عندي ورودهم مدينتنا ، ولم أتحقق تحديثهم بها .

(١) تاريخ بغداد ١ : ٢١٤

(٢) تاريخ بغداد ١ : ٢١٣

إجاده لفهم تاريخ المحدثين

ولا ريب أن الخطيب أجاد فهم تاريخ المحدثين كل الإجادة ،
بل وصل في ذلك إلى الذروة . وحق أنه لم يأت مجديداً في فهمه له ،
وأنه اتبع فيه أسلوب السابقين . لكنه أتقن الفهم وأحسن التطبيق ،
فأتى بما أصبح قدوة للخالفين .

استيفاءه لتراجم محدثي بغداد

وتاريخ بغداد مستوفٍ لتراجم المحدثين البغداديين أو الذين أموا
بغداد استقصاءً تاماً في كثرة عددهم أولاً ، وفي سعة تراجمهم ثانياً .
يبلغ عدد المحدثين الذين ترجم لهم حوالي خمسة آلاف شخص ،
ومعظم التراجم الصغيرة التي لم نعرها التفاتة في حصرنا السابق هي
لرجال الحديث . ولنوزّع الآن هذا العدد الضخم على عشرة أجيال
من الرجال توالى في مدينة بغداد منذ تأسيسها حتى عصر المؤلف ،
أي في زمن يبلغ ثلاثمائة عام ، نجد أن لكل جيل خمسمائة محدث
وردت تراجمهم في الكتاب . وبعد فهمها كان اتساع العلم وحلقاته
عظيماً ، فلا يزيد عدد أصحاب النباهة والأثر من المحدثين في بلدة ما
على خمسمائة نفر ، يعيشون في جيل واحد . فالخطيب مستقصٍ إذن
لتراجم المحدثين . وإذا حدث ولم نعثر في تاريخه المطبوع على ترجمة

محدث نبيه من البغداديين ، فذلك يعني أن الترجمة سقطت من
النسخة المطبوعة لأنها فاتت المؤلف .

استيفاءه لأخبار المحدثين

والمؤلف مستوفٍ أيضاً لأهم أخبار المحدثين ، أدرك شأن كل
واحدٍ منهم ، نخصه بما يستحقه ، وأورد فيه أحسن أخباره وأصدقها
تعريفاً به . وما تركه منها مما يعرفه أكثر مما أورده ، على أن
ما أورده منها كافٍ وافٍ .

وشأنه في كل ذلك الاطلاع الواسع وحسن الانتقاء ، وهما
صفتان ملازمتان للمورخ المجود .

حسن ترتيبه واتساقه

وقد أضاف إليهما الخطيب مزيةً ثالثةً لها شأن كبير ، وهي حسن
العرض والترتيب ، ولعل اتصافه بهذه المزية أسعفه كثيراً بالصفتين
الأوليتين . فالترجمة عنده تتألف من أقسام لا بد منها ، إذا قصدت
استيفاء حال المترجم ، وهذه الأقسام مرتبةً ترتيباً متسقاً ، لا يغيره
المؤلف ، ولا يرضى عنه بديلاً .

أقسام الترجمة

بمبتدئ باسم المحدث بالتفصيل ، ثم يصفه بعبارة من عنده أحكم

تركيبها ، فصورّت لنا غاية أمر المحدث في معرفته والنساع أفق علمه ومكانته . ثم ينتقل إلى رحلته في طلب الحديث وذكر كبار المشايخ الذين أخذ عنهم ، وكبار من نقلوا عنه . وبذلك يكون قد أجمل حال المترجم إجمالاً عاماً . ومن ثم يعرض للنسبه وبلده ونشأته وهياته ، ويصفه في علمه بأخبار ينقلها عن معاصريه . ثم يورد من حوادث حياته أخباراً تكثّر ونقل تبعاً لمكانته وعظم شأنه . وبها تتضح صورته وحياته وصفاته ، حتى إذا انتهى من ذلك عرض لنا أقوال الناقدين أو المقرّضين له ، وكأن ذلك خلاصة نتصور بها أمر الرجل ، وهي صورة يجب أن تستقرّ في ذهننا عنه . ولا يعبأ المؤلف فيها بما يشيره التكرار أو التطويل أو التعداد ، لأنها بيت القصيد في الترجمة ، حتى إذا فرغ منها أشرفت مهمته في الترجمة على الانتهاء ، ولم يعد عليه إلا أن يسدل الستار عليها بذكر وفاة المترجم وتحديد زمنها وكيفية حدوثها ومكان وقوعها ، وقد يقودنا إلى مكان دفن المترجم لنودّعه وداعاً أخيراً . وقد يذكر لنا ما روّئ عنه من منامات تعطينا فكرة المعاصرين وما يتخيلونه عنه .

فأقسام الترجمة بالترتيب هي :

١ - إجمال أمر المترجم

٢ - حياته ووصفه

٣ — أقوال الناقدين فيه

٤ — وفاته

وليس حتماً عليه أن يدرج هذه الأقسام الأربعة دون أن يغفل أحدها ، ولكن ما لا بد منه له هو أن لا يخالف ترتيبها وتتابعها ، فإذا أهمل أحدها فلا أنه لم يجد مهماً بقوله فيه ، دون أن يخرج الكتاب عن حدّ التوسع الذي رسمه له .

الأحاديث الواردة في التراجم

ولما كان الكتاب تاريخاً للمحدثين كان للحديث فيه مكانه . ولكن الخطيب لم يشأ أن يباهي بكثرة روايته له فيه بإيراده أحاديث متصلة السند بالمترجم في كل تراجم الكتاب ، إنما يروي الحديث بعد إجمال أمر المترجم ، إذا كان له صفة خاصة ، تجعل إيراده موضعاً لحال المترجم ، إما في الدلالة على طبقة أو اسمه أو سنده أو قوته في أحاديثه أو غير ذلك .

دقة الأسلوب

وبتضح مما تقدم أن للكتاب أسلوباً تاريخياً صحيحاً لا غبار عليه ، يدل على حال المترجمين دلالة كافية ، حين يستوفي المؤلف أجزاءه ، وهو يستوفى فيمن يروي فيه وجوب الاستيفاء . ومما

يزيدنا إعجاباً بهذا الأسلوب أنه دقيق غاية الدقة ، بعيد عما نشكو منه في كتب الأدب والتاريخ العربية : من أن صورتين من الخبر الواحد متقاربتين قد تردان مفصولتين بصور أخرى ، تنهك القارئ والباحث وتشتت أفكارهما . فالخطيب لا يفعل ذلك ، بل يدرج الأخبار المتقاربة بمكان واحد تتابع فيه ، فلا ينفصل بعضها عن بعض ، ولو اضطره ذلك إلى اقتطاعها من النص الأصلي الكامل التي تكون قطعة متماسكة به . ولا جرم أن ذلك يقتضي من المؤلف جهداً عظيماً ومعرفةً كبيرةً ، يتوقف عليها عدم تشويه النص أو إيراد ناقصاً غير واضح حين اقتطاعه من أصله .

فن الترجمة عند الخطيب

وقد يخيل للمرء الذي لا يسبر غور الترجمة أن الخطيب لا يتكلف أكثر من أن يتخذ مقصاً يقصُّ به كل خبر يعجبه ، فيلحقه بها . ولعمري لأن كان عمل المؤرخ ذلك فأسهل به من عمل . وهو ولا شك كان عمل المؤرخين المسلمين المتأخرين ، حتى شحنت توارثهم بالمتناقضات ، بل بالتوافه من الأخبار .

أما الخطيب فأمره غير ذلك : كان عمله شاقاً محكماً بإشاره بتبصر وتفكير ، فالترجمة عنده فنٌ دقيق متعب ، يقتضي الذوق والعلم والفهم ، لا سيما وهو يعتمد أن تخرج واضحةً جليةً ولو أنه يقتصر

على نقل أقوال غيره دون شرحها أو تغييرها أو الزيادة عليها ، ولو أنه يتقيد برواية السند الذي رَوَى به أخبارها ، يكرره كل ماروى قطعةً منه مهما صغرت . وبالرغم من أنه اقتصر عمداً على نقل أقوال غيره ، فنفسه تشع خلالها بما يرتضي من نقلها ، وعقله يبرز فيها بما يعتمد منه من إيرادها للكشف عن حال المترجم ، وذوقه يحل فيها محلاً عظيماً بحسن تنسيقها ، ومجموعةً منه تبدو فيها بالصورة التي تعطيها مجموعة الترجمة للقارئ المفكر الذي يجهد نفسه في النظر فيها إجهاد المؤلف في وضعها .

أمثلة على إتيانه للتراجم

لقد أتقن الخطيب تاريخه ، فأخرج لكبار المحدثين صورةً منسقةً واضحةً ، قوية البناء ، متراسة الأجزاء ، متصلة الحلقات تامة .
اقرأ ترجمته للبخاري^(١) والواقدي^(٢) وأحمد بن حنبل^(٣) وأبي بكر الآجري^(٤) وإسماعيل بن عُلَيب^(٥) وأبي زرعة الرازي^(٦) وعلي بن عاصم

(١) تاريخ بغداد ٢ : ٤ — ٣٤

(٢) التاريخ ٣ : ٣ — ٢١

(٣) التاريخ ٤ : ٤١٢ — ٤٢٣

(٤) التاريخ ٥ : ٢٢٠ — ٢٤١

(٥) التاريخ ٦ : ٢٢٩ — ٢٤٠

(٦) التاريخ ١٠ : ٣٢٦ — ٣٣٧

الصدبقي^(١) وعلي بن عبد الله المديني^(٢) والفضل بن دكين^(٣) والقاسم بن سلام^(٤) وو كيع بن الجراح^(٥) تجد مصداق ما أقول . بل اقرأ غيرها دون أن تنفك عن التمعن ، تر أن التاريخ عند المحدثين وصل مع الخطيب إلى درجة الفن المتقن والعلم المتين^(٦) .

رأي مؤرخي الإسلام بدقة مادة الكتاب

وقد أدرك المحدثون والمؤرخون المتقدمون هذه الحقيقة ، فطفقوا يناقشون الخطيب الحساب عن كل خبر ينقله ، مما لا يستحسنونه أو لا يوافق نزعاتهم ، بل يكيلون له كيلاً جزافاً لخبر يغفله ، مما يرون أنه يزيد في تصوير حال المترجم ؛ ثم يتناولونه بالسنتهم لأنه يستعمل لفظة دون لفظة أخرى . يفعلون كل ذلك اعتقاداً منهم أن الخطيب مسؤول عن كل ما أورده ، ومتعمد ذكر كل ما دونه ، فكأنه مصورٌ ينتقد بكل جزء من أجزاء صورته ، ولا يعذر لأن

(١) التاريخ ١١ : ٤٤٦ — ٤٥٨

(٢) التاريخ ١١ : ٤٥٨ — ٤٧٣

(٣) التاريخ ١٢ : ٣٤٦ — ٣٥٧

(٤) التاريخ ١٢ : ٤٠٣ — ٤١٦

(٥) التاريخ ١٣ : ٤٩٦ — ٥١٢

(٦) ولا تستهجن توسع الخطيب في بعض التراجم حين تجريح المترجم أو تعديله وقصوره فيما سوى ذلك حيناً ، ففاية الكتاب الأساسية هي شرح حال المحدثين في صدقهم أو كذبهم .

رأسته اضطربت في بقعة صغيرة منها ، فظهر أثر اضطرابها فيها .
وسرى انتقاد هؤلاء المنتقدين حين البحث عن وصف الخطيب في
علمه . وواجب أن نقول منذ الآن أن شأنهم في ذلك ، على كل
حال ، يدل على أن تاريخ بغداد بلغ من الإثقان بحيث كانت ألفاظه
محطاً للطعن والتتبع ، وقد سلم ما هو أعظم منها من النقد فيه .

المقياس الأولي للتراجمة عامة

هذا وصف تاريخ بغداد في تراجم المحدثين ؛ وتراجم المحدثين
أقوى شيء في الكتاب ؛ حتى إذا انتقلنا إلى وصفه في غير هذه
التراجم ، لاحظنا بادي ذي بدء أن حسن الترجمة وغزارة مادتها
وسلامة أسلوبها تشدد تبعاً لعلاقة المترجم بعلم الحديث ؛ يستوي في
تلك العلاقة حب المترجم للحديث أو بغضه له . وهذا مقياس أولي
صديق ، يستطيع طالب الاستفادة من تاريخ بغداد أن يتخذه دليلاً
له في الرجوع إليه ، يستدل به بالتقريب على درجة اعتناء الخطيب
بترجمة علم يود أن يعرفه منه .

علماء الدين

وبما أن علماء الدين من غير المحدثين يتخذون الحديث أصلاً
ينتفعون به ، ويقبلون عليه ، فقد أفرد الخطيب لهم مكاناً واسعاً

رجباً في تاريخه ، شغل معظمه في أخبار تعلقهم بالحديث ومعرفتهم له
وتعديلهم أو جرحهم به .

خصوم أهل الحديث

وأثر تقيده بتاريخ الحديث يظهر أيضاً في كثرة نقله لأخبار
خصومه^(١) ، أي المعتزلة وأهل الرأي ، إما تبكيتاً لهم^(٢) أو إظهاراً
لشأنهم حتى يعرفوا فلا يروى^(٣) عنهم . وهو متشدد عليهم ، جامع
لمساوئهم ، ولو أنه لا يقتصر على رواية أخبار السوء فيهم ، بل
يجزل لهم المديح في بعض ما أحسنوا فيه^(٤) .

الزهاد والمتعبدون

وأياً كان من حرص المؤلف على التقييد بما يتعلق بالحديث ، فهو
يميل إلى طرائف الأخبار وجمالها ، مما تستفاد منه الحكمة أو الموعظة
فيسرد ذلك ، ولا يعبأ بالتوسع فيه . وعلينا ألا نعجب إذن حين
نجدّه يتوسع في تراجم المتصوفة والعباد والزهاد^(٥) ، فهو يرى في خلال

(١) انظر الفصلين المختصين بوصف الخطيب في علمه وبوصفه في مذهبه

(٢) كما فعل في ترجمة أبي حنيفة ١٣ : ٣٢٣ — ٤٥٤

(٣) انظر ترجمته لبشر المريسي ٧ : ٥٦ — ٦٧

(٤) انظر ترجمته لعمر بن عبيد المعتزلي ١٢ : ١٦٦ — ١٨٨

(٥) انظر ترجمته لبشر الحافي ٧ : ٦٧ — ٨٠ ولأبي إسحاق الخواص

٦ : ٧ — ١٠ ولابن عطاء ٥ : ٢٦ — ٣٠

ذلك حكماً ومواعظ تترى ؛ وهو يعتقد أن أخبارهم تدفع إلى التقى والورع والتعفف . وقد يورد من ذلك ما يأباه العقل ولا يتصوره الحس المجرد .

أرباب الحكم

وإذا خرجنا عن نطاق ما له علاقة وشيجة بالحديث ، رأينا المؤلف يقتصر على ما لا بدَّ له من إيراد ترجمتهم من أصحاب مكانة لا يغتفر له بوجه من الوجوه إهمالهم : كالأخفاء يورد تراجمهم جميعاً ببعض التوسع ، وككبار رجال الحكم لا يترجم إلا لمن عظمت شهرته ، وكبير أثره منهم ؛ وهو في تراجمهم محسن منصف ، لا يتقرب بالمديح ، ولا يخشى الحق .

الأدباء والشعراء

وللأدباء والشعراء في تاريخه أخبار حسنة وأشعار طريفة . وهو يدري أن الكتاب يظرف بأحاديثهم ، ويستلطف بحكاياتهم ، فيوردها ولو أنها لا تزيد في وضوح صورتهم وترجمتهم ؛ وشأنه في انتقاء أخبارهم الإتيان بما يندُر ويستحسن^(١) . وإذا وجد في أخبارهم سبيلاً إلى الحكمة أو الموعظة سلكه وأكثر منه^(٢) .

(١) انظر ترجمته للأصمعي ١٠ : ٤١٠ — ٤٢٠

(٢) كما فعل في ترجمته لأبي نواس ٧ : ٤٣٦ — ٤٤٩

لا فلاسفة وحكماء

ولا نثعب نفسك بالبحث فيه عن تراجم الفلاسفة وأصحاب علوم الأوائل ، فالمؤلف لم يعنَ بهم لا قليلاً ولا كثيراً . وكأنهم لا شأن لديهم في تاريخ بغداد . وليس ذلك غريباً من متدين متقيد بالدين .

أُسلوب تراجم غير المحدثين

أما أُسلوب الكتاب في عرضه لتراجم غير المحدثين ، فمستفاد من نهجه في المحدثين ، يتقيد به فلا يخرج عنه : يرتب الترجمة على الأقسام الأربعة التي رأيناها . وهو عرض لها غير واف ، لأنه لا يحيط إلا بشأن يسيرٍ من أمر المترجمين ، ويدع غالب أمرهم دون ترتيبٍ ونهجٍ سوي . وذلك أن الأقسام الأربعة وإن أصابت في الإحاطة بأجزاء ترجمة المحدثين ، فهي لا تلائم تراجم غيرهم . ولئن كان ضبط حال غير المحدثين في أسمائهم وأقوال الناقدين فيهم ووفاتهم أمر مفيد ، فما هو إلا قطعة صغيرة من حالهم . وقد اضطرَّ الخطيب إلى أن يجمع ما سوى ذلك في قسم واحد من أقسامه الأربعة ، وهو حياتهم ووصفهم ، فأتى هذا القسم وافراً واسعاً ، ولم يستطع المؤلف له ضبطاً وحصرأ ، فخرج مضطرباً . على أن من الحق القول بأن من

تخصصوا بالتراجم العامة أو الخاصة من المسلمين لم يبدعوا أسلوباً يفوق
أسلوب الخطيب .

سبب التقصير في تراجم غير المحدثين

هذا وصف تاريخ بغداد إجمالاً ؛ وهو يشير إلى إتيان الخطيب
ومزيد عنايته بالحديث . أما في غير الحديث فلا إتيان يصبح حيناً
إحساناً ، وحيناً آخر نقصيراً . ويحق لنا أن نعجب من ذلك ، فقد
عهدنا الخطيب أدبياً مشاركاً في ثقافته ، أخذ حظاً وافراً من مجموعة
العلوم ، فلا يتوقع منه التقصير . غير أن الذنب ليس ذنبه ، فما هو
إلا متبع غير مبتدع . وغاية أمره إتيان الأسلوب الذي تلقى . وقد
تلقى التاريخ عن المحدثين ، فأحسن معرفة أخبارهم ، وأتقن أسلوب
عرضهم ، ولم يتلقه كثيراً عن غيرهم ، فتمتدح عليه إلا كثر من غير
تراجم المحدثين ، والإتيان في صياغة ذلك وعرضه .

مقارنته بكتب التراجم الخاصة قبله

على أنه لم ين في هذا الأمر ، بل سعى سعيه . ومهما قيل عن قلة
مواد تراجم غير المحدثين ، فهي مشحونة بالفوائد . أحسن المؤلف
اختيارها ، وضمنها ، ما لم يتضمنه كتاب آخر ، فصارت مرجعاً
للباحثين ، لا يغني عنه مغن . ومهما قيل في اضطراب أسلوبها ، فهو

أسلم من أكثر ما كتب في التراجم العامة . ويجمل القول في ذلك أن
التقصير لا يبدو حين القياس بين ما أثبتته هو وأدرجه من سبقه من
أصحاب التراجم العامة . فإذا قسنا ما أورده في تراجم الشافعية مثلاً
بما نقله أبو إسحاق الشيرازي في طبقاتهم^(١) لم نشعر بالتقصير ، وكذلك
الأمر في مقايسته بأخبار النحاة للسيرافي ، وبالخليفة لأبي نعيم وبغيرها
من الكتب التي ليس له أن يتوسع توسعها ، فهو إذن بالجملة مجيد
بالنسبة إلى عصره ، متقن لما عرفه واقتفى أثره .

مادة تاريخ بغداد الأولى متوفرة فيه

وبعد فمن حقنا أن نتساءل عما هو نصيب تاريخ بغداد من هذا
الكتاب ، وهل يعدُّ ما كتبه الخطيب عنه وافيًا ؟ يخيل إلي أن
تاريخ العلوم الإسلامية في بغداد وأعلام هذا التاريخ متوفرة فيه
بأصولها الأولى ، وأن من يريد أن يستخرج منه أحوالها ، يجدها
فيه مستوفاة استيفاءً يمثلها تمثيلاً واضحاً ، بل يستطيع أن يستخرج منه
ما يتصور به حال هذه العلوم بشكل عام .

تاريخ بغداد نصر لأهل الحديث

وإذن فليس الاسم الذي أطلقه المؤلف على كتابه مبالغاً فيه ،

فتاريخ بغداد بنصومه الأصلية متحقق فيه كل التحقق . ولكن المبالغة هي في جعل تاريخ المحدثين أصلاً يقدم التفصيل عنه والاستقصاء له على سواه من الفروع ، بحيث تصبح هذه الفروع جزئية لا أصلية . وهذا الأمر مقصود في الكتاب ، اتخذ المؤلف هدفاً جرساً إليه وتعلق به . أراد بذلك أن يجعل أهل الحديث أصحاب الأمر في علوم الإسلام ، وأخبارهم أهم ما يدون ويقرأ فيها .

ولأرب أنه اتخذ تاريخه سبيلاً إلى مناصرة أهل الحديث وتأييد مذهبهم بل تقديمه . وقد أفلح في ذلك فلاحاً كبيراً . ولعله أسدى إليهم بالتاريخ خير خدمة . والنصر دوماً للسابقين وأصحاب الهمة . وأهل الحديث ممن يرتأي رأي الخطيب قد سجلوا لأنفسهم ظفراً كبيراً بهذا التاريخ الذي اقتصرت عليه بغداد ، ولم تُخرج له مثيلاً . والخطيب قد طبع أخبار بغداد بالطابع الذي أراد . وقد مضى دهر عظيم عليها ، وهو مورد الباحثين عنها ، ولن يستطيعوا أن يتصوروها بما يخالفه أو يتفوق عليه إلا بعد دهر أميد^(١)

(١) لم نستطع في هذا الفصل أن نذكر كل ما له علاقة بتاريخ بغداد بل اضطررنا بحكم النهج الذي اتبعناه إلى أن نوزع البحث عنه في فصول أخرى أهمها : صفة الخطيب في علمه . ولا يستوفي القارئ صورة تاريخ بغداد إلا بعد أن يتم الكتاب ويقرأ خاتمة المطاف منه فهناك يجد أمره مسدداً .

تاريخ دمشق على نسق تاريخ بغداد

امتدَّ أثر تاريخ بغداد إلى دمشق ، فطبع تاريخها بطابعه . وهذا علي بن الحسن بن عساكر يضع لها تاريخاً حافلاً عظيماً يسير فيه « على نسق تاريخ بغداد » كما يقول ابن خلكان ^(١) . ولا عبرة في هذا التفوق تاريخ دمشق في المادة على تاريخ بغداد ؛ فلا تثنان قد ذكرنا أهم أخبار بلديهما . ولئن توسع ابن عساكر أكثر من الخطيب في التراجم ، فذلك شأن آخر ، وإن كان شأننا معظماً .

ومقابلة بسيطة بين التاريخين تطلعنا على أن تفوق ابن عساكر على الخطيب في غزارة المادة لا يعني أنه أتقن تدوين أهم حوادث تاريخ دمشق أكثر مما أتقن الخطيب لهمم حوادث بغداد .

نفوق تاريخ دمشق بغزارة المادة لا بكثرة التراجم

عددت في ابن عساكر حوالي (٨٠٠٠) ترجمة بالتقريب ، وردت في نسخة دار الكتب الظاهرية ، وهي نسخة تكاد تكون كاملة . وهذا العدد من التراجم معادل بالتقريب لعدد التراجم في الخطيب . على أن ما عدده من المجلدات من تاريخ ابن عساكر يعادل بالحجم ثمانين مجلداً من مجلدات تاريخ بغداد المطبوع . فيكون الأول (١) وفيات الأعيان ١ : ٣٣٥ وقرأ تحديد ابن عساكر لمادة تاريخه في

أكبر من الآخر بنحو ست مرات ، يعني ذلك أن ابن عساكر لم يزد على عدد تراجم الخطيب إنما زاد على مادة كل ترجمة ، بحيث كان متوسط كل ترجمة فيه ستة أضعاف متوسط الترجمة في الخطيب ، ولا عجب بعد ذلك أن يرضي ابن عساكر الباحثين أكثر من الخطيب ، فهم يجدون فيه مادة أغزر .

ابن عساكر لا يترجم لعدد من غير المحدثين أكثر من الخطيب

أما أن يكون ابن عساكر قد ذكر عدداً من الأدباء والشعراء وأرباب الحكم أكثر مما ذكره الخطيب ، فذلك وهم ناجم من غزارة مادته فيهم ، لا من كثرتهم . ونسبة عددهم إلى عدد المحدثين لا يختلف كثيراً عن النسبة نفسها في تاريخ بغداد . تبين لي ذلك بعد حسابات ابتدائية أجريتها .

وقد يرتاب مرتاب بما أقوله . ولئن فعل ، إني إذن أزبل ربيبه ، فأذكر له أن ياقوتاً في معجم الأدباء — وهو الكتاب الذي جمع أخبار الأدباء والشعراء — استشهد بالخطيب مرات تعادل ضعف ما استشهد بابن عساكر^(١) . وكان حرياً به أن يستشهد بهذا أكثر ، لو كان للأدباء فيه محل نسبته أكثر منها في تاريخ بغداد ، أو شأن أعظم .

الاثنان بتقاربان في ذكر أهم الأخبار

ألا إن الاثنين يوفيان مهمَّ أخبار بلديهما حقهما ، ولا يتفوق ابن عساكر بذلك على الخطيب . وقد يظن أن قولي هذا ضرب من المجازفة أو المغالاة أو الشطط . ولكن هذا المظن يزول ، ويحل العجب محله ، حين استشهد بـابن خلكان . فقد جمع ابن خلكان خلاصة أخبار الأمة الإسلامية وأهمها ، فالاستشهاد به رجوع إلى الشقة . إذا رجعنا إليه ، وجدناه في وفياته ينقل عن تاريخ الخطيب وينسب نقله إليه في (٦٦) محلاً ، ولا ينقل عن ابن عساكر وينسب إليه نقله إلا في (٢٩) محلاً^(١) . وفي هذا بيان .

التفصيل بينهما

إذا علمنا ذلك وأردنا أن نعطي كلاً من التاريخين حقه ، قلنا إن ابن عساكر يفصل الأخبار ذات الأهمية الثانوية أكثر ، فيتفوق بذلك على الخطيب . على أن هذا الأخير يثار لنفسه في إتقانه

(١) انظر الفهرس العام لطبعة وستنفلد . وما أقوله في المقارنة بين التاريخين بخالف المعروف المشهور . وقد قال الحسين بن عبد الله بن رواحة يرثي ابن عساكر (إرشاد الأديب ١٠ : ٥٣)

وأكمل تاريخاً جلق جامعاً
لمن حلها من كل شهم وكامل
فأزرى بتاريخ الخطيب وقد غدا
بخطبته في الكتب أخطب قائل

لأُسلوب العرض أكثر من صاحبه . فقد شاهدته يُتقيد بترتيب
الأخبار وجمعها في نسق موحد لا يخرج عليه أكثر مما يفعل ابن
عساكر . ومن يتتبع تاريخ دمشق ، يجد المؤلف لا يتقيد دوماً
بجمع الأخبار المتشابهة أو المتماثلة بعضها إلى جانب بعض ، بل يشط
به القلم ما لا يشط بالخطيب وأياً كان فالأخبار بالاجمال يستفيد
من ابن عساكر أكثر مما يستفيد من الخطيب . وللاثنين فضل عليه
لا يقدر .

السبكي وتاريخ بغداد

ومن المستحسن أن نسمع رأي تاج الدين السبكي بمقارنة تاريخ
بغداد بأعز التواريخ عنده ، وهو تاريخ نيسابور قال ^(١) :

« وقد كانت نيسابور من أجل البلاد وأعظمها ، لم يكن بعد
بغداد مثلها . وقد عمل لها الحافظ أبو عبد الله الحاكم تاريخاً ، تخضع
له جهابذة الحفاظ ، وهو عندي سيد التواريخ . وتاريخ الخطيب ،
وإن كان أيضاً من محاسن الكتب الإسلامية ، إلا أن صاحبه طال
عليه الأمر . وذلك لأن بغداد ، وإن كانت في الوجود بعد
نيسابور ، إلا أن علماءها أقدم ، لأنها كانت دار علم وبيت رئاسة

قبل أن ترتفع نيسابور . ثم إن الحاكم قبل الخطيب بدهر ، والخطيب جاء بعده ، فلم يأت إلا وقد دخل بغداد ممن لا يحصى عدداً ، فاحتاج إلى نوع من الاختصار في تراجمهم . وأما الحاكم فأكثر من يذكره من شيوخه أو شيوخ شيوخه أو ممن تقارب من دهره ، لتقديم الحاكم وتأخر علماء نيسابور ، فلما قلَّ العدد عنده ، كثر في المقال ، وأطال في التراجم واستوفاه . والخطيب واضح العذر الذي أبديناه . «

ابن خلكان وتاريخ بغداد

وبعدُ فالتفضيل بين الأشياء أمر شديداً يختلف الناس فيه ، وهو تابع لميل النفس وحاجة العقل . وبحسب تاريخ بغداد أن يكون ابن خلكان قد استشهد به في وفيات الأعيان أكثر من أي كتاب آخر اتخذ مرجعاً^(١) . وهذا يشير إلى فضل فيه يرفع من شأنه إلى درجة عيون الكتب الفريدة .

(١) راجع الفهرس العام له في طبعة وستنفلد تر تحقيق ذلك .

الآخذون عن الخطيب

وخلاصة القول في أثره

مزاياه في التعليم

اجتمع في أبي بكر من المزايا ما هو حقيق بأن يجعل أهل العلم يحدقون به للآخذ عنه وللإفادة منه . فقد كان حسن الإلقاء والقراءة . وذلك أول ما يجب المبتدئ بالشيخ ، ويرفع من قيمته عنده . وكان متواضعاً محباً للعلم وأهله ، مما يزيد المتفنين حوله حباً به . وكان صاحب جرأة في رأيه وتحمس لمذهبه ، مما يبعث بتلاميذه إلى الشغف به والتحمس له ، وبالناس إلى التقاط أقواله والشروع بإذاعتها ، وإذا أضفنا إلى كل هذا سعة اطلاعه ، وحسن تصانيفه ، وانقطاعه للعلم ، أدر كنا المعنى الذي قصده السمعاني ، حيث قال : « كان إمام عصره بلا مدافعة^(١) » . وفهمنا الغاية التي رمى إليها أبو الفداء بقوله : « كان إمام الدنيا بزمانه^(٢) » .

(١) الانساب ٢٠٣

(٢) تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٨٧

كثرة طلابه

الحق إننا قلَّ أن نجد ترجمةً لأحد من أهل الطبقة التي أنت بعده إلا وفيها : سمع من الخطيب أو أخذ عنه أو قرأ عليه . ومع أن أبا بكر رحل في طلب العلم رحلاته الواسعة التي رأيناها ، فتهيأ له الأخذ عن عدد كبير عظيم من الناس . فقد أثبت المؤرخون له عدداً من الآخذين عنه في العراق والشام يعادل عدد مشايخه في معظم أقطار الإسلام ، فذكروا له خمسين شيخاً من كبار مشايخه ، كما ذكروا له خمسين راوٍ من كبار من روى عنه .

متى حدث ؟

هذا ، وهو لم يتفرغ للإيملاء والإقراء إلا بعد عودته من الحج سنة ٤٤٥ ، ولم ينقطع إليهما إلا بعد دخوله دمشق هارباً من بغداد سنة ٤٥١ ، أي أن الزمن الذي أطلق نفسه فيه للتصدر في حلقات العلم لم يتجاوز ثمانية عشر عاماً . وكان قبل ذلك منقطعاً للجمع ثم التصنيف . وأصاب بما فعل ، فلم يلتبس التحديث إلا بعد أن استوفى حظه من العلم بالجمع ، وأخذ نصيبه من التفهم والبحث بالتصنيف . وحسن بذلك ملتصاً .

تحدثه بكتب غيره وكتبه

وكان لديه ضربان من المعرفة يذيعهما ، أولهما الكتب التي قرأها على مشايخه ، فصصح نسخها ، وضبط ألفاظها ، وفقه معانيها ، وصار حرياً بتلقيها ؛ وثانيهما تصانيفه التي وضعها فأحسن وضعها .

السامعون منه والمتخرجون به

والآخذون عنه فريقان ، ففريق يقصده ليروي عنه مما سمع أو صنف ، وفريق آخر يلازمه ليتخرج به . والفريق الأول صاحب علم ببغي التوسع ، والثاني مبتدي يعمد إلى التعلم ؛ ولذلك وجب التمييز بينهما . فكان أن أفردنا تعداد كل منهما على حدة في ثبت مصادر الآخذين عنه فذكرنا في الفريق الأول أقران الخطيب ممن أخذوا عنه وأخذ عنهم ، وفي الثاني ملازميه وطلابه ، ممن تشرّبوا روحه ، ونقلوا عنه . والذي يهمنا في بحثنا بصدد ثقافته وعلمه أن نرى مصرف ذلك لدى الفريقين معاً .

من أخذ عنه من المؤرخين والمحدثين

تقدم البحث عن الكتب التي كان يرويها وعن تصانيفه ، ورأيت في ذلك شدة عنايته بالحديث والتاريخ وانكبابه عليهما دون غيرهما من العلوم . وبديهي بعد ذلك أن يلتفت المحدثون والمؤرخون حوله ، يقتبسون من علمه ويستقون من مورده . ونرجع إلى ثبت أسماء

الآخذين عنه ، فنجد بينهم نحو سبعة وعشرين محدثاً بين خمسين رجلاً . ولكننا لا نلفي إلا مؤرخاً واحداً (رقم ٩٤) . على أن هذا المؤرخ يحمل إلى جانب التاريخ صفة المحدث . فتعجب لانتفاء المؤرخين من ثبتنا . ولكننا نذكر أن الأمر نفسه تقدم في ثبت شيوخه ، فيدعونا ذلك للتريث والتفكير فنقول : إن المحدث لابد أن يجمع التاريخ إلى الحديث ، ليكمل علمه ونضج معرفته . فلا يذكر بالتاريخ إلا إذا اختص به من دون الحديث ، والاختصاص به دونه نادر في القرن الرابع والخامس والسادس ^(١) . فمؤرخو هذه العصور محدثون على الغالب . ونأمل الثبت مرة أخرى فنجد بين من ذكر لنا أنهم محدثون عدة ألفوا في التاريخ (كرقم ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ٩٦) ونقلنا عنهم في كتابنا هذا .

من أخذ عنه في غير ذلك

وكذلك فمعظم الآخذين عن الخطيب محدثون ومؤرخون ، يتلوهم في العدد الفقهاء ، وعددهم في ثبتنا عشرة أفراد ، وبينهم ثلاثة من الحنابلة (رقم ٩٣ ، ٩٧) . أما بقية من أخذ عنه ف (٣) صوفيون

(١) يلاحظ أن أصحاب الطبقات مع أنهم مؤرخون لم يوردوا للمؤرخين كتباً في التراجم اكتفاء بما ورد من ذلك في كتب الرجال وغيرها . ولعل أول من جمع أسماءهم السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ص ١٥٣ — ١٦٠

و (٤) مقرئون وتاجر وأديب ووراق . وهذه النسبة العددية توافق ما رأينا من ثقافته وتصانيفه ، وتؤيد نتائجها .

حظ الشام منه

وبلاحظ أن معظم الآخذين عن الخطيب من أهل العراق والشام ، ففي هذين القطرين انتشر علمه ؛ ولم يظهر فيها محدث له شهرة أو مكانة إلا اعتزّ بأخذه عنه . ويبدو أن الشام أخذت بحفظها الواسع من علمه . وما أودع من رواياته وتصانيفه في دار الحديث الضيائية من خط تلامذته أو الناقلين عنهم كثير ، انتقل بعضه إلى دار الكتب الظاهرية ، وهو فيها ينبي عن كثرة تحديث الخطيب في دمشق والآخذين عنه فيها .

أثر تعليمه في المائة السادسة

وبالجملة فحدثوا النصف الثاني من المائة الخامسة ، والنصف الأول من المائة السادسة ، هم من أصحاب الخطيب والناقلين لعلمه بقي منهم كثيرون رآهم السمعاني وروى عنهم ابن عساكر . وواجب القول ، وقد انتهينا إلى حيث نحن ، بأن أبا بكر الخطيب تلقى علم المائة الرابعة ، فنقله إلى المائة الخامسة ، وأضاف إليه مما أنتجته قريحته ، ونظمه منه حسن فهمه ، فحمله تلامذته إلى المائة السادسة خيراً مما كان وجدده هو ، حين تلقاه .

أحسن شهادة بأثره

وإننا لنجد قولاً في إجلال أثره في عصره يدلي بأجل حجة مؤيدة ، هذا ابن ما كولا خير من خلفه ببغداد يقول : « وقد استفدنا كثيراً من هذا اليسير الذي نحسنه به وعنه ، وتعلمنا شطراً من هذا القليل الذي نعرفه بتنبهه ^(١) » ولعمري إن هذا أحسن شهادة له . ولو لم يكن له من أثر إلاه لكان سبباً للفخر .

انتشار تصانيفه

على أن أثره في العلم خلال العصور يفوق هذا . فتصانيفه ما برحت تنتشر وتجوس خلال الديار ، فيتخلل منها أثره ، ويخذ عمله . أما قول ابن الجوزي أنه « لم يُبارك في كتبه » ولا يكاد يلتفت إليها ^(٢) « فمكابرة عجيبة من ابن الجوزي ؛ أفليس هو الذي أفرغ شطراً كبيراً من تاريخ بغداد في كتابه المسمى بالمنتظم رواية عن القزاز . أوليس هو الذي ذكر لنا في هذا الكتاب أن محمد بن مرزوق الزعفراني (- ٥١٧) كتب تصانيف الخطيب ، وسميها منه ^(٣) ؛ أو لم يقل هو أيضاً أن محمد بن فتوح الحميدي (- ٤٨٨)

(١) في تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ والتبيين ٢٦٨

(٢) في الرد على أبي بكر للملك المعظم ١٧٩

(٣) المنتظم ٩ : ٢٤٩

« كتب تصانيف الخطيب ٠٠٠ ووقف كتبه على طلبة العلم ^(١) » أو غفل عن بابه أنه قال عن إبراهيم بن مياس القشيري (— ٥٠١) أنه « أكثر عن الخطيب وكتب من تصانيفه ^(٢) » بل ما قوله في رجل من كبار أصحابه الحنابلة أعني عبيد الله بن محمد بن أبي يعلى الفراء (٤٤٣ — ٤٦٩) يتبرع بنشر هذه التصانيف ، فيكتبها بخطه ^(٣) . وإذا كان يشير إلى أن معاصريه من الحنابلة لا يلتفتون إلى تصانيف الخطيب ، ويقصد بها غير تاريخه الذي طبق الخافقين ، فكللامه بعيد أيضاً عن الصحة ، فهذا الشيخ محيي الدين بن عربي شيخ المتصوفة يحدّثه شيخ حنبلي من شيوخه ، وهو البرهان نصر بن أبي الفتوح ابن علي البصري ، أمام مقام الحنابلة بمكة المشرفة ، بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السجستاني ^(٤) . بل إن مصنفات الخطيب كانت قد بلغت في عصر ابن الجوزي أقصى بلاد الإسلام ، ألا وهي الأندلس . فذكر أجلها ابن خير الأندلسي في فهرسته ، وامتدحها

(١) الكتاب السابق ٩: ٩٦ . وقال ياقوت روي عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته (إرشاد ١٨: ٢٨٣)

(٢) المنتظم ٩: ١٥٨

(٣) ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ظاهريّة تاريخ ٤٢ ، ١٠٥

(٤) صورة إجازة ابن عربي للملك المظفر ابن العادل ، ظاهريّة عام ، ١٦٢

خير امتدادح^(١) . ولعل أقوى دليل على خلود آثار الخطيب أنه بلغنا
نقلاً عن فهرس دور الكتب واحدة وسبعون نسخة من تآليقه سوى
تاريخ بغداد . أما مصنفاته التي انتهت إلينا فثلاثون كتاباً ولعل
هذا أكبر عدد بلغنا لمصنف قبل القرن السادس . وهو يشير إلى
عظم إقبال الناس على آثار الخطيب ، وخلود أكثرها .



(١) انظر ذلك فيما ذكرناه منها في فهرست تصانيف الخطيب .

مذهب الخطيب ونزعاته

صعوبة البحث

هذا فصل صعب المأخذ ، ولو أنه جليل الفائدة . عظم الاضطراب في مصادره ، وبدا التناقض في أخباره ، مع أنها كلها من الأهمية في مكان : تصور الرجل في آرائه ونزعاته ومذهبه وعاطفته ، فصرنا بين شك بوقفنا ، واهتمام يثير رغبتنا ، حتى بدا لنا من التناقض فهم لعلته ، خيل إلينا أنه صائب في أحكامه موضح لما نحن بصدده ، فأوردناه على ما تجلى لنا . والله الموفق للصواب .

صراع العقل والنقل

ما برح العقل في صراع مستمر مع النقل ، يريد قوم أن يعملوا به الشرع ، ويتخذوه أساساً يستنتجون منه أحكامه ، ويزنون به صحتها . وتريد طائفة أخرى أن لا تدع له مجالاً لسلطان ، فهي تخشى منه مخالفته أحكاماً ثبتت عندها صحة روايتها ، وأيقنت بصدورها عن الوحي المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

المعتزلة والأشاعرة

وكان أصحاب الكلام يحملون علم العقل ، وأصحاب الحديث

يضربون بسيف النقل ، يستهزي كل منهم بخصمه ، ويثير عليه الحجج والعلل ، ليكتب بها صوته ، وكل مسترسل إلى نزعاته ، شديد في خصومته ؛ حتى خرج أبو الحسن الأشعري ، خفاف على الدين من هذا الخصام ، فعمد إلى تسوية الخلاف ، بتحديد سلطان العقل تارةً ، ونشبيته تارةً أخرى ، والأخذ بنصوص الشرع ، يقف عن تعليلها حيناً ، ويؤوّلها حيناً آخر . وأسعفه إخلاصه ، فأفحم معارضيّه ، وقضى على الخصومة ، وانضم إليه سلطان السياسة ، يقضي بمذهبه ، ويفتي براهيه .

وعدم أصحاب الكلام النصير ، وتحفز الناس يودون القضاء عليهم ، فلم يروا لهم منفذاً إلا الأخذ برأي الأشعري ، فانتصروا إلى طائفته ، وعدّلوا بعض رأيه ، فعدّوا من أهل السنة والجماعة . وعكف بعض أصحاب النظر من الخلفاء والسلطين على مذهبهم يشجعونه ، ويسلكون سبيله . لكن ذلك لم يرق لأصحاب الحديث ، فصاروا يرمونهم بالبدعة ، ويصفونهم بالكلام ، كما كانوا يفعلون مع المعتزلة أول مرة ، ولو أن سلاحهم أصبح مع الأشاعرة مبتوراً .

إبهام في موقفه

ولما نشأ الخطيب ألفى الأمر على ما ذكرناه وكان عليه بحكم اختصاصه أن يأخذ بناصر أهل الحديث ، وأن يرد رأي الأشاعرة

فما ذا فعل ؟ هنا يبدو الاضطراب ، ويعلو الشك ، فما هو ذا يشعصب على الكلام ، وينحو عليه باللوم ، ويصفه بالبدعة ، بعد أن يرفع من شأن الحديث ، ويحله المكان الأسى في الأخذ بناصر الحق ، والهيمنة على سلطان الدين . ثم تراه بعد ذلك يُرمى باتخاذة الأشعري حجةً وإماماً ، ويطعن عليه لتعصبه على مخالفني مذهبه تعصباً شديداً ، أو شك أن يوقعه بالفننة . فما تأويل ذلك وتعليله ؟ نرى أن خير واسطة لذلك إظهار رأيه في الحديث والكلام ، معتمدين على نصوص من كلامه ، ينسبها أمام القاري ، ثم نعرض ما قيل عن مذهبه وعقيدته ، لنفضي من ذلك إلى الجمع والتوفيق ، إن كان إليهما سبيل .

شرف أصحاب الحديث

وضع الخطيب كتاباً في شرف أصحاب الحديث ، ذكر فيه سلطانه ومكانة أصحابه وحسن رأيهم وصواب عقيدتهم . ونحن نورد من هذا الكتاب أقوال الخطيب نفسه ، لا ما استشهد به ، ليظهر رأيه واضحاً ، وكلامه مبسوطاً .

هم حراس الدين

يرى الخطيب أن حفظ الشريعة والإسلام موكول إلى أهل الحديث ، فيقول ^(١) :

« جعل الله رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين ... فشأنهم حفظ الآثار ، وقطع المفاوز والقفار ، وركوب البراري والبحار ، واقتباس ما شرع الرسول المصطفى ... قبلوا شريعته قولاً وفعلًا ، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً ، حتى ثبتوا بذلك أضلعها ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها ، وكم ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها ، والله تعالى يذبُّ بأصحاب الحديث عنها ، فهم الحفاظ لأركانها والقوامون بأمرها وشأنها ؛ إذا صدف عن الدفاع عنها ، فهم دونها يناضلون ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

أركان الشريعة

« وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمانة الله من خليقته ، والواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّته ، والمجتهدون في حفظ ملته ؛ أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم

(١) شرف أصحاب الحديث ظاهرية مجموع ١١٧ (٢) ، ١٤

سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ^(١) .
 وهم إنما يفلحون باتخاذهم الكتاب والسنة ، وعدولهم عن غيرهما ،
 اسمع قوله ^(٢) :

« وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ، وتستحسن رأيا ، كيف
 عليه ، سوى أصحاب الحديث ؛ فإن الكتاب عدتهم ، والسنة
 حجتهم ، والرسول منبتهم ، وإليه نسبتهم ؛ لا يرجعون على الأهواء
 ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما روي عن الرسول ، ونعم
 المأمون عليه العدول ، حفظه الدين وخرزته ، وأوعية العلم وحملته ؛
 إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول
 المسموع . منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلة ،
 ومختص بفضيلة ، وقاري متقن ، وخطيب محسن . وهم الجمهور
 العظيم ، وسبيلهم السبيل المستقيم ؛ وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ،
 وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر . »

ذلك لأن الله نصيرهم . وفي قوله الآتي بيان ، قال ^(٣) :
 « من كادهم قصمه الله ، ومن غاندهم خذله الله ؛ لا يضرهم من

(١) المصدر السابق ٢٢

(٢) المصدر السابق ٢٣

(٣) المصدر السابق ٢٣

خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم ؛ المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير ،
وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير ، وإن الله على نصرهم لقدير . »

الشواهد لعظمتهم

ولا ينتهي من أقواله هذه ، حتى يعرض الشواهد من أقوال
الرسول وصحبه والعلماء ، فيذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم
بإكرام أصحاب الحديث^(١) ، ووصفه بالإيمانهم^(٢) ، وأنهم أولى الناس
بالنبي صلى الله عليه وسلم لدوام صلاتهم به^(٣) . وينتقل إلى سرد ما ذكر
من أنهم حماة الدين ، بذنبهم عن السنن^(٤) ، وكونهم الآمرين
بالمعروف والناهين عن المنكر^(٥) . ويستنتج من ذلك أنهم خيار
الناس^(٦) ، لولا هم لاندرس الإسلام^(٧) . وبورد قول من قال
بالاستدلال على أهل السنة بجهلهم بالحديث ، وبالأستدلال على المبتدعة
ببغض الحديث وأهله^(٨) .

(١)	المصدر السابق	٢٧
(٢)	=	٢١١
(٣)	=	١١٢
(٤)	=	٢١٤
(٥)	=	٢١٥
(٦)	=	٢١٥
(٧)	=	٢١٦
(٨)	=	٢٢٨ — ١٢٨

ردّه على أهل الرأي

هذا رأيه ، وهو فيه أقرب إلى المغالاة منه إلى الاعتدال . ولعله قصد به ردّ كيد المعاندين والقضاء على حجّتهم قضاءً مبرماً .
فقدماً كان أهل الجدل يغالون في الرأي ، ويعنفون الخصم ، ويقطعون عليه طرق القول . وأبو بكر الخطيب مخلص لعلمه ، يحبه ويرى فيه الخير ، فيشور على أعدائه بكل ما عنده من قوة . وكيف لا يفعل ذلك ، وقد انتهى إليه طعنهم على الحديث ، ووقف على ما ذكر « من عيب المبتدعة أهل السنن والآثار ، وطعنهم على من شغل نفسه بسماع الأحاديث وحفظ الأخبار ^(١) » فتأثره « فنظر في الأمر ، فإذا هو الحديث والرأي . فوجد في الحديث ذكر الرب تعالى وربوبيته وجلاله وعظمته ، وذكر العرش وصفة الجنة والنار ، وذكر النبيين والمرسلين والحلال والحرام ، والحث على صلة الأرحام ، وجماع الخير فيه ، ونظر في الرأي ، فإذا فيه المكر والخديعة ، والغدر والحيل ، وقطيعة الأرحام ، وجماع الشر فيه ^(٢) » فهل يسكت عن كان شأنه هكذا ، وعن يعتقد فيه هذه العقيدة السيئة .

(١) شرف أصحاب الحديث ، ٢١

(٢) الكتاب السابق ، ١٢٩

مساوي أهل الرأي

ثم هو لا يرى لأهل الرأي إلا المساوي التي لا تغتفر من «صدوفهم عن النظر في أحكام القرآن ، وتركهم الحجاج بآياته الواضحة البرهان ، وإطراحهم السنن من ورائهم ، وتحكيمهم في الدين بآرائهم»^(١) أضف إلى ذلك قوله^(٢):

«ولو أن صاحب الرأي المذموم شغل بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واكتفى آثار الفقهاء والمحدثين ، لوجد في ذلك ما يغنيه عن سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي يراه . لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين» .
هذا قوله في أهل الرأي ، يجمع فيه أعظم المآخذ عليهم ، فيظهرهم آخذين بالبدعة ، طاعنين على الدين .

مساوي أهل الكلام

أُتراه بعد ذلك يُججم عن الطعن على أهل الكلام ، وهم أشد خصاماً من أهل الرأي ، وأعنف قولاً منهم في أهل الحديث . على أنه كفي القول فيهم بما أورده في أهل الرأي . وخير ما يفعل بهم

(١) الكتاب السابق ٢١

(٢) الكتاب السابق ١٣

التهكم على أقوالهم وازدراء حججهم ، فيقول : والمتكلم^(١) » يفخر على العوام بذهاب عمره في درس الكلام ، ويرى جميعهم ضالين سواه ، ويعتقد أن ليس ينجو إلا إياه ، لخروجه - زعم - عن حب التقليد ، وانتسابه إلى القول بالعدل والتوحيد . وتوحيده إذا اعتبر كان شركاً وإنداداً ، وعدله عدولاً عن نهج الصواب إلى خلاف محكم السنة والكتاب «

قوة جدله

الحق إن قريحة أبي بكر تظهر في خصامه مع أهل الرأي والكلام أكثر مما تظهر في أي شيء آخر ؛ ذلك أنه جمع إلى حسن المعرفة قوة الأدب ، وإلى متانة الجدل قناعة النفس وعواطف القلب ، فكان قوله بليغاً ، وحجته دامغة ، ونفسه شفافة . ولو تعاطى هذا النوع من الكتابة أكثر مما فعل ؛ ولو تخلص من النقل إلى الإبداع في الأدب ، لابق لنا صحائف بديعة خالدة تؤثر . غير أنه لا يرى هذا الرأي ، ولا يجب هذا المذهب ؛ ولولا أن نفسه ملأى بالغضب على أهل الرأي والكلام ، لما أجاز لنفسه أن يذكر شيئاً من هذه ، بل لكان اختفى وراء أقوال غيره من الأئمة . وذلك

كان وعده في أول كتابه في شرف أصحاب الحديث . فقد ذكر أن ابن قتيبة كفى ووفى في الرد على أهل البدع في « تأويل مختلف الحديث » ، وأنه هو لم يبق عليه إلا أن يورد ما رؤى في شرف أهل الحديث ^(١) . غير أن نفسه أبت إلا أن تظهر ، فوقفنا بذلك على قوة خصامه ، وسيء اعتقاده في الرأي والكلام .

وبعد فمن كان هذا شأنه أليس حقيقاً بأن يتخذ مذهب الحنابلة مذهباً له فهم أعداء الرأي وأصحاب الحديث ، ولكنه يخطئ ظننا فلا ينتهي إليهم بل ينتسب إلى مذهب فيه الأخذ المعتدل بالرأي والتمسك بالحديث الموثوق ، ألا وهو مذهب الشافعي .

دعوى ابن الجوزي في تركه لمذهب الحنابلة

ويدعي ابن الجوزي أنه كان « قديماً على مذهب أحمد بن حنبل ، فمال عنه أصحابنا [الحنابلة] لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه ، فانتقل إلى مذهب الشافعي ^(٢) » على أن ابن الجوزي فريد في هذا الادعاء ، والنصوص التي بين أيدينا تخالف قوله ؛ فما بال الخطيب يدرس على فقهاء الشافعية منذ صغره ، ويأخذ الفقه عنهم ، وهو حنبلي . أو ليس عجيباً أن لا يكون بين أساتذته في الفقه شيخ حنبلي

(١) الكتاب السابق ٢٤

(٢) المنتظم ٨ : ٢٦٧ وعنه إرشاد ٤ : ٢٥ ، بداية ١٢ : ١٠٢

وأحد ، مع أنه كان على مذهب أحمد . الذي يغلب على الظن أن ابن الجوزي واهم فيما أورده من ذلك ، وإلا كان في أقوال المؤرخين أو نصوص المحدثين ما يعزّب سبيل تصديق قوله .

شافعي في الفروع

ومهما يكن ، فأبو بكر شافعي فيما أخذه عن أساتذته ، وقرأه من كتب ، وصنفه من تصانيف فقهية . وهو إذن يتباعد في فقهه عن فقه أهل الحديث ، وبديل بذلك على أنه لا يكره الرأي لمجرد أنه رأي ، بل يكرهه حين يكون له التقدم على ما صحّ من أقوال الشارع .

أشعري في الأصول

وليس في هذا ، أن فهم على حقيقته ، سبيل إلى الاستنكار من تناقض في أقوال الخطيب ، أو تغيير في نزاعه . ولكن صوت الاستنكار يعلو ، حين نرى المؤرخين ينسبونه إلى مذهب أبي الحسن الأشعري^(١) في الأصول^(٢) ، أي في العقيدة بأصول الدين وقواعد الإيمان . فما علاقته ، وهو محدث ، بمذهب أهل الكلام ؟

(١) عن الكتاني في تاريخ دمشق ٤٠١: ١ ، شعبة ١٣٨ ، سبكي ٣ : ١٢ وانظر حاتم ١٨٧

(٢) كما نقله المالكي ٢٧ من خط الكتاني

سبب انتائه إلى الأشاعرة

يبدولي أن أخذه بمذهب الأشعري كان نتيجة لانتسابه إلى مذهب الشافعي ، فالشافعية هم الذين انتصروا المذهب الأشعري ونشروه . فقلما ترى شافعيًا في عصر الخطيب ، إلا وهو أشعري . وفي تاريخ المدرسة النظامية ببغداد أكبر تأييد لما نقول ، فقد أنشئت لفقهاء الشافعية ونقش اسم الأشعري على بابها^(١) .

والغالب إذن أن ما بلغ الخطيب من أذية الحنابلة كان بعد أن ظهر تمسكه بمذهب الشافعية ، وبما كانوا يتصفون به من رأي في أصول الدين والتوحيد ، لا ما ذكره ابن الجوزي . وتلك الأذية وذلك الاضطهاد أشعل نار غضبه ، فزاد ثقله من الأشاعرة ، حتى وُصف بأنه أحدهم . وعده ابن عساكر من أعلامهم^(٢) . وهذا تفسير ما ذكره المؤتمن الساجي بقوله^(٣) : « تحاملت الحنابلة على الخطيب ، حتى مال إلى ما مال إليه » .

قوله في الصفات

فصار يعتدُّ جهاراً برأي الأشاعرة في التوحيد ، فيذكر في

(١) انظر تاريخ الذهبي أحمدية حلب ١٢٢٠ ، ١٤٥

(٢) في كتاب كذب المفترى ص ٢٧١

(٣) شعبة ١٤٠ ، تذكرة ٣ : ٣١٨ ، سبكي ٣ : ١٣

صفات الله مذهبهم ، وبلغه طلابه قال جواباً لما كتبه إليه بعض أهل دمشق^(١) : « أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاه قوم ، فأبطلوا ما أثبتته الله سبحانه ، وحققها من المثبتين قوم ؛ فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكليف ، تعالى الله عن ذلك . والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين . ودين الله تعالى بين المغالي فيه والمقصر عنه . والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، ويمتد في ذلك حذوه ومثاله ؛ فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين ، إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ؛ فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكليف . فإذا قلنا : لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتتها الله تعالى لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر العلم . ولا نقول إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل . ونقول إنما وجب إثباتها

(١) شعبة ٢١٤٠ وتذكرة ٣ : ٣١٩ عن محمد بن مرزوق الزعفراني وقد اعتمدنا على النص الوارد في مجموع بالظاهرية رقم ١٦ ، ١٤٣ — ١٤٤ وفيه زيادات عن الأحاديث الواردة في الصفات لم نقلها .

لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وقوله عز وجل : ولم يكن له كفواً أحد .

هذا مذهبه ، وصفات الله عنده هي ما جاءت عليه في كتاب الله ، وهو مذهب الأشعري ، ولو أن للأشعري مذهباً آخر في التأويل كما يقول السبكي^(١) .

وبعد فإن كان لمذهب الشافعي ولاذى الحنابلة أثر في أخذ الخطيب بمذهب الأشعري ، فكيف بعلمو هذا الأثر قوة طرائق المحدثين ، وعظم انطباعه بمذهبهم ؟

الأشعري يوافق كبار المحدثين

الجواب عن ذلك لا يخرج عن أنه لا يعتقد مخالفة مذهب الأشعري لعقيدة كبار المحدثين . ويأخذ السبكي بهذا الرأي ، فيقول حين يذكر مذهب الخطيب في صفات الله : « وهو مذهب المحدثين قديماً وحديثاً ، إلا من ابتدع ، فقال بالتشبيه ، أو من لم يدر مذهب الأشعري ، فردّه بناءً على ظن فيه ظنه . والفريقان من أصاغر المحدثين ، وأبعدهم من الفطنة^(٢) » ويأخذ به ابن عساكر ، ويضيف قائلاً :

(١) طبقات الشوافعة ٣ : ١٣

(٢) المصدر السابق

« فإن قيل إن الجُم الغفير في سائر الأزمان وأكثر العامة في جميع البلدان لا يقتدون بالأشعري ، ولا يقلدونه ، ولا يرون مذهبَه ، ولا يعتقدونه ، وهم السواد الأعظم وسبيلهم السبيل الأقوم ؛ قيل لا عبرة بكثرة العوام ، ولا التفات إلى الجهال الأغتام . وإنما الاعتبار بأرباب العلم والافتدائ بأصحاب البصيرة والفهم . وأولئك في أصحابه أكثر من سواهم ، ولهم الفضل والتقدم على من عداهم . على أن الله عز وجل قال : وما آمن معه إلا قليل . »

وانظر^(١) وصف الخطيب لأبي الحسن الأشعري ، حيث قال عنه : إنه « المتكلم ، صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة^(٢) » فوصفه بنضاله للمبتدعة ، وبرده على الإلحاد .

الكلام المحمود

لئن كان كل ذلك واضحاً ، يبعد التناقض من موقف الرجل في مذهبه ورأيه ، فما تعليل ذمه الكلام وبغضه له ، ثم اعتناقه مذهب المتكلمين وأخذه بناصرهم ؟ تعليل ذلك نراه في أقوال ابن عساكر حين ردَّ على من عاب مذهب الأشعري ، قال^(٣) :

(١) التبيين ٣٣١

(٢) تاريخ بغداد ١ : ٣٤٦

(٣) التبيين ٣٣٩

« والكلام المذموم كلام أصحاب الأهوية ، وما يخرقه أرباب البدع المروية ؛ فأما الكلام الموافق للكتاب والسنة ، الموضح لحقائق الأصول عند ظهور الفتنة ، فهو محمود عند العلماء ومن يعلمه . وقد كان الشافعي يحسنه ويفهمه ، وقد تكلم مع غير واحد ممن ابتدع ، وأقام الحجة عليه حتى انقطع . »

السلف والكلام

ولم يأخذ الخطيب بالكلام ، وتعرف إلى طرائقه إلا أسوة بالسلف الصالح ، فقد جرى كما يقول ابن عساكر^(١) « أئمتنا في قديم الدهر على الاستغناء عن الكلام فيه ، فإذا احتاجوا إليه ، أجابوا بما في كتاب الله عز وجل ، ثم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدلالة على إثبات القدر لله عز وجل ، وأنه لا يجري في ملكوت السموات والأرض شيء إلا بحكم الله . . . وكذلك في سائر مسائل الكلام ، اكتفوا بما فيهما من الدلالة على صحة قولهم ، حتى حدثت طائفة سموا ما في كتاب الله من الحجة عليهم متشابهاً ، وقالوا نترك القول بالأخبار أصلاً ، وزعموا أن الأخبار التي حملت عليهم لا تصح في عقولهم ، فقام جماعة من أئمتنا بهذا العلم ، وبينوا لمن وفق للصواب أن جميع ما ورد في تلك الأخبار صحيح في العقول . »

السلف والتقليد

وليس في الكلام ، إن كان الرد على الملهدة ، أدنى ضير ، بل في الأخذ بالتقليد والوقوف عنده وعدم النظر والفكر مخالفة لما كان عليه السلف . قال ابن عساكر^(١) :

« وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر ، وأنهم انصفوا بالتقليد ، حاشى الله أن يكون ذلك وصفهم . ولقد كان السلف من الصحابة مستقلين بما عرفوا من الحق ، وسمعوا من الرسول صلوات الله عليه من أوصاف المعبود ، وتأملوا من الأدلة المنصوصة في القرآن وأخبار الرسول في مسائل التوحيد . . . فلما ظهر أهل الأهواء ، وكثر أهل البدع من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية ، وأوردوا الشبه ، انتدب أئمة أهل السنة لمخالفتهم . »

حسن كلام الأشعري

وقد عرف الخطيب ذلك ، فأخذ بمذهب الأشعري ، وما ذمّ كلامه بل كلام القدرية والمعتزلة الذين يفضلون العقل على الشرع . أما كلام الأشعري عنده فلا يجحده كما يقول ابن عساكر^(٢) : « إلا

(١) التبيين ٣٥٨

(٢) التبيين ٣٥٩

أحد رجلين : جاهل ركن إلى التقليد ، وشقّ عليه سلوك أهل التحقيق ، وخلا عن طرق أهل النظر ، والناس أعداء ما جهلوا . فلما انتهى عن التحقيق بهذا العلم ، نهى الناس ليضلّ كما ضلّ . أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة ، فينطوي على بدع خفية ، يلبس على الناس عوار مذهبه ، ويعمي عليه فضائح عقيدته ، ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر ، هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم ، ويظهرون للناس قبح مقالاتهم .

وكذلك يبدو الخطيب حين دراسة مذاهبه ورأيه حكيماً ، يجمع بين الشرع والعقل ، يفضل الأول لأنه أضبط وأصحّ ، ويأخذ بالثاني لأن فيه النظر والفكر والتعمق والتأمل في حقيقة الأشياء . وذلك للمتدين خير مذهب .



صفة الخطيب في علمه

غاية البحث

لا نقصد بهذا العنوان أننا سنرسم صورةً عن علم أبي بكر ، نظهر فيها أجزاء معرفته ، ونبين أساليب تحقيقه ، وتبدو منها وسائل استنباطه ، فتلك فصول يتصل بعضها بثقافته ، وبعضها الآخر بتصانيفه ، وقد تقدم البحث عنها ، أو سبقت الإشارة إلى مضمونها . إنما نروم أن نذكر نواحي القوة أو الضعف في علمه ، والصفة التي اختصَّ بها ذلك بأثر نزاعاته وميوله وعقيدته ومذهبه . وهذا الفصل عزيز على المحدثين ، يعلقون عليه أهمية في حكمهم على الرجال ، ورأيهم في النقل عنهم ، والأخذ بعلمهم . وهم مصيبون في اعتدادهم به ، ولو أنهم لم يغرقوا في التفصيل فيه ، والاستقصاء لأساليبه وأسبابه ، وتدقيق وجوهه واختلافه

الضعف في شخصه

ولعلنا نجد في هذا البحث نهماً وجهت إلى أبي بكر أكثر مما ألفينا في صدد الموضوعات السابقة . ولئن كان ما مرّ من التهم حتى الآن خاطئاً وباطلاً ، فبعض ما سناه يعلق بالخطيب ، ويشوب من كماله . ولكن علينا إن قصدنا الحكم الحق أن لا نسترسل في سوء الظن ،

أو أن نعلن في الخصام ؛ بل علينا أن نذكر أن أبا بكر إنسان لا يستطيع أن يكون كاملاً ، وبشر يتأثر بالعقيدة ، ونغيظه الفتنة ، وبأخذ منه الغضب . وخير ما نفعل أن ننسبه إلى أمثاله ، فإن فضلوا بجمعهم عليه ، حقاً لنا أن نسقط من قدره إلى ما يستحق ؛ وإن لم يفضلوا ، أو لم يفضل أكثرهم ، استبقينا له مكانته بعد الاعتراف بخطأ لعله زلق إليه وأي الرجال المهذب ؟ ...

تصنيفه

مما يتهمونه به التصحيف ، قال الملك المعظم ^(١) :

«وقد كان الخطيب مصحفاً : أنبأنا شيخنا الإمام العلامة حجة العرب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي مشافهةً ، قال أجاز لنا الإمام العلامة الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي ، قال : قال لنا الشيخ الحافظ أبو الغنائم بن النرسي ، سمعت الشيخ الحافظ أبا بكر الخطيب وهو يقرأ لنا كتاب المغازي عن الواقدي على أبي محمد الجوهري ، فبلغ إلى غزاة أحد ، وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : يا ليتني غودرتُ يوم أحدٍ مع أصحابي نحض الجبل بالضاد المعجمة ، فقال له أبو القاسم بن برهان النحوي : صحف أبو بكر

الخطيب هذه الكلمة ، وإنما هو نحص بالصاد غير معجمة ، النحص أصل الجبل .»

وإذا لم نر في هذا الخبر علةً لصدوره عن محمد بن ناصر السلامي (٤٦٧ — ٥٥٠) الذي قال فيه أبو سعد السمعاني إنه « كان يجب أن يقع في الناس^(١) » إذا لم نر فيه هذه العلة ، وقبلناه ، عجبنا كيف ينسب محدث إلى التصحيف ، لتصحيفه مرة كلمة واحدة ، ولئن صح هذا الحكم ، كان جل العارفين بل كلهم مصحفين^(٢) .

تحديثه عن الضعفاء

ومما نسب إلى أبي بكر تحديثه عن الضعفاء والمتروكين ، قال محمد ابن طاهر المقدسي^(٣) : « سمعت الإمام أبا القاسم سعد بن علي ، عن أبي بكر الخطيب ، ورأيت على بعض أجزاءه علامة له ، فقلت له : كيف رأيت ؟ فقال : كان ههنا يفيد الناس من سليم الرازي ويقرأ لهم عليه ، وكأنه لم يره بأساً . »

(١) المنتظم ١٠ : ١٦٣ و ١٠ : ٢٢٥ و ذيل ابن رجب ظاهرية تاريخ ١٩٢ ، ٦١

(٢) ذكر حمزة بن الحسن الأصفهاني في التنبيه على حدوث التصحيف تصحيقات كبار علماء اللغة فلم يسلم من التصحيف أحد .

(٣) الرد على أبي بكر ص ١٧٦

غير أن هذا الخبر لم يرد إلا عن ابن طاهر ، ووروده عنه ، على ما عرفنا من تضعيف المحدثين له ، ومن تحامله على أبي بكر^(١) - كافٍ في ثقله أهميته لا سيما ، وسليم الرازي ثقة^(٢) .

من تتبعوا أوهامه

والحق أن أبا بكر الخطيب على جلاله علمه و كثرة تحقيقه يخطئ كثيره من العلماء . حتى قال أبو الحسن محمد بن مرزوق^(٣) « إن ابن ما كولا أخذ عليه في كتابه المؤتلف ، وصنف في ذلك تصنيفاً » ولو أن ابن ما كولا أنكر ذلك تأديباً ، ولم يقر ، وأصر حين سأل شيخه الخطيب عن ذلك ، فقال : « هذا لم يخطر بباله » وقيل إن التصنيف كان في كمه ، فلها مات الخطيب أظهره ، وهو الكتاب الملقب بمستمع الأوهام .

وتتبع محمد بن عبد الغني بن نقطة الحنبلي (- ٦٢٩) أوهام الخطيب وغيره في مصنف أسماء « الملتقط فيما في كتب الخطيب وغيره من الوهم والغلط »^(٤) ولا يضير أبا بكر أن يغلط في أشياء ، تؤخذ عليه ،

(١) انظر ص ٧٢ اعلاه .

(٢) ترجمته في شعبة ١٢٧ - ٢١٢٧ وشذرات ٣ : ٢٧٥

(٣) تذكرة ٤ : ٤ وانظر إرشاد الأريب ١٥ : ١١٠ - ١١١

(٤) الوافي بالوفيات للصالح الصفدي ، احمدية حلب ١٢١٦

وتصحح له ؛ فما زال العلماء يهنون ، وتلاميذهم يصححون ، والعلم في تقدم ، والفضل للسابق على اللاحق .

إعجابهم به

انظر ابن ماكولا وابن نقطة اللذين تتبعوا أغلاطه ترهما أكثر الناس إعجاباً به ، فقد تقدم قول ابن نقطة : « كل من أنصف علم المحدثين عيال على كتب الخطيب ^(١) » . واسمع ابن ماكولا يصف علم أبي بكر ، فيكتب ما رأينا من أقوال الخصوم والمتهمين ، قال : « كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثقناً في علله وأسانيده ، وخبرة برواته وناقليه ، وعلماً بصحيحه وغلبيته وفردته ومنكره وسقيمه ومطروحه ^(٢) » . وذلك وصف جامع مانع ، ترى فيه الخطيب قوياً في علمه ، عظيماً في تحقيقه وخبرته . وهو وصف صدر عن متين في الحديث ، عارف بالخطيب ، متابع لسقطاته . ففيه الكفاية وعليه الاعتماد وهو يؤيد مرة أخرى وصف الخطيب بالاثقان ، والأخذ بأسباب الكمال .

(١) نخبة الفكر لابن حجر ص ١ وتدريب الراوي للسيوطي ص ٩ والرسالة المستطرفة ص ١٠٧

(٢) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، التبيين ٢٦٨ ، شبهة ٢١٣٧ ، تذكرة ٣ : ٣١٤ ، سبكي ٣ : ١٣ ، الشذرات ٣ : ٣١٢ .

الناس في أمره فئتان

والعلماء المخلصون ، على أن الخطيب كما وصفه ابن ماكولا ،
فقد أثنوا عليه جميعاً ، ونقلوا عنه ، وعدّوا تصانيفه عمدةً يُرجع
إليها ويقبّس منها . ذلك كان شأنهم في الاعتراف بعلمه ، والأخذ
عنه . أما الاعتراف له بالإخلاص في العلم ، والبعد عن العصبية ،
والاقتصار على نقل ما صحّ من الأحاديث ووثق من الأخبار ،
فقد نفرّقوا في ذلك شيعتين : طائفة نسبت له إلى أسوء ما يكون من
ذلك ، وطائفة أخرى سكّنت ، إما إهمالاً ، أو تعمداً ساقه الظن
بأن ليس في ذلك ما تجدر الإشارة إليه . ومهما يكن من أمرهم
جميعاً : غالوا أم قصرُوا ، فالضعف في شخصية الخطيب وعلمه إنما
يتحقق هنا .

آثار حبه وكرهه

ويسووناً أن يتسرّب إليه الضعف ، وهو من نجله في علمه
وشخصه . ولكن العقيدة إن استحسنت ، والحب للشيء إن اشتد ،
والغيرة على الأليف إن تمكّنت ، ولدت بمجموعها العصبية ، فدفعت
خير الناس إلى التمسك بما يبطل الكمال ، ويقضي على التجرد .
وما نفدت سهام المطاعن بالخطيب إلا لشديد حبه للمذهب الذي
أخذ به ، وهو الشافعي ، والعقيدة التي غلبت عليه ، وهي الأشعرية ،

ولكرهه للخارجين على طريق الصواب ، وهم عنده أهل الرأي والبدعة ،
ونعضبه على من يتعرض بسوء لمذهبه وعقيدته ، وهم الحنابلة .

ظهرت آثار ذلك الحب والكره والغضب في تصانيفه وأقواله ،
فتار لها نائر المخالفين ، فهبوا بقوة وحماسة يدفعون عنهم شرها أولاً ،
ويضربون صاحبها ثانياً ضرباً موجعاً مدمياً ، لا شفقة فيه ولا رحمة .

تبعات ابن الجوزي عليه

نصب نفسه لهذا الصراع أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ،
فقد ألف ثلاثة تصانيف في الرد على الخطيب وتبع أقواله .
أحدها : السهم المصيب في الرد على الخطيب ^(١) ، ونجد منه منتخلات
في كتابه المنتظم وفي كتب الردود الأخرى على الخطيب . والكتاب
الثاني هو كتاب التحقيق في أحاديث التعليق ^(٢) ، ومنه منتخلات في
المنتظم أيضاً . والكتاب الثالث هو كتاب الانتصار لشيخ السنة أبي
عبد الله محمد بن بطة الحنبلي عما ذكره الخطيب البغدادي من التطفيف
كعادته في حق الحنبلية بل والحنفية ^(٣) . ولعله ألفه بعد المنتظم ،

(١) سمعه الملك العظيم بالبيت المقدس سنة ٦٢٢ وتقل عنه (الرد على أبي بكر ، ١٧٨)

(٢) ذكره في المنتظم ٨ : ٢٦٨ ومنه نسخة في دار الكتب الظاهرية

(٣) ذكر هذا الكتاب محمد بن محمد بن سليمان الرداني المغربي المالكي في
كتاب صلة الخلف بموصول السلف (نسخة دار الكتب البازنية رقم ٤٤٧٠)
في مكانه من حروف المعجم .

جمع ما قاله فيه ، وأضاف إليه جديداً . وقد تتبع ابن الجوزي في هذه الكتب مطاعن الخطيب على الحنابلة التي أوردها في تاريخ بغداد ، فردّ عليه بما وجدته خاصماً لأقواله ؛ وذكر فيها ما قيل من سوء في الخطيب ، وعزّز ذلك بإظهار تعصبه لمذهبه بذكر الأحاديث الضعيفة ، يستشهد بها لتأييد نزعات ذلك المذهب . ولقد كان ابن الجوزي عنيفاً في خصامه ، قديراً في جداله ، متبعاً لسقطات خصمه ، يرميه بالجهل وقلة الفهم .

تبعات غيره

وتبع ابن الجوزي الملك المعظم في كتاب سماه الرد على أبي بكر الخطيب^(١) ، يدفع فيه ما نقله في ترجمة أبي حنيفة من أقوال المحدثين الطاعنة على هذا الإمام العظيم . وتلاه الأستاذ محمد زاهد الكوثري بكتاب آخر في المعنى نفسه ترجمه بـ « تأنيب الخطيب »^(٢) .

وما نورد هنا إلا خلاصةً وجيزةً عن مستنداتهم في الرد على

(١) طبع في مصر سنة
بروكلن ١ : ٥٦٢)

(٢) طبع في مصر ولعل السيوطي تعرض لما تعرضا إليه في كتابه المسمى « السهم المصيب في نحر الخطيب » : عقود الجواهر لمجمل العظم بيروت

الخطيب ، فلو قصدنا التطويل ، لطال الشرح ، وخرج بنا عن غاية كتابنا هذا .

احتجاجة بالموضوع

يعترض ابن الجوزي على أبي بكر لبعض ما ورد في « الجهر بالبسملة » و « القنوت » و « مسألة صوم الغيم » من أحاديث في تأييد أقوال الشافعي ، يدعي ابن الجوزي أن الخطيب « يعلم أنها ليست صحيحة ^(١) » ، ويدري أنها موضوعة ، ثم يحتج بها ، ولا يذكر عليها شيئاً ^(٢) ويقول « والعجب منه كيف يعارض بمثل هذه الأحاديث الأحاديث الصحاح ^(٣) » وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من روى حديثاً يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين ^(٤) » ثم يلحق الخطيب في أهل البدع ، فيقول : « ولأهل البدع مألوف منه ، وقد بان لمن قبلنا ^(٥) »

والحق أنه لا يستبعد أن يروي الخطيب أحاديث ضعيفة ، أو أن

(١) في الرد على أبي بكر ص ١٧٨

(٢) المنتظم ٨ : ٢٦٨

(٣) الرد ص ١٧٨

(٤) المنتظم ٨ : ٢٦٨

(٥) المصدر السابق

يدخل عليه حديث موضوع ، حين يقصد تثبيت رأيه أو الدفاع عن مذهبه ؛ فالنفس ميالة إلى تصديق ما يحابي هوى فيها ، وأقل ذلك إن الإنسان إن تجادل في أمر يعتقد به ، هوى بفأسه على ما يذكر في ضده ، وتعلل بواهي ما يؤيده ؛ ولو أعمل فأسه بالجهتين لكفى نفسه النقد والظعن ، ولكن ذلك على ما يظهر فوق طاقة البشر .

قول ابن تيمية في استشهاد الحديث بالموضوع والضعيف

هذا ابن تيمية يبين بمعرفته وصائب رأيه كيف شمل هذا الضعف أهل الحديث ، ممن يميلون إلى مذهب ، أو يتحزبون لطائفة قال :
 « وأبونعيم يروي في الحلية في فضائل الصحابة وفي الزهد أحاديث غرائب ، يعلم أنها موضوعة ، وكذلك الخطيب وابن الجوزي وابن عساكر وابن ناصر وأمثالهم . والدارقطني صنف سننه ، يذكر فيها غرائب السنن ؛ وهو في الغالب يبين حال ما رواه ، وهو من أعلم الناس بذلك . والبيهقي يعزو ما رواه إلى الصحيح في الغالب ، وهو من أقلهم استدلالاً بالموضوع ، لكن يروي في الجهة التي ينصرها من المراسيل والآثار ما يصلح للاعتضاد ، ولا يصلح للاعتماد ،

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، مصر ١٣٤٦ ،

ويترك في الجهة التي يضعفها ما هو أقوى من ذلك الإسناد . وهم فيما يقولونه من أصدق الناس وأنبتهم .

وعلى ذلك فالخطيب ليس شأنه في ذكر الأحاديث الواهية تأييداً لمذهبه شأن أهل البدع ، كما يدعي ابن الجوزي ، ولو كان كذلك لعدّ ابن الجوزي نفسه منهم ، وغيره معه كما يستخرج من قول ابن تيمية . ألا إن هذا الضعف عام ينقص من قدر الخطيب ما ينقص من قدر غيره من أصحاب الحديث .

رواية الخطيب أخباراً ضعيفة في أبي حنيفة

إذا عرفنا ذلك ، هان عندنا نقد الخطيب في روايته أخباراً ضعيفة ، فيها طعن على خصومه ومخالفيه . وهو يفعل ذلك خاصة في ترجمته لأبي حنيفة في تاريخ بغداد . وقد تتبع الملك المعظم أخباره عن هذا الإمام ، فضعفها في سندها ، وأكمل تتبعاته في ذلك الأستاذ محمد زاهد الكوثري ، فأظهر ضعف هذه الأخبار ، وشدة تحاملها على إمام زاهد ، يتفهم روح الشريعة ، فيردّ كل حديث روي في مخالفتها ، وينقض كل أثر خالف الرأي الصائب ، ولا يقرّ إلا ما ثبت ثبوتاً لا مجال للشك فيه : اتخذ ذلك صراطاً يسير عليه ، ليهتدي إلى الحق من الشريعة ، ويبطل سخيف ما روي

من الأحكام ، يبرئ النبي صلى الله عليه وسلم من قولها ، لا يقصد في ذلك إلا خدمة الإسلام والمسلمين ، دون أن يجحد عن ذلك قيد شعرة . والذي يقرأ كتابيهما ، يخرج سيئ الظن في أبي بكر الخطيب ، ينسبه للتعرض للأئمة الدين ، والخط من شأن المتزهدين ، والنيل من كرامة المصلحين ، يسخط عليه ، ويفضب للاخلاص والصدق وحسن النية .

اعتذاره عن ذلك

ولكن مهلاً مهلاً ! وصبراً جميلاً ! إن الحق يتفاضنا إلى النظر فيما قال الخطيب ، حتى إذا رأيناه يبتكر ذلك ابتكاراً ، حكمنا عليه بما هو أهل له ، فلمستمع إلى ما يورده مقدمة لكلامه في أبي حنيفة قال^(١) :

وقد سقنا عن أيوب السختياني وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وأبي بكر بن عياش وغيرهم من الأئمة أخباراً كثيرة ، تتضمن تقرّظ أبي حنيفة ، والمدح له والثناء عليه . والمحفوظ عند نقلة الحديث عن الأئمة المتقدمين ، وهو لاء المذكورون منهم ، في أبي حنيفة خلاف ذلك ، وكلامهم فيه كثير لأُمور شنيعة ،

حفظت عليه ، متعلق بعضها بأصول الديانات ، وبعضها بالفروع ،
نحن ذاكروها بمشيئة الله ، ومعتذرون إلى من وقف عليها وكره
سماعها بأن أبا حنيفة عندنا ، على جلالة قدره ، أسوة غيره من العلماء ،
الذين دونوا ذكرهم في هذا الكتاب .

طعن المحدثين على أبي حنيفة

ثم يتبع ذلك بذكر هذه الأخبار يروي معظمها عن مشايخ
الحديث في عصره من أهل التقى والصلاح والعلم ، كالبرقاني وابن
رزقويه وأبي نعيم الأصبهاني والعتيقي ، ممن لا يستطيع أن يكذب
في نقله عنهم أو يزيد وينقص ؛ فتلامذتهم كثيرون يردون كذب
الرواية عنهم ، وحاشاه أن يضع الأخبار ، وهو من عرف بصدقه
وحسن روايته ؛ والصحيح أن ما يرويه عن أئمة الحديث من سيء
الرأي في أبي حنيفة ، أو الطعن عليه شيء قالوا بعضه ، إن لم يقولوا
كله . وهذا البخاري إمامهم ينقل في حقه قول سفيان فيه ، حينما
نعي له قال : « الحمد لله كان ينقض الإسلام عروة عروة ؛ ما ولد
في الإسلام أشأم منه ^(١) » وهذا القول يفصح خير إفصاح عن سوء
رأي المحدثين في الإمام أبي حنيفة . وهو رأي درجوا عليه ، ولقنه

(١) التاريخ الصغير ، مطبعة انوار احمدآباد ١٣٢٥ ، ص ١٧٤ وانظر أيضاً

بعض ما رواه في الطعن عليه في ص ١٥٨

أكبرهم أصاغرهم . ويعمل لنا ابن عبد البر الأندلسي (٢٦٣)
ذلك فيقول ^(١) :

« كثير من أهل الحديث استجازوا الطعن على أبي حنيفة ، ردّه
كثيراً من أخبار العدول ، لأنه كان يذهب في ذلك إلى عرضها
على ما أجمع عليه من الأحاديث ومعاني القرآن ، فما شذّ عن ذلك
ردّه وسماه شاذّاً ، وكان مع ذلك يقول : الطاعات من الصلاة
وغيرها لا تسمى إيماناً . وكل من قال من أهل السنة : الإيمان قول
وعمل ، ينكرون قوله ويدعون به بذلك . وكان مع ذلك محسوداً
لفهمه وفطنه . »

الخطيب يجمع مطاعنهم

فالخطيب لا يبتدع الطعن على أبي حنيفة ابتداءً ، بل يذكر
ما لقن ، يثار به للأحاديث التي ردّها أبو حنيفة ، ويشنع على رأيه
الذي أخرجه — زعموا — عن جادة الصواب ، وجعله محطاً للطعن
والنقد . على أن أحداً قبله لم يحسر على جمع كل ما قدح به أبو حنيفة .

(١) في حاشية تاريخ بغداد ١٣ : ٣٦٩ وقال في التمهيد (مخطوطة الظاهرية
حديث ٣٣٢ ، ٢٢٤) : لم يشتغل أهل الحديث من نقل مثالبه ورواية سقطاته
بمثل ما اشتغلوا به من مثالب أبي حنيفة ، والعلة في ذلك ما ذكرته لك لا غير ،
وذلك ما وجدوا له من ترك السنن وردها برأيه أعني السنن المنقولة بأخبار
العدول والاحاد الثقات .

ولعل بعضهم تورّع من ذلك ، أما هو فيستجيزه ويجرؤ عليه تمسكاً
بمذهب أهل الحديث ، وتسقيطاً لأقوال معانديهم ، وخطأً من قدر
أعدائهم . وكل ذلك يرمز إلى تحمسه لمذهبه وجرأته في خصومته ،
فلا يحلم ولا يتروى ، ولا يحلّ كل من أجلّ الناس . على أنه في
ذلك حسن النية ، يعتقد أنه يدافع عن الحق وينحو نحوه .

أي تعصب في الاقتصاد بالمدح

هذا ما يقال فيما يرويه في أبي حنيفة ، أما موقفه من الخنابلة ،
فينسب الناقدون إلى سوء تعصبه أقوالاً له في بعض مشايخهم ، يدّعون
أن فيها تحاملاً لا يجيزه الحق ، ولا يرضيه العدل ؛ فيقول ابن
الجوزي إن الخطيب « رمز إلى ذمهم ، فصرح بقدر ما أمكنه ^(١) »
من الطعن عليهم « وله دسائس في ذمهم عجيبة ^(٢) » اسمع منها ما هو من
قول الخطيب نفسه ، مما يرى فيه ابن الجوزي تعصباً . قال في
وصف الإمام أحمد : هو سيد المحدثين ^(٣) . وفي وصف الشافعي : هو
تاج الفقهاء ^(٤) . فلم يذكر أحمد بالفقه ، فرأى ابن الجوزي في ذلك

(١) المنتظم ٨ : ٢٦٧ — ٢٦٨ وعنه في الارشاد ٤ : ٢٥ — ٢٦

(٢) المصدران السابقان

(٣) الذي ذكره في تاريخ بغداد ٤ : ١٢ قوله : إمام المحدثين الناصر
للدين والمناضل عن السنة والصابر في الحق .

(٤) الذي ذكره في تاريخ بغداد ٢ : ٥٦ قوله : الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء

دسيسة يميكنها الخطيب على صاحب المذهب المشهور . ولعمري أن القارء يبرهاتين الجملتين ، فلا يرى فيهما سوء ظن في الإمام أحمد ، بل يجد قائدهما أجاد وأصاب في وصف صاحب كتاب المسند بأنه إمام المحدثين ، وأظهر انتسابه إلى مذهب الشافعي وحسن إجلاله لا تعصبه له ، حين وصف صاحبه بأنه تاج الفقهاء . وأي دسيسة في المدح بحق يجب القائل أن يشهره ، وأي تعصب في السكوت عما لا يود التعرض له ، عقيدة منه بأنه لا يوازى في المكانة ما يجب أن يفرد بالذكر . ولو كان الأمر على خلاف ذلك ، لحق لمن يكبرون الشافعي أن يغضبوا لعدم وصف الخطيب له بالحديث ، وهو من يعتقدون أنه سيد في حلقته .

ألا إن ابن الجوزي وغيره لم يرووا من أقوال الخطيب نفسه ما ينسبه إلى سوء التعصب وذم التحامل^(١) ، إلا إذا عدّ الاقتصاد في المدح تعصباً ، وإغفال التوسع في ذكر المحامد تحاملاً .

(١) نعم روى له ابن الجوزي قدحه لأبي علي بن المذهب الحسن بن علي قال : إن سماعه لمسند أحمد كان صحيحاً إلا في أجزاء فانه ألحق اسمه فيها (تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٠) فقال ابن الجوزي في الدفاع عنه : ومن أين له (أي الخطيب) أن ما كتب (ابن المذهب) لم يعارض به أصلاً فيه سماعه (المنتظم ٨ : ١٥٥ و ٢٦٨ : ٨) والقول الفصل إن الخطيب وإن لم ينظر في كل وجوه الاحتمالات قبل قدحه ، يجد لتضعيفه لابن المذهب تأييداً في أقوال شجاع الذهلي والسلفي وما أخذ به الذهبي (ميزان الاعتدال ١ : ٢٣٧) .

رواياته في ذمّ بعض الخنابلة

أما عثورهم على روايات ينقلها الخطيب في ذمّ بعض الخنابلة ، فأمر لا شبهة فيه . هذه أولها وفيها سخرية بالإمام أحمد ابتدعها حسين الكرابيسي ، حيث قال : « إيش نعمل بهذا الصبي (يريد أحمد) إن قلنا لفظنا في القرآن مخلوق ، قال بدعة ، وإن قلنا غير مخلوق قال بدعة »^(١) الخ .

رواياته في تضعيف بعض الخنابلة

أما غيرها من روايات الخطيب القادحة في حق بعض الخنابلة ، فقد عدد ابن الجوزي أشدها في نظره فإذا هي تضعيف مهناً بن يحيى من كبار أصحاب الإمام أحمد^(٢) ، وأبي الحسن التميمي عبد العزيز ابن الحارث (٣٧١ -)^(٣) ، وأبي عبد الله بن بطة عبد الله بن محمد (٣٧٨ -)^(٤) . وهي أقوال مروية في تضعيفهم ، عمن يرى ابن الجوزي عدم جواز قبول الرواية عنهم ، لأنه ذكر الطعن في

(١) المنتظم ٨ : ٢٦٦ — ٢٦٧ وعنه في الارشاد ٤ : ٢٥ — ٢٦ وأصلها في تاريخ بغداد ٨ : ٦٥

(٢) المنتظم ٨ : ٢٦٨ .

(٣) المنتظم ٧ : ١١٠ و ٨ : ٢٦٨

(٤) المنتظم ٧ : ١٩٤ و ٨ : ٢٦٨

حقهم ، وروى بعض هذا الطعن الخطيب نفسه . ومعظمهم من المعتزلة أو الأشعرية . ثم يقول ابن الجوزي : « هذا ينبغي عن عصبية أو قلة دين »^(١) .

أسلوبه في الرواية

ولعمري إن ابن الجوزي مغالٍ فيما يراه ، لأن الخطيب إنما يروي ما أطلع عليه من أقوال المحدثين والعلماء ، حتى إذا ذكر رواياته ، لم يخلها من شيء ذكر له ، ومن حسن حدث به . وقد روى في حق من عددهم ابن الجوزي المحاسن إلى جانب المساوئ . ولو كان قليل الدين لأغفل محاسنهم ، واقتصر على مساوئهم . قال في مقدمته لتاريخ بغداد يصف لنا أسلوبه : هذا « ما انتهى إليّ من معرفة كنههم (أي كنى من ترجم لهم في تاريخه) وأنسابهم ، ومشهور ماثرهم وأحسابهم ، ومستحسن أخبارهم ، ومبلغ أعمارهم ، وتاريخ وفاتهم ، وبيان حالاتهم ، وما حفظ فيهم من الألفاظ عن أسلاف أئمتنا الحفاظ ، من ثناء ومدح ، وذم وقبح ، وقبول وطرح ، وتعديل وتجريح »^(٢) .

أليس في ذلك اعتذار للمؤلف سابق عما قد يرد في الكتاب مما

(١) المنتظم ٨ : ٢٦٨

(٢) تاريخ بغداد ١ : ٢١٣

لا يستحسنه بعض الناس ، فهو قد أخذ نفسه بأن يذكر كل شيء مما يحفظه عن الأئمة الحفاظ . أما أن يكون روى عن لا يستحسن ابن الجوزي التحدث عنه ، أو عن ذكر هو نفسه رواية في الطعن عليه ، فذلك يشير إلى أنه لم يثبت عنده عدم جواز النقل عنه . ثم إن روايته للقدح لا توجب اعتقاده إياه وثبته له ؛ فهو لا يتقيد بما يرويه العلماء من المطاعن بعضهم على بعض . وإنما يتقيد برواية هذه المطاعن ليطلع عليها القاري ، فيميز الخبيث من الطيب منها . وذلك هو الأسلوب الذي أقره أصحاب الحديث ، ودرجوا عليه ، ولم يمتدع فيه الخطيب شيئاً اللهم إلا تسامحه في نقل الأقوال الشديدة .

مدحه للمتكلمين

وما نقوله في الدفاع عن الخطيب من حيث نقده في تحامله على أبي حنيفة والحنابلة يصح أن يقال ، حين نحاول أن ندفع عنه القول « بمدحه للمبتدعة وأصحاب الكلام ^(١) » بما ليس فيهم ، فهو بنفسه لم ينسب إلى الأشاعرة ، وهم المقصودون بالمديح ، شيئاً ردّه خصومهم . إنما روى من الأقوال ما يمتدحون به ، فقد رأيناه يذكر الأشعري

فلا يبالغ بوصفه ، بل لعله مقتصد بالوصف أكثر مما هو مسرف^(١) .
ولم يمنع هذا بعضهم من سوء الظن بالخطيب لدرجة البغض . روى
محمد بن طاهر المقدسي عن إسماعيل بن أبي الفضل القومسي أنه
قال « ثلاثة من الحفاظ لا أحبهم لشدة تعصبهم وقلة انصافهم : الحاكم
أبو عبد الله وأبو نعيم الأصفهاني وأبو بكر الخطيب^(٢) » . ويفسر ابن
الجوزي هذا القول فيضيف : « لقد صدق إسماعيل . . . وقال الحق
فإن الحاكم كان متشيعاً ظاهر التشيع ، والآخران كانا يتعصبان
للمتكلمين والأشاعرة ، وما يليق هذا بأصحاب الحديث ، لأن
الحديث جاء في ذم الكلام^(٣) » .

أما نحن فنعجب من هذا القول ، لأننا لم نجد في أقوال الخطيب
ما نسب إليه . وأكثر ما ذكره لنا ابن الجوزي عن تعصبه للمتكلمين
قوله « إذا ذكر المتكلمين من المبتدعة عظم القوم ، وذكر لهم ما يقارب
الاستحالة ، فإنه ذكر عن ابن اللبان أنه قال : حفظت القرآن ولي خمس
سنين^(٤) » . ألا إنه في هذا وغيره يروي المديح روايةً فلا يخرج عما
اختطه لنفسه في ذكر ما يحفظ ويروي .

(١) انظر أعلاه ص ٢٢٤

(٢) المنتظم ٨ : ٢٦٩ وعنه في الارشاد ٤ : ٢٦

(٣) النص السابق وعنه في تفصيل أوسع في الرد على أبي بكر ص ١٧٩

(٤) المنتظم ٧ : ١١٠

رأي أهل الحديث يعرف مما يروونه

وبندوا واضحاً مما تقدم أن أهل الحديث من المؤرخين وغير المؤرخين ، يميلون إلى طائفة دون أن يصرحوا بانتمائهم إليها ، ويظهر ميلهم بكثرة روايتهم . فما يروونه من القول هو بالاجمال رأيهم وما ارتضوه ، وكذلك عدت روايات الخطيب في الجرح والتعديل رأيه الخاص فاتهموه بها . قال عبد الوهاب : إن شيخاً صالحاً من الحنابلة ، اسمه أبو بكر بن الفقير محمد بن أحمد (- ٤٩٥) « كان يخرب قبر أبي بكر الخطيب ، ويقول : كان كثير التحامل على أصحابنا ، يعني الحنابلة ، إلى أن رأيت به يوماً وأخذت الفأس من يده ، وقلت : هذا كان رجلاً حافظاً إماماً كبير الشأن متحرزاً ثقةً ، فتأب ولم يعد^(١) . ولعل رجلاً كهذا معذور لجهله ، ولكن ما قولك بآبن تغري بردي يروي ما يلي ، ثم يعلق عليه قال : قال أحمد بن عبد الله النيسابوري : كنا عند أبي محمد بن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد ، وهو يقرأ علينا الجرح والتعديل الذي صنفه ، فدخل يوسف بن الحسين الرازي ، فقال أما استحييت من الله تعالى ، تذكر أقواماً قد خطوا وواحلهم في الجنة . . . فبكى عبد الرحمن . قلت (أي ابن تغري بردي) : فلو رأى الشيخ يوسف كلام الخطيب

في تاريخ بغداد ، وهو يقع في حق العلماء الأعلام الزهاد ، بكلام يخرجهم من الإسلام ، بذلك اللسان الخبيث ، فما كان يفعل به ^(١) . «
وبدل هذا على أن ابن تغري بردي ينسب إلى الخطيب الأقوال التي يرويها ، ويصفه بلسان لم يعتد عليه مع أنه إنما يروي كلام غيره ، قبيحاً كان هذا الكلام أم حسناً .

هل الجرح والتعديل وقوع في الناس

وقد يشعر كلام يوسف الرازي وابن تغري بردي وابن الجوزي أن المؤرخ الذي يذكر معائب الناس نقلاً أو من عنده يقوم من الأمر بالقبيح ، ويستحق النقد . وهذا قول من يؤثر السكوت على الكلام ، والسكون على الحركة ، والوقوف على العمل . انظر كيف يتغير موقف هؤلاء ، حين تتغير نظرتهم . فهذا ابن الجوزي نفسه يدافع عن أحد الخنايلة وهو محمد بن ناصر البغدادي فيقول « ذكره أبو سعد السمعاني ، فقال كان يجب أن يقع في الناس ، قال المصنف (أي ابن الجوزي) : وهذا قبيح من أبي سعد ؛ فإن صاحب الحديث ما زال يجرح ويعدل ، فإذا قال قائل إن هذا وقوع في الناس ،

(١) النجوم الزاهرة ٣ : ٢٦٥ وذكر ابن تغري بردي قدحاً آخر في الخطيب فادعي أنه يضع الاسناد ليقع في الأئمة ، انظر مورد اللطافة له (ظاهرة تاريخ ٣٠) ١٦٥

دلّ على أنه ليس بمحدث ، ولا يعرف الجرح من الغيبة ^(١) . فليقابل كلام ابن الجوزي هذا بما ذكره هو أو غيره عن الخطيب ، وليضف إليه قول الخطيب نفسه حيث يقول : « ليس الأمر على ما ذهب إليه . . . من أن إبانة العلماء لأحوال الرواة غيبة ؛ بل هي نعمة ، ولهم في إظهارها أعظم المثوبة ، لكونها مما يجب عليهم كشفه ، ولا يسعهم إخفاؤه وستره ^(٢) . »

ولعل فيما ذكرنا بياناً لأمر الخطيب فيما عزي إليه ، فهو يرى أن من المثوبة إظهار حال الرواة فيما نسب إليهم ، ليعرف حالهم على الضبط . ولذلك كان ينقل كل ما قيل عنهم مما رواه .

تفسير الحملة عليه

على أن هذا القول بعيد عن تفسير شدة الحملة التي مني بها ، فما شأنها ؟ وهل يخترعها الناقدون نكابةً وتحاملاً .

إن الحق غير ذلك ، فلئن كان الخطيب لا يتعمد التحامل على أحد ، ولا يقول إلا ما يعتقده أنه مصيب فيه ، لئن كان ذلك حقاً ، فمن الحق أيضاً القول أنه بصفته أشعرياً كان يكثر من الرواية عن الأشاعرة خصوم الحنابلة ، وهم كثيرون . واتفق أن مقرّ الحنابلة

(١) المنتظم ١٠ : ١٦٣ وعنه في ذيل ابن رجب ظاهرية تاريخ ٦١ ، ١٩٢

(٢) شرف أصحاب الحديث ٢٥٤

كان ببغداد ، جعلوها داراً لهم ، واتفق أن الخطيب أول من جمع تاريخ بغداد ، فكان ظهور تاريخه يوماً أسود على الحنابلة ، فهو قد جمع مساوئ ما قيل فيهم وما نقل عنهم من سخف ومغالة^(١) إن صدقاً وإن كذباً ، فكان أن عدوه عدواً لهم كبيراً ، وظنوه يتعمد الكيد لهم والطعن عليهم .

أما أنه فعل ذلك كيداً ونيلاً ، فأخلاقه وطيبته نفسه مانع له من ذلك ، إنما روى ما روى عن عقيدة بنصرة الحق ، واتباعاً لنهج اختطه لنفسه . واسمع الآن نصيحته لأبي الفرج غيث بن علي الصوري تزدّد يقيناً بما ادعى ، قال : « احذر نفسك التي هي أعدى أعدائك أن تتابعها على هواك ، فذلك أعضل دائك ، واستشعر الخوف من الله بخلافها ، وكرر على قلبك ذكر نعوتها وأوصافها ، فإنها الأمانة بالسوء والفحشاء ، والموردة من أطاعها موارد العطب والبلاء . واعمد في جميع أمورك إلى تحري الصدق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، وقد ضمن الله تعالى لمن خالف هواه ، أن يجعل دار الخلد قراره ومأواه^(٢) . »

(١) ثار بشي من ذلك ابن تيمية فنسب الخطيب إلى الكذب : انظر مجموعة

الرسائل الكبرى ١ : ٤١٠

(٢) في تاريخ دمشق ٢ : ١٩٥

و خلاصة القول في أثر مهول الخطيب في صفة علمه أنه كان رزيناً في علمه أكثر مما يمكنه أن يكونه ، فلم تنطبع أقواله الخاصة بأثر عاطفته ونزعانه ، بل كان يزنها بأعدل ميزان ، فلا يصف الناس إلا بما يستحقونه ، بل قد يصف من يحبهم منهم دون ما يستحقون . على أنه كان يتأثر بتلك الميول حين يروي أقوال غيره في المدح أو الطعن ، فيقبل منها شيئاً مما لا يصح أن يتخذ حكماً عادلاً أو خبراً مقبولاً ، يقبله خالص النية ، حسن الظن ، غير متعمد لنيل أو كيد ، بل حريصاً على إظهار الحق الذي يعتقد ، والذي نصب نفسه للدفاع عنه .

وبعد فأي طعن وأي ضعف يحدث في علم الخطيب من جراء هذه الروايات ؟ أجاب أعداؤه عن ذلك جواباً قاسياً ؛ فقال ابن الجوزي : « ومن تبلغ به العصبية إلى ما قد ذكرنا من تغطية الحق والتلبيس على الخلق ، لا ينبغي أن نقبل جرحه وتعديله ، لأن فعله وقوله ينبغي عن قلة دين ^(١) . »

قبل الحكم في ادعاء ابن الجوزي ، يجدر بنا أن نستمع إلى أقوال العلماء والمؤرخين والباحثين في حق الخطيب ، ليتبين لنا رأيهم فيه ، فنقابله بهذا الحكم ، فيظهر الصواب ويعلو الحق .

مكانة الخطيب عند الناقدين

الثناء عليه

إذا تركنا خصوم الخطيب وشأنهم في التتبع لأقواله ورواياته ،
والخط من قدر علمه وتحرياته ، وصدقه وتحززه ، واستعرضنا أقوال
المحققين ممن لم تأخذهم حمية في نصره مذهب ، أو حماسة في الدفاع
عن رأي ، وجدنا الكلمة متفقة في الثناء عليه ، والإعلاء من
قدره ؛ ولم نلق أي تحفظ في المديح أو تحرز في الإجلال .

توثيقه

ها هم أولاء يدفعون عنه كل انتقاد في صفة علمه ، فيقول ابن
الأكفاني (- ٥٢٤) : « كان ثقةً ضابطاً خلوصاً متقناً متيقظاً
متحرزاً ^(١) » . ويتبعه السمعاني فيقول : « كان ثقةً صدوقاً متحرزاً
حجةً ^(٢) » . ويقول عبد العزيز الكتاني قبلهما : « كان ثقةً حافظاً
متقناً متيقظاً متحرزاً ^(٣) » . وكأنهم يضربون بما قيل في تعصبه لمذهبه
وتحامله على الناس عرض الحائط .

(١) في ابن حاتم ، الأربعين ٢٨٧

(٢) في الارشاد ٤ : ٣٠

(٣) في تاريخ دمشق ٤٠١ : ٢٧١ وتسمية ماورد به للمالكي ، ١٧

إجلال علمه

أما رأيهم في درجة علمه ، فجميل غاية الجمال . قال ابن ماكولا :
« كان أبو بكر آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفةً وحفظاً وإتقاناً
وضبطاً لحديث رسول الله ^(١) » وقال ابن خلكان : « كان من الحفاظ
المتقنين والعلماء المتبحرين . . . وفضله أشهر من أن يوصف ^(٢) . »

تلقينه بالحفاظ

وقد أجمع الناس على حفظه وتبريزه ، على ما قال الذهبي ^(٣) ونعته
أهل عصره بالحافظ ، وجرى الأمر على ما أقروه ، والحافظ لقب
عزيز يقتضي علو الشأن ، ولو أنهم لم يتفقوا على تحديده ، فقال
بعضهم : « هو من حفظ أربعمائة ألف حديث ، وقال آخرون : هو
من حفظ عشرة آلاف حديث ، وبه أخذ أحمد بن حنبل وجماعة
كثيرون من المحدثين . وقال بعضهم : متى زاد على ألف حديث فهو
حافظ . واختار بعضهم حفظ جملة عالية ^(٤) دون تحديد . »

(١) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، التبيين ٣٦٨ ، شبهة ١٣٧ ، تذكرة ٣ :
٣١٤ ، سبكي ٣ : ١٣ ، شذرات ٣ : ٣١٢

(٢) وفيات ١ : ٢٧

(٣) في تذكرة الحفاظ وتبصرة الايقاظ لابن عبد الهادي ظاهرية عام ٤٥٤٣ ، ٤٤٤

(٤) انظر ما يقول في ذلك ابن عبد الهادي المصدر السابق ، ١٢ والذي

يؤخذ من تراجم الألفاظ المجمع على حفظهم أن الحفاظ من تقدم في علم —

واختلافهم هذا جعل بعض المحدثين حفاظاً عند أناس ، وغير حفاظ عند آخرين ، إلا الخطيب ؛ فلم يخرج أحد على تلقيه بالحفاظ ، اللهم إلا هو نفسه ، فقد تقدم أنه لتواضعه كان يرى أن « الحفظ انتهى إلى الدارقطني ^(١) » ، ووقف عنده .

إمام عصره

على أن نعت بهذا اللقب قليل بجانب ما أفاض عليه العلماء من الأوصاف ؛ فهو عند السمعاني علامة العصر ^(٢) ، وقال ابن النجار : « انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته ^(٣) » . وتابعه في ذلك ابن شافع فقال « انتهى إليه الحفظ والاتقان والقيام بعلوم الحديث ^(٤) » . وكرر السمعاني إعجابه به وتحمسه له ، فقال : « كان إمام عصره بلا مدافعة ، وحافظ وقته بلا منازعة ^(٥) » .

— الحديث حتى أصبح عمدة فيه وكثر جمعه له وروايته لختلف طرقه ولشقي كتبه المشهورة وأشار الناس إليه بالاتقان والمعرفة فهو بمختصر العبارة المتفرد بالحديث العمدة فيه .

(١) شبهة ٢١٣٩ وتذكرة ٣ : ٣١٧

(٢) في الارشاد ٤ : ٣٠

(٣) في الوفيات ١ : ٢٧

(٤) في شبهة ٢١٣٨ تذكرة ٣ : ٣١٥ وابن نقطة ، ١٥

(٥) الانساب ٢٠٣

وانطلق المؤرخون من بعدهم ينقلون أقوالهم ، وقد يصبغونها صبغةً جديدةً ، فيقول أبو الفداء كان « إمام الدنيا في زمانه »^(١) . وقد يغرقون في المديح ، ويسرفون في الإجلال ، فيقول السبكي دون تقييد : « ما طاف سور بغداد على نظيره يروي عن أفصح من نطق بالضاد ، ولا أحاطت جوانبها بمثله ، وإن طفح ماء دجلتها وروى عن كل صاد »^(٢) .

تفضيله على عطاء عصره

ونرى أهل عصره ، وقد عرفوا علوَّ كعبه ، يزنون به غيره من عطاء المحدثين المعاصرين ، فلا يجدون من يفضل عليه ، فيسأل ابن ما كولا أبا عبد الله الصوري عن الخطيب وعن أبي نصر السجزي أيهما أحفظ ، فيفضل الخطيب تفضيلاً مبيناً^(٣) . ويسأل السلفي أبا الغنائم النرسي عنه وعن ابن ما كولا ، فيقول « ومن يسوي بينهما : الخطيب قد صنف وخرَّج على الحفاظ ، وانتهت إليه السنن ، واحتيج إليه ، ولعمري إن ابن ما كولا كان فاضلاً ، إلا أنه شاب »^(٤) .

(١) تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٨٧

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ١٣

(٣) شبهة ٢١٣٧ وتذكرة ٣ : ٣١٤

(٤) الأربعين لابن حاتم ٢٩٤

لم يروا مثله

ويكثر القائلون بأنهم لم يروا من يعادل الخطيب ، فيقول أبو علي
البرداني « أما حافظ وقته أبو بكر الخطيب ، فما رأيت مثله ، ولا
أظنه رأى مثل نفسه ^(١) ». ويقول السلفي : « سألت أبا غالب شجاعاً
الذهلي عن الخطيب ، فقال : إمام مصنف حافظ لم ندرك مثله ^(٢) » .
ويقول أبو العيان الرواسي « كان الخطيب إمام هذه الصنعة ما رأيت
مثله ^(٣) » ويقول الحميدي إنه ما رأى أحفظ منه ^(٤) .

دارقطني زمانه

ثم يوازنونه بمن قبله من علماء بغداد ، فيضعونه بدرجة الدارقطني ،
فيقول ابن ما كولا : « لم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن الدارقطني
من يجري مجراه ، ولا قام بعده بهذا الشأن سواه ^(٥) » . ويقول المؤتمن
الساجي : « ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني أحفظ من أبي بكر

(١) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ — ٤٠٠ ، شبهة ٢١٣٩ سبكي ٣ : ١٤ ، تذكرة

٣١٧ : ٣

(٢) شبهة ٢١٣٩ ، تذكرة ٣ : ٣١٧

(٣) شبهة ١١٣٨ ، سبكي ٣ : ١٣

(٤) فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ، المطبعة الجديدة ١٣٤٦ ، ٢٣٨ ،
عن السخاوي .

(٥) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ، التبيين ٢٦٨ ، شبهة ٢١٣٧ ، تذكرة ٣ :

٣١٤ ، سبكي ٣ : ١٣ ، شذرات ٣ : ٣١٢

الخطيب^(١) . ويقول أبو إسحاق الشيرازي مرة : « أبو بكر الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه^(٢) » ، ويقول مرة أخرى يشير إلى الخطيب — وهو حاضر — : « هو ذا دارقطني عصرنا^(٣) » .

هو من طبقة الكبار

وإذا أرادوا أن يوازنوه بمن مضى من أئمة الحديث ، أدرجوه في طبقة الكبار ، منهم الذين وضعوا العلم ، وتقعدوا الرجال ، فيقول السمعاني عنه إنه في درجة القدماء من الحفاظ ، والأئمة الكبار ، كيحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن أبي خيشمة وطبقته^(٤) .
ختم به الحديث

وهم لا يرون بعده من يوازنه وينظره . فيقول ابن عساكر : « إنه ختم به ديوان المحدثين »^(٥) ، ويقول السمعاني : « انتهى

(١) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٩ ابن حاتم ٢٦٨ ، إرشاد ٤ : ١٨ ، شعبة ١٣٧
تذكرة ٣ : ٣١٤ ، سبكي ٣ : ١٣ و ٣ : ١٤
(٢) تاريخ دمشق ١ : ٤٠٠ ، حاتم ٢٨٦ ، شعبة ١٣٧ ، تذكرة ٣ : ٣١٤
سبكي ٣ : ١٣

(٣) شعبة ١٣٩ ، سبكي ٣ : ١٤

(٤) إرشاد ٤ : ٣٠

(٥) تاريخ دمشق ١ : ٣٩٨ وإرشاد ٤ : ١٥

إليه معرفة علم الحديث وحفظه ، وُختم به الحفاظ^(١) . ويقول أبو الحسن الهمداني : « ومات علم الحديث بوفاته^(٢) » .

وبالجملة فقد كالوا له المديح كيلاً غادقاً ، فذكروا صدقه ومعرفته ، وفضلوه على كبار عصره ، وعدوه إمام الدنيا ، وما رأوا مثله ، ثم وضعوه في درجة الدارقطني وكبار الأئمة ، وجعلوه آخر الحفاظ المجيدين .

ولعلَّ الجملة التي تلخص أقوالهم وتشرحها رأي الذهبي ، حيث يقول : « ختم به إتيان هذا الشأن^(٣) » أي شأن الحديث . فهو قد أخرج منه أنقن ما أخرج ، وعرف منه أنقن ما عُرف . و « اكتسب به هذا الشأن غصارةً وبهجةً ونضارةً^(٤) » .

(١) إرشاد ٤ : ٣٠ وانظر شبهة ١٣٨ وتذكرة ٣ : ٣١٤ ، سبكي ٣ : ١٣

شذرات ٣ : ٣١٢

(٢) شبهة ٢١٣٩ ، تذكرة ٣ : ٣٠٧

(٣) شبهة ٢١٣٦ ، ومثله قول ابن شافع من أنه « انتهى إليه الحفاظ

والإتيان » في شبهة ٢١٣٨ ، تذكرة ٣ : ٣١٥

(٤) عن السمعاني في إرشاد ٤ : ٣٠ . ويجمع كل ما قيل في مدح الخطيب

ويزيد عليه ابن الأثير فيقول عنه : « إمام وقته وفريد عصره وواحد دهره في علم الحديث ومعرفة الرجال والتواريخ والجرح والتعديل والفقهاء والمعرفة والدين والورع والزهد والعبادة (جامع الأصول ، ظاهرة حديث ٢٠١ ،

٢٥٠) .

حقه من المديح

وبعدُ فإن كان الخطيب أحد من خدموا الحديث وعلومه ،
فقد استطاع أن يرفع من شأنه إلى الإئتمان ، وبذلك استحق أن
يعترف بقدره ومكانته ، وألا يُنسى نصيبه من المديح والثناء . وكان
ذلك ، فدلَّ على أنه أخلص للعلم إخلاصاً لا شك فيه ، مما يغتفر له
سوء ما وصم به وأخذ عليه ، وهو قليل إلى كثير غزير يخالفه .



خاتمة المطاف

نقدّم في أول الكتاب أن العصر الذي عاش فيه أبو بكر الخطيب شهد صراع السياسة والعلم والمذاهب والنحل في سبيل توجيه الإسلام وجهته الأخيرة . وكان كلٌّ يدفع بالإسلام إلى حيث يستقرُّ قراره . وأرے أبا بكر قد أدرك هذا الأمر ، وشعر بأن تعدد الفروق بين المسلمين ، وكثرة التشتت بينهم ، وتكاثر الشعب ، أفضت إلى حدها الأقصى ، وأنها آيلة إلى التوقف ، بل إلى التجرر والتبلور ؛ أدرك هذا فوجد الواجب يقضي بوضع الصيغ الأخيرة لعلم الحديث وما يلحق به من العلوم ، ويحض على تثبيت مذهب أهل الحديث ، على خير مثال وُضع لهم .

ولئن كنا لا نجد لهذا الرأي مستنداً تاريخياً في أقوال الباحثين ، فإن آثار الخطيب تدفع إليه ، وتقوي أمره . فهو قد أفرغ جهده في وضع الأصول الأخيرة للعلم الذي كان يحمله ، أعني الحديث وتاريخه ، بأسلوب يدفع إلى هذا العلم راية العلوم لتخفق بين يديه ، ويجعله يستوي على عرش الحكم فيها .

أما رأيته أولاً يدوّن ما تشتت من أخبار رجال بغداد ، عاصمة

الإسلام ، ومكان التقاء نزعاته ، في تاريخ لها ، كتب فيه أوسع الصفحات من أخبار الإسلام وتراجم عظمائه ، على نهج يوافق مبهوله التي دفع نفسه إليها ، بعد التتبع وإعمال الرأي وإنفاذ الفكر ، أعني مذهب الأشعري موقفاً مع مذهب أهل الحديث ، كتبها يلوم هذا ويمدح سواه ، يعدل ذاك ويجرح غيره ، يدعو إلى خير من يذكر إحسانه ، ويدفع عن شر من يذكر مساوئه . تشع نفسه ، بما يدافع عنه أو يحض عليه ، خلال ما يورد من الأخبار ، وإن كان لا يذكر من عنده وبقوله لوماً ولما مديحاً .

أوما رأيت تانياً يضع كتباً في جمع شتات الأسماء والنسب ، وإظهار مختلفها ، والإشارة إلى ملتبسها ؛ فيأتي في ذلك ، أو يحاول أن يأتي ، على الاضطراب الذي تناول أسانيد الحديث وعلم الرجال .

أولم تره ثالثاً يضع أصول النقل والرواية في علم الحديث ، ويرفع تناقض الآراء في هذا العلم ، ويجرده بقواعده الأخيرة .

أما رأيت تماً يحاول أن يبدد الشك الذي سرى إلى بعض فروع المذهب الذي انتهى إليه ، وهو الشافعي ، بأحاديث تؤيد ذلك المذهب بصحتها وثبوتها وكثرتها .

ألا إن خلاصة أمره وسعيه واضحة في السبيل الذي ذكرناه ،
فهو كان يعمل على تقوية أصحابه في آرائهم وأعمالهم ، كما كان يعمل
على لمّ تشعيث الحديث بدفع السوء عنه ، وبوضع أصول روايته . .
وحرّياً بنا إذن أن نقول : إن الخطيب قام حقّ القيام بقسط
أهل الحديث والتاريخ في تثبيت مذهب الأشاعرة والشافعية .

وبعد ، فما هي الصفات التي امتاز بها أبو بكر ، فقوي على توطيد
الأثر وتخليد الذكر ؟ إنها ترجع في نظري إلى نواحٍ ثلاث : نفسية
وعقلية وعلمية . فقد كان في نفسه حبّ العلم والإخلاص له ، فذرّ
حياته على خدمته ، فلم يحث بالنذر ، لم يلتبس من ذلك جاهاً أو
مالاً ، بل قصد العلم نفسه ولنفسه . ثم كان في عقله نيراً ، واضح
الذهن ، ميالاً إلى متوسط الأمر ، يحسن الانتخاب ، ولا يحيد عن
المرمى ، ينتسب إلى من يتخذون الاعتدال في الرأي مذهباً ، ويتجنب
من يتحاشون الفكر ، ولا يعملون العقل . أمّا في علومه فإن جمعه
بين الفقه والحديث ، قوّى استنباطه ، ووثّق علمه ، وأبعد في
مدى نظره .

من هذه النواحي الثلاث كان عماد نجاحه . ولا ريب أنها أفادت
من أمرٍ كان سرّها ودليلاً ، ألا وهو الاتزان ؛ فقد كان الرجل

على حدٍّ كبيرٍ من التثبت والاعتدال والاتئاد ، لا يتهور ولا يبالغ ،
اللهم إلا عن قصدٍ قصده . كان مالكا قياد نفسه ، عارفا قدرها ،
مستفيدا من مزاياها ، يسيرها فيما يراه نافعا لها .

وهل يهملك بعد ذلك أن يكون عبقريا ، نادرة ، فريدا . أليس
في أثره وقوة نفسه وحسن نظره ما قد يفوق آثار العباقرة وأعمالهم
وأراءهم ، إن لم يحسنوا التصرف ، وقليل ما يحسنون .



مصادر الكتاب^(١)

على الحروف

«الأربعين المرتبة على طبقات الأربعين» لابن أبي حاتم المقدسي —
مخطوطة الظاهرية ، حديث ١٦٨ .

إرشاد الأريب في معرفة الأديب لياقوت — مطبوعات دار المأمون .

الاستدراك لابن نقطة الحنبلي — مخطوطة الظاهرية ، حديث ٤٢٣
الأسنوي — انظر طبقات الشافعية .

الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر — مصر ، مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي — دمشق مطبعة الترقى ١٣٤٩

اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي — مخطوطة الظاهرية ، أدب ٢٥٧

الأنساب للسمعاني — الجزء العشرون من مجموعة جيب ، سنة ١٩١٢

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد — دار الكتب العربية الكبرى

سنة ١٣١٥

البداية والنهاية لابن كثير — مصر ، مطبعة السعادة والسلفية ، سنة ١٣٤٨

بروكلن : تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية — الأصل بفيمار ١٨٩٨

وما بعدها ، والذيل بليدن ١٩٣٧ وما بعدها .

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي — مصر ، مطبعة السعادة

سنة ١٣٢٦

تاريخ أبي الفداء — انظر المختصر في أخبار البشر .

تاريخ الاسلام للذهبي — مخطوطة أحمدية حاب ، ١٢٢٠

(١) أغفلنا في هذا التعداد بعض ما لم نذكر الاستفادة منه .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي — مصر ، مكتبة الخانجي سنة ١٣٤٩ هـ
و ١٩٣١ م وما بعدها .

تاريخ دمشق لابن عساكر — تهذيب عبد القادر بدران .

تاريخ دمشق لابن عساكر — مخطوطة الظاهرية تاريخ ١ — ٢

التاريخ الصغير للبخاري — مطبعة أنوار أحمد آباد ١٣٢٥

تأنيب الخطيب — لمحمد زاهد الكوثري .

تبين كذب المفتري فيمناسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر

— دمشق ، مطبعة التوفيق ، سنة ١٣٤٧

تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي — مصر ، المطبعة الخيرية

سنة ١٣٠٧

تذكرة الحفاظ للذهبي — حيدر آباد .

تذكرة الحفاظ وتبصرة الايقاظ لابن عبد الهادي — مخطوطة الظاهرية ،

رقم عام ٤٥٤٣

تسمية ماورد به الخطيب دمشق من روايته من الأجزاء المسموعة والكبار

المصنفة وما جرى مجراها سوى الفوائد والأمالى والمنثور — لمحمد بن أحمد

ابن محمد المالكي الأندلسي — مخطوطة الظاهرية مجموع ١٨ (١٢٦)

التظليل وحكايات الطافيليين للخطيب البغدادي — طبعة حسام الدين

القدس — دمشق ، مطبعة التوفيق ، سنة ١٣٤٦

تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن تيمية — مصر ،

سنة ١٣٤٦

تهذيب الأسماء واللغات للنووي — مصر ، إدارة الطباعة المنيرية

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع — مخطوطة الظاهرية : مجموع

٥٥ (١٤٨)

جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الاثير — مخطوطة الظاهرية ،

حديث ٢٠١

ابن الجوزي — انظر المنتظم .

ابن حاتم — انظر الأربعين .

حجي خليفة — انظر كشف الظنون .

ابن خير — انظر فهرسة ما رواه أبو بكر بن خير .

ذكر كبار الحفاظ لابن الجوزي — نسخة الظاهرية ، رقم مجموع ١٠٠

(١٣٥)

ذهبي — انظر تذكرة الحفاظ .

ذيل ابن رجب على طبقات الحنابلة للفرا — مخطوطة الظاهرية ، تاريخ ٦٠

ذيل تاريخ بغداد لابن النجار — مخطوطة الظاهرية ، تاريخ ٤٢

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي — نشر امدورس ، بيروت ، مطبعة

اليسوعيين ١٩٠٨

الرد على أبي بكر الخطيب للملك المعظم — مكتبة الخانجي .

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمحمد بن جعفر الكتاني

— بيروت ١٣٣٢

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر الموسوي — طبع

حجر ١٣٠٧

سبكي — انظر طبقات الشافعية .

سمعاني — انظر الأنساب .

سيرة ابن هشام — مصر ١٣٤٦

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي — مصر ، مكتبة

القدس ١٣٥٠

شرف أصحاب الحديث للخطيب — مخطوطة الظاهرية مجموع ١١٧
شبهة — انظر مناقب الشافعي .
صبح الأعشى للقلقشندي — طبعة دار الكتب الخديوية ، مصر ، المطبعة
الأميرية ١٣٣١ وما بعدها .

صلة الخلف بموصول السلف — مخطوطة دار الكتب الوطنية ببغداد ١٣٧٠
صورة إجازة ابن عربي للملك المظفر ابن العادل — مخطوطة الظاهرية
رقم عام ١٣٧٩

طبقات الشافعية للأسنوي — مخطوطة الظاهرية تاريخ ٤٦
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي — مصر ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤
عساكر — انظر تاريخ دمشق .
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان — مخطوطة دار الكتب المصرية تاريخ
٧١ م ، القسم الثاني من الجزء الخامس عشر .
عقود الجوهر لجميل العظم — بيروت ١٣٢٦
غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري — باعتناء برجستراسر — مصر ،
مطبعة السعادة ١٩٣٣

فهرس الفهارس لعبد الحى الكتاني — المطبعة الجديدة ١٣٤٦
الفهرست لابن النديم — طبعة فلوغيل .
فهرسة مارواه عن شيوخه أبوبكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي
الاشبيلي — سرقسطة ، مطبع قومش ١٨٩٣
ابن القلانسي — انظر ذيل تاريخ دمشق .
ابن كثير — انظر البداية والنهاية .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحجي خليفة — درسعادت ،

الكفاية للخطيب — مخطوطة الظاهرية حديث ٣٩٣
 الكمال لعبد الغني المقدسي — مخطوطة الظاهرية حديث ٣٦٦ — ٣٦٧
 كنز الفوائد لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي — طبع حجر .
 لسان الميزان لابن حجر العسقلاني — حيدر آباد ، مطبعة مجلس دائرة
 المعارف النظامية ، سنة ١٣٢٩ وما بعدها .

مالكي — انظر تسمية ما ورد به الخطيب دمشق .
 مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية — مصر ، المطبعة العامرة الشرفية ،
 سنة ١٣٢٣ هـ

مختصر تاريخ الاسلام لابن حجر — مخطوطة أحمدية حلب ، ١٢٢٠
 المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء — مصر المطبعة الحسينية ، ١٣٢٥
 مدينة السلام للأمير شكيب أرسلان — مجلة الثقافة الدمشقية الجزء
 الأول ، السنة الأولى ص ٤ — ١٤
 مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي — مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس

١٥٠٦

معجم البلدان لياقوت — طبعة وستنفلد
 معجم المطبوعات لسركيس — مصر ، مطبعة سركيس ١٣٤٦ / ١٩٢٨
 مقدمة ابن خلدون — مصر ، المطبعة الأزهرية ، ١٣٤٩
 مقدمة ابن الصلاح — حلب ، المطبعة العالمية ، ١٣٥٠ هـ و ١٩٣٦ م
 المكثرون من التأليف والمجودون فيه لأستاذنا محمد بك كرد علي — مجلة
 المجمع العالمي العربي ، ١٧ : ٦٣ — ٧٧
 مناقب الشافعي وطبقات أديبائه انتخذه ابن قاضي شهاب من تاريخ الاسلام
 للذهبي — مخطوطة الظاهرية ، تاريخ ٥٧
 المنتظم لابن الجوزي — دائرة المعارف العثمانية .
 مورد اللطافة لابن تغري بردي — مخطوطة الظاهرية ، تاريخ ٣٠

ميزان الاعتدال للذهبي — مطبعة السعادة ١٣٢٥
 النجوم الزاهرة لابن تغري بردي — مصر ، مطبعة دار الكتب المصرية
 نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر — كلكته ، الجمعية
 الأسيوية سنة ١٨٦٢ م
 نقطة — انظر الاستدراك .

الوافي بالوفيات للصفدي — الجزء الأول باعثناء ريتز استانبول ١٩٣١
 الوافي بالوفيات للصفدي — مخطوطة أحمدية حلب ١٢١٦
 وفیات الأعيان لابن خلكان — مصر ، المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠
 وفیات تاریخ الاسلام للذهبي — مخطوطة أحمدية حلب .

Brockelmann — G. A. L. et Sup.

Marçais [W.] — al-Khatîb al-Baghdâdî in Encyclopédie
 de l'Islam II. 981

أقدم خالص شكري لأستاذي صاحب المعالي محمد بك كرد علي و خليل
 بك مردم بك على ماتفضلا به من قراءة بعض فصول الكتاب ومن نصائح قيمة
 أسديها لتقويم ما رأياه من اعوجاج فيها . وأشكر السادة عبيد إخوان أصحاب
 المكتبة العربية لاخراجهم الكتاب في وقت صعب فيه الأشياء . ثم شكراً
 لمطبعة الترقى التي عهدت إلى السيد محمد أسعد لطف بالعناية في صف تجارب
 الطبع ، فبذل قصارى جهده واستحق الشكر .

فهرسة أبواب الكتاب وفصوله

الاصترادول

عصر الرمن

٢١	عزيمه على الرحلة		
٢٢	كتاب البرقاني إلى أبي نعيم يوصي به		
٢٣	رحلته إلى نيسابور وأصبهان		
٢٣	مطلع المجد في حياته	٨	الاعتدال بعد الطفرة
٢٤	هوى هذا في السماع أم هوس ؟	٨	تسوية الحدود
٢٦	هل كان خطيباً	٩	الصراع في سبيل ذلك
٢٦	تصنيفه للتاريخ	٩	بنو بويه والخلافة
٢٧	في طريقه إلى الحج	١٠	الشيعة وأهل السنة
٢٨	دعائه عند زمزم	١١	الفاطميون
٢٨	حبه للعلم ولبغداد	١١	السلجوقيون
٢٩	ذكره الموت	١٢	المعتزلة والأشعرية وخصومهم
٣٠	تزوده من مكة بالسماع وعودته إلى بغداد	١٢	الشوافعة والحنفية
٣٠	تصحيحه للأحاديث في بغداد	١٢	الأدب والفلسفة
٣١	إملاؤه الحديث بجامع المنصور	١٣	صفة العصر بالإجمال
٣٢	كشفه تزوير كتاب عن الرسول		مياة الخليل في العلم والمعلم
٣٤	تصنيفه للكتب	١٥	الخطيب صورة للمحدثين
٣٥	قصته في حادثة البساسيري	١٦	أصله وحدثاته
٣٦	اضطهاد بعض الخنابلة له	١٧	أول سماعه
٣٧	هجرته إلى دمشق	١٨	درسه الفقه
٣٨	تدريسه في الجامع الأموي	١٩	درسه للحديث
٣٩	ألفته الإقامة في دمشق	٢٠	ظهور فضله ووفاته والده

٦٠	لا حرص على الدنيا عنده بل كرم وعفة	٤٠	سعاية به
٦٢	تورعه	٤١	تحامل عليه
٦٣	تواضعه	٤١	القبض عليه
٦٤	كآل في الخلق والخلق	٤٢	شريف علوي يحيره وينقذه
٦٤	نفي تهمة عنه	٤٤	إقامته بصور واختلافه إلى القدس
٦٥	تغزله بالغالمان	٤٤	نهوضه إلى بغداد
٦٧	دفع سوء ذلك التغزل	٤٥	مناظرته بطر ابلس مع شيخ شيعي
٦٨	تغزل مستهجن نسبه إليه أعداؤه	٤٦	في حلب ووصله إلى بغداد
٧١	اتهمه بحب الغلمان		تحديثه بتاريخ بغداد في جامع
٧٣	تعليل أخلاقه ومزايه	٤٦	المنصور وفي منزله
٧٤	اقتضاء العلم العمل	٤٧	مرضه وتوزيع ثروته
٧٥	سموه بنفسه وسعادته بعلمه	٤٨	تلميذ يشكو إليه حاله
	مصادر ثقافة الخطيب ونبوغ أثره	٤٩	وقفه كتبه ووفاته
٧٦	مرحلتان لدراسة الخطيب	٥٠	بحث عن تربة له بجوار قبر الحارث
٧٧	المصادر التي توفرت لنا	٥١	جنازته
٧٧	بحثنا تمهيد لدرس ثقافته وأثره	٥٢	رثاؤه وختمات على قبره
	تمداد نبوغ الخطيب وأقرانه	٥٣	رؤية الصالحين له بالنام
٧٩	وتلازمته	٥٥	توافد الكتب إلى البلدان بنعيه
٧٩	شيوعه على حروف المعجم		صورة الخطيب بمزايه وطبعه
٨٥	أقرانه حدث عنهم وحدثوا عنه	٥٦	حسن سمته
٨٦	تلاميذه	٥٧	جودة خطه
٩٠	ملحق بأسماء تلاميذه	٥٨	يضرب المثل بسرعه في القراءة
		٥٩	بعده عن السياسة

١٢٦	الفقه	تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي
١٢٨	الزهد والرقائق	دمشق من روايته من الأجزاء المسموعة
١٢٨	الأدب	والكبار المصنفة وما جرى مجراها
١٢٩	أسماء رجال الحديث وتقدم	سوى الفوائد والأمالى والمنثور ٩٢
١٣٣	التواريخ	٩٣ علوم القرآن
١٣٤	المجهول	٩٥ الحديث
	مصنفات الخطيب على الخطيب مع إحالة	٩٨ الفقه
١٣٥	إلى فهرستها	١٠٠ الكلام والزهد والرقائق
	مقدمة البحث عن ثقافة الخطيب	١٠٣ علوم اللغة
١٣٨	واثره	١٠٤ الأدب
	ثقافة الخطيب في نثرها وأعمالها	١٠٦ التاريخ وما يتبعه
١٤٠	كمال الخطيب في علم الحديث	١١٢ تفسير الأحلام
١٤٠	تفضيله الحديث على الفقه	١١٢ مجهول الموضوع
١٤١	سر نجاحه في علمه	أسماء المؤلفين الذين ورد الخطيب
١٤٢	ما أفاد من درسه على الفقهاء	بمؤلفاتهم دمشق مع الإحالة إلى أرقام
١٤٢	مشايخه في الحديث	١١٣ كتبهم
١٤٣	شيوخه الآخرون	فهرسة مصنفات الخطيب البغدادي
١٤٣	ولعه بالقراءة	١٢٠ مصادر هذا الفهرست
١٤٤	الخطيب أديب في ثقافته	١٢١ الأحاديث والمسانيد
١٤٥	تتبعه لتاريخ الحديث	١٢٢ الأحاديث المخرجة
١٤٦	المصنفون الذين عني بهم	١٢٣ في المسند والمصطلح
١٤٧	زبدة القول في ثقافته	١٢٤ آداب المحدث والفقيه
		موضوعات أخرى مستخرجة من الحديث ١٢٦

١٧٣	شعوره بالحاجة إليه	آثار الخطيب وأهملها فيها إجمالاً
١٧٤	وصفه لمدينة المنصور وتاريخه للمدائن	شرفه بتصانيفه
١٧٥	ترتيب التراجم	مدح السلفي لمؤلفاته
١٧٦	مادة الكتاب إجمالاً	رأيه في التصنيف
١٧٧	عدد التراجم ومتوسط سعتها	عدد مصنفاته
١٧٨	نسبة الاختصاص في التراجم	جودة تصنيفه
١٨٠	إحصاء الكتب المقروءة في التاريخ	إعتراف خصومه بجمالة آثاره
١٨١	أصل التاريخ للمحدثين	مقارنة حفظه بتصانيفه
١٨٣	إجادته لفهم تاريخ المحدثين	جودة حفظه لأصول العلم
١٨٣	استيفاءه لتراجم محدثي بغداد	إتهامه بسرقة تصانيفه
١٨٤	استيفاءه لأخبار المحدثين	رد هذه التهمة
١٨٤	حسن ترتيبه واتساقه	نهجنا وغايتنا في البحث عن أثره
١٨٤	أقسام الترجمة	حصر الموضوعات التي طرقها
١٨٦	الأحاديث الواردة في التراجم	تصنيفه في الفقه دفاعاً عن الشافعي
١٨٦	دقة الأسلوب	جمعه لبعض الأحاديث إظهاراً لصحيتها
١٨٧	فن الترجمة عند الخطيب	وفوائدها أو إتماماً لنقص فيها
١٨٨	أمثلة على إتقانه للتراجم	غايته الأولى في التصنيف واختصاصه
١٨٩	رأي مؤرخي الإسلام بدقة مادة الكتاب	علم مصطلح الحديث قبله
١٩٠	المقياس الأولي للتراجم عامة	حاجتان ملحتان فيه
١٩٠	علماء الدين	طريقته فيها
١٩١	خصوم أهل الحديث	المحدثون عيال على الخطيب
١٩١	الزهاد والمتعبدون	توفقه بجميع ما صنف
١٩٢	أرباب الحكم	تاريخ بغداد
١٩٢	الأدباء والشعراء	هو باكورة آثاره الكبرى

- | | | | |
|-----|-------------------------------|-----|-------------------------------------|
| ٢٠٥ | من أخذ عنه في غير ذلك | ١٩٣ | لا فلاسفة وحكماء |
| ٢٠٦ | حظ الشام منه | ١٩٣ | أسلوب تراجم غير المحدثين |
| ٢٠٦ | أثر تعاليمه في المائة السادسة | ١٩٤ | سبب التقصير في تراجم غير المحدثين |
| ٢٠٧ | أحسن شهادة بأثره | ١٩٤ | مقارنته بكتب التراجم الخاصة قبله |
| ٢٠٧ | انتشار تصانيفه | ١٩٥ | مادة تاريخ بغداد الأول متوفرة فيه |
| | مذهب الخطيب وزعماء | ١٩٥ | تاريخ بغداد نصر لأهل الحديث |
| ٢١٠ | صعوبة البحث | ١٩٧ | تاريخ دمشق على نسق تاريخ بغداد |
| ٢١٠ | صراع العقل والنقل | | تفوق تاريخ دمشق بغزارة المادة |
| ٢١٠ | المعتزلة والأشاعرة | ١٩٧ | لا بكثرة التراجم |
| ٢١١ | إيهام في موقفه | | ابن عساكر لا يترجم لعدد من |
| ٢١٢ | شرف أصحاب الحديث | ١٩٨ | المحدثين أكثر من الخطيب |
| ٢١٣ | هم حراس الدين | ١٩٩ | الاثبات يتقاربان في ذكر أهم الأخبار |
| ٢١٣ | وأركان الشريعة | ١٩٩ | التفصيل بينهما |
| ٢١٥ | الشواهد بعظمتهم | ٢٠٠ | السبكي وتاريخ بغداد |
| ٢١٦ | رده على أهل الرأي | ٢٠١ | ابن خلكان وتاريخ بغداد |
| ٢١٧ | مساوىء أهل الرأي | | الآخرون عن الخطيب |
| ٢١٧ | مساوىء أهل الكلام | | وخاتمة القول في أثره |
| ٢١٨ | قوة جدله | ٢٠٢ | مزاياه في التعليم |
| | دعوى ابن الجوزي في تركه | ٢٠٣ | كثرة طلابه |
| ٢١٩ | لمذهب الحنابلة | ٢٠٣ | متى حدث؟ |
| ٢٢٠ | شافعي في الفروع | ٢٠٤ | تحديثه بكتب غيره وكتبه |
| ٢٢٠ | أشعري في الأصول | ٢٠٤ | السامعون منه والمتخرجون به |
| ٢٢١ | سبب انتمائه إلى الأشاعرة | ٢٠٤ | من أخذ عنه من المؤرخين والمحدثين |

٢٤١	الخطيب يجمع مطاعنهم	٢٢١	قوله في الصفات
٢٤٢	أي تعصب في الاقتصاد بالمدح	٢٢٣	الأشعري يوافق كبار المحدثين
٢٤٤	رواياته في ذم بعض الخنايلة	٢٢٤	الكلام المحمود
٢٤٤	رواياته في تضعيف بعض الخنايلة	٢٢٥	السلف والكلام
٢٤٥	أسلوبه في الرواية	٢٢٦	السلف والتقليد
٢٤٦	مدحه للمتكلمين	٢٢٦	حسن كلام الأشعري
٢٤٨	رأي أهل الحديث يعرف بما يروونه		صفة الخطيب في علمه
٢٤٩	هل الجرح والتعديل وقوع في الناس	٢٢٨	غاية البحث
٢٥٠	تفسير الجملة عليه	٢٢٨	الضعف في شخصه
٢٥٢	أثر ميوله في صفة علمه	٢٢٩	تصنيفه
	مطالع الخطيب عند النافذين	٢٣٠	تحديثه عن الضعفاء
٢٥٣	الثناء عليه	٢٣١	من تتبعوا أوهامه
٢٥٣	توثيقه	٢٣٢	إعجابهم به
٢٥٤	إجلال علمه	٢٣٣	الناس في أمره فئتان
٢٥٤	تلقينه بالفاظ	٢٣٣	آثار حبه وكرهه
٢٥٥	إمام عصره	٢٣٤	تبعات ابن الجوزي عليه
٢٥٦	تفضيله على عطاء عصره	٢٣٥	تبعات غيره
٢٥٧	لم يروا مثله	٢٣٦	احتجازه بالموضوع
٢٥٧	دارقطني زمانه		قول ابن تيمية في استشهاد المحدثين
٢٥٨	هو من طبقة الكبار	٢٣٧	بالموضوع والضعيف
٢٥٨	ختم به الحديث		رواية الخطيب أخباراً ضعيفة في
٢٦٠	حقه من المديح	٢٣٨	أبي حنيفة
٢٦١	فائده الطاف	٢٣٩	اعتذاره عن ذلك
		٢٤٠	طعن المحدثين على أبي حنيفة

